A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور – الجلفة –

كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية وآدابها
الرقم التسلسلي: .....

بعنوان:

السخرية و أساليبها في أدب ابن محرز الوهراني

* مذكرة مقدمة في إطار مدرسة الدكتوراة تخصص الأدب العربي قديما و حديثا *
* لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي*

إعداد الطالب:
* احمد طيباوي.

إشراف الدكتور:
* عبد القادر فيطس.

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ : .....

ـ لجنة المناقشة المكونة من :

- د.....أستاذ محاضر.أ جامعة ..... رئيسا
- د.....أستاذ محاضر.أ جامعة ..... مشرفا ومقررا
- د.....أستاذ محاضر.أ جامعة .....عضوا مناقشا
- د.....أستاذ محاضر.أ جامعة.....عضوا مناقشا

الموسم الجامعي:2015/2014 م الموافق لـ:1437/1436هـ

*نسخة ثانية منقحة بتوصيات لجنة المناقشة *

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

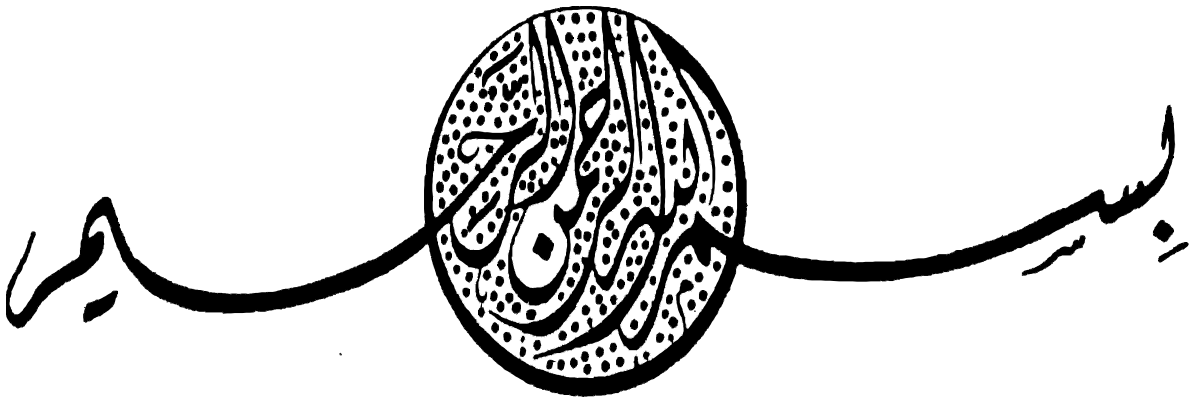

✍ ... عاجزة هي الألسن إن ... نطقت ...

✍ ... عاجزة هي الأقلام أن ... كتبت ...

✍ ... لا يسعها ولا يسعني إلا أن اهدي هذا البحث المتواضع إلى ...

✍ مصدر الدفء والطمأنينة... أبي

✍ ينبوع الحنان ... أمي

✍ ضوء العيون زوجتي العزيزة وولدي حليمة وطاهر...

✍ ... شموع حياتي ... أساتذتي الكرام . . . وكل إخواني وأخواتي الأحباء . . . حبا وتقديرا .

A PDF PIC TO PDF DEMO Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

وقفة للشـــكر

الى كل من رام الحقيقة باحثا عليها و قد ضاق عليه ظلامها

الى كل مئثار بخيره يبتغي لأرضه عزا كي يدوم سلامها

الى كل من هام بحب بلاده و أضحى شهيدا ان غواه هيامها

اليهم اهدي ما احتوته رسالتي عصارة أبحاث مفيد كلامـها

و لله شكر سابغ لا اعـــده و لا أنسى عوني خيرهم قد أقامها

و لا أنسى أمي والدي بحنانهم اقاموا حياتي صبحها و ظلامها

بهذه الأبيات الجميلة البديعة أبدأ لأقف وقفة شكر وحبّ وامتنان لكلّ فاضل شجّعني ، وكل كريم ساعدني ولم يبخل علي بالنصيحة والإرشاد نخصّ في ذلك بالذكر والتنويه أستاذنا الفاضل الكريم **عبدالقادر فيطس** الذي أشرف على كتابة هذه المذكرة . وإنه ليطيب لي في هذه السانحة أن أهدي عصارة هذا العمل المتواضع والجهد المبذول.

* إلى روح أخي **"سعـد"** فقيدنا وفقيد اللغة والأدب العربي الذي علّمني حبّ اللّغة العربية وشغّفني بحبّ الشّعر والشعراء، ولكن الموت والقدر اختطفه وفرّقه عنّا، فاختطف معه قلوبنا وجوانحنا التي أبقاها مليئة بالحزن والأسى.

* إلى والدي العزيزين الكريمين اللذان لولاهما ما وجدت وحييت وعشت ودرست وكتبت فصول هذه المذكرة .

* الى زوجتي العزيزة و ولدي البرعمين **حليمة الهام** و **عبدالله الطاهر الحسني** و إلى كلّ أصدقائي وزملائي الأعزاء البعيدين والقريبين الذين تشرّفت بصحبتهم والتعرّف عليهم بحرم جامعة زيان عاشور بالجلفة .

- احمد طيبـاوي -

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المقدمة

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المقدمـــــة:

الأدب الساخر تراث بشري تناقلته الأمم وتوارثته الأجيال، وأنس به البشر طوال عمارتهم للأرض، فلا يكاد الباحث يجد أمة لم يكن لها تاريخ في الأدب الساخر، وشخصيات ورسومات وأشعار وأخبار، ذلك أن النفس البشرية في تركيبتها تسعى إلى البهجة وتبحث عن السعادة والترويح ، والأدب الساخر بكافة أشكاله وتجلياته يمنحها من السعادة الشيء الكثير ومن البهجة ما يشرح خاطرا ويزيل هما و حزنا .
والأدب الساخر له أساليب وصيغ ومقومات ودعائم لا تصل رسالته بدونها، ولا يكتمل بناؤه في غيابها، كما أن له تمظهرات في الحياة الإنسانية منها النكتة المحكيّة نثراً أو شعراً، ومنها الرسوم الثابتة "الكاريكاتير"، ومنها القصة والرواية، ومنها المسلسلات والأفلام في العصر الحديث، وغير ذلك كثير.

وتعتبر السخرية طريقا خاصا للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في المجتمعات بلغة ساخرة ملؤها الضحك والمزاح .

إنها المرآة الصادقة للحقيقة من ناحية، كما أنها طريق للتعبير عن الاضطرابات، والمساوئ، والسيئات، ومعائب الفرد والمجتمع من ناحية أخرى .
ومن هذا المنطلق يدافع الأديب الساخر عن القيم الإنسانية إذ يدافع عن المعنويات في عصره ذائدا عنها عدم استقرارها، حاثا المشاعر الإنسانية ضد الخوف، والخرافات، والآلام مشيرا إلي مواضع الظلم حافزا علي الفهم كما أنه يوجّه أحاسيس الإنسان نحو الآلام و اكتشاف مواضعها.

والأديب الساخر يمتلك ظرافة تقدر على إضحاك الباكي الحزين المصاب بالآلام تأكيدا على ما يعانيه من تلك الآلام.

و في أدبنا العربي الفسيح الكثير مـن الأدباء الفكاهيين الذين أبدعوا في هذا النوع من الأدب، بل هنالك منهم من تخصص بكتابة الروايات والمسرحيات الساخرة ولقد عرف السلف من كتابنا أشكالاً عديدة للكتابة الساخرة في موروثنا الأدبي، علي نحو ما نجده في كليلة و دمنة، و البخلاء، وكتب المقامـات، والنـوادر، وأخبار الحمقـى والمغفلين، وأخبار الظرفـاء، وغيرها من الأشكال النثرية.
إنّ في السخرية قديمها وحديثها قدرا كبيرا من الغمز، واللمز، والهمز، من هنا كانت الفكاهة في السخرية وسيلة لا غاية في ذاتها.

وإذا تأملنا في حياتنا ندرك تمام الإدراك أن للبشر في مواجهة مواقف الحياة الصعبة أساليب شتى، فمنهم يستسلم لها ليسقط في هوة الذل و اليأس و القنوط، و منهم يواجهها بصرامة و شدة كبيرة تصل حد العنف و القتل ، و منهم من يواجه مصاعب الحياة بالضحك و السخرية و التعريض، و هذا الشخص هو الأديب الساخر العالم ، الناضج في فكره ، الواسع الحيلة ، الذي يدرك باللين، و الإضحاك و التهكم و السخرية الجميلة، أكثر مما يناله غيره بالعنف و القسوة و استعمال العضلات ، فيزيل مشكلاته و يقتل خصومه، و هم مطمئن هانئ البال .

و كذلك كان الأديب الجزائري الأصل ابن محرز الوهراني(ت 575هـ /1179م) من الأدباء الساخرين الأذكياء المغمورين، الذين ساروا على هذا النهج اللين في معالجة مواقف حياته و مشكلات عصره بالسخرية اللاذعة و التهكم من خصومه المتنوعين في كل مناحي الحياة الاجتماعية و السياسية و الأدبية و غير ذلك.
و رغم كل هذه الميزات التي تميز هذا الأديب الموهوب، إلا أن مقصلة التاريخ ، كانت ظالمة معه فألقت أدبه في الهامش بدعوى انه أدب مجون و خلاعة ، فلم يعطى تاريخيا لأدبه الفكاهي الساخر الهادف الجميل حقه الأوفى من الدراسة .

لقد كانت السخرية التي وصلت إلى حد الفحش والمجون من أهم الظواهر البارزة في أسلوبه كأديب يقدر الحياة من حوله و يتأثر بها و يؤثر فيها، ذلك لأنها تتخلل أدبه كله و تكون أدق أنسجته، و تشمله من السطح إلى الأعماق، بحيث يمكن أن تراها في كل شيئ .
و من هذا المنطلق ارتأينا في هذه الدراسة المتواضعة أن نستكشف هذا الأدب الساخر لهذا الأديب الجزائري المبدع المهمش المغمور في مصادر أدبنا العربي القديم و مراجعه الحديثة، و هذا من خلال دراسة أثاره الأدبية التي جمعها و حققها الأستاذان الجليلان إبراهيم شعلان ومحمد نغش في كتاب واحد جامع سمي بمقامات الوهراني و مناماته ورسائله، و طبع بدار الكتاب العربي للطباعة والنشر المصرية سنة 1968.

و قد حددنا لدراستنا عن هذا الأديب المبدع العنوان التالي :

السخرية و أساليبها في أدب ابن محرز الوهراني

و لعل من أبرز الأسباب الذاتية و الموضوعية التي قادتنا إلى طرق هذا الموضوع و خوض غمار هذه الدراسة الشائكة ما لمسناه في النقاط التالية :

- قناعتنا بالأهمية العظيمة للأدب الساخر في أدبنا العربي، إذ هو رسالة أقوى من الكلمات الجادّة ويصل لغايته بطريقة أسهل وأيسر، و يتناقله الناس بناء على إعجابهم بجماله وذكائه ومهارته وخفته، فهو مركب بالغ التأثير في إيصال الأفكار وتوجيه المجتمعات .
- إعجابنا بنصوص أدب ابن محرز الوهراني المتمثلة في مناماته و مقاماته و رسائله العجيبة الطافحة بالسخرية ،و رغبتنا في الاستمتاع بفنيات الوهراني الجميلة، و انبهارنا بصوره الكاريكاتورية الفكاهية المضحكة و أساليبه البلاغية الساخرة الطافحة بالخيال و المتعة و الإثارة، مما حتم علينا السعي إلى استكشافها و إبرازها للوجود و نفض الغبار عنها

- رغبتنا و توقاننا إلى الوقوف على العناصر الأسلوبية الفنية الجمالية للسخرية في أدبنا العربي و أدبنا الجزائري من خلال دراسة أدب الوهراني الساخر.

- وجود الأساليب الدرامية المسرحية الحديثة و بالأخص مسرحيات الملهاة الفكاهية الساخرة في أدب هذا الأديب الجزائري المغمور المهمش، مما تجعله رائدا في هذا المجال، و يظهر ذلك من خلال توظيفه للرمز و السخرية الشديدة، و من حيث البساطة و الارتجال، و من حيث استعمال الجرأة و الصراحة إلى حد الفحش و تعدد المشاهد و اللوحات و الخلفيات .

- تميز الأديب الوهراني في أدبه الذي ضم رسائله و مقاماته، بفن المنامات الأدبية التي تميز فيه عن سابقيه بان جعل المنامات مسرحيات ساخرة هادفة، وضع شخصياتها المتنوعة أقنعة لنقد الكثير من الظواهر الاجتماعية و السلوكية و الأخلاقية المنحرفة في عهده ، كإنتشار موجة اللهو و المجون و الفحش بين العوام و الخواص ، و سوء سلوكات أدعياء التصوف و الأطباء و القضاة و العلماء في ذلك العصر ، استعمل في ذلك النقد أسلوبه التهكمي الساخر الفاحش الذي لم يسلم منه أحد مقدسا كان أم مدنسا .

ولما كانت دواعينا وأسبابنا ورغباتنا المحفزة متنوعة ومتعددة في استقصاء ودراسة مثل هذا الموضوع الممتع والشيق، كان لزاما علينا طرح جملة من تساؤلات الدراسة و اشكالياتها التي كثيرا ما استوقفتنا نلخصها في التساؤلات البسيطة التالية :

هل هو هناك مفهوم خاص للسخرية في أدبنا العربي ؟؟ و هل هي غرض شبيه بغرض الهجاء و الفكاهة و التهكم ؟ أم هناك فروق بينها و بين هذه المصطلحات؟؟
و ما هي يا ترى ابرز أساليبها الشائعة الذكر في أدبنا العربي ؟؟؟
و كيف كانت الأساليب الشائعة في أدبنا العربي الفكاهي الجميل في مقامات و رسائل ابن محرز الوهراني ؟؟

هل كانت فيها تلك البصمة و الميزة الخاصة الذي امتاز بها الوهراني عن السابقين ؟؟ أم سار الوهراني على النهج القديم؟؟؟
و ممن سخر الوهراني في مقامته و رسائله ؟؟ كيف ذلك و لماذا ؟؟

و محاولة منا للإجابة عن هذه الأسئلة المتنوعة، كان لابد علينا الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج المتكامل الذي يجمع بين عدة مناهج ، كلما احتجنا منهجا اعتمدناه، حيث قمنا باستعمال المنهج الوصفي و التاريخي في الفصلين الأول و الثاني في ضبط تصور و مفهوم دقيق لمصطلح السخرية في أدبنا العربي، و ذكر نشأته و مختلف أساليبه البارزة، و قد كان للمنهج التاريخي دور أخر في استكشاف و تتبع حياة ابن محرز الوهراني و أحوال عصره السياسية و الأدبية، أما المنهج الفني فقد استكشفنا و تلمسنا به في الفصل الأخير الأنواع و الأساليب الفنية البديعة و المتميزة في مقامات و رسائل ابن محرز الوهراني الفكاهية على اختلافها و تنوعها الكبير .
و انطلاقا من هنا ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى ثلاثة فصول يحتوي كل فصل على مبحثين، حيث قمنا في الفصل الأول بالوقوف عند ماهية السخرية و بحثنا في مدلولها اللغوي و الاصطلاحي و الفرق بينها و بين شبيهاتها من المصطلحات القريبة لها كالهجاء و الفكاهة و التهكم ،ثم درسنا في مبحث ثان نشأة مصطلح السخرية في تراث البلاغة العربية و أدبنا العربي، ثم كان لنا وقفة في ذكر مختلف أساليب و صور السخرية الشائعة .
أما الفصل الثاني فخصصناه للتعريف بالأديب الساخر الوهراني فكان المبحث الأول استكشاف مختصر لحياته و وصف لأثاره الأدبية المتنوعة الذي جمعت في كتاب واحد هي مقامات الوهراني و رسائله ، أما المبحث الثاني فكان دراسة لبيئته و أحوال عصره السياسية و الفكرية و الأدبية التي تأثر بها في إبداعاته و كتاباته الساخرة.
أما الفصل الأخير فقد تضمن دراسة فنية لأنواع السخرية الاجتماعية و السياسية و الدينية و الأدبية ، و أساليب الوهراني البديعة المتنوعة الشائعة للتعبير عن السخرية من خلال أساليب التلاعب الساخر بالألفاظ ، و أسلوب الاقتباس و التضمين ، و فنيات الحوار و المبالغة و التصوير الكاريكاتوري الفاضح ،و التعريض و الكناية و غير ذلك من الأساليب المميزة في السخرية .
و في الخاتمة قمنا بتلخيص أهم النتائج المتوصل إليها مما عرضناه من نماذج و ما اعتمدناه من نصوص.
هذا و قد اعتمدنا في هذه الدراسة البسيطة على مجموعة من الكتب و المراجع من أبرزها كتاب السخرية في الأدب العربي لنعمان محمد أمين طه ، و كتاب السخرية في الأدب الجزائري للدكتور الجزائري محمد ناصر بوحجام، و كتاب الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق الذي حققه و درسه الدكتور صلاح الدين المنجد ، و كتب علوم البلاغة العربية المختلفة .

و قد واجهتنا العديد من الصعوبات أثناء تناول هذا الموضوع نذكر منها :

- ندرة و نقص المراجع و المصادر الدارسة أو المتعرضة لأدب الوهراني و حياته قديما و حديثا، و السبب وراء ذلك إقصاء أدب الوهراني في ركن الأدب المهمش المتهم بالخلاعة و المجون. .
- كثرة أساليب السخرية، و تنوعها و تشابكها في مقامات و رسائل ابن محرز الوهراني، مما صعب مهمة جمعها و تصنيفها و تنظيمها .

و حسبنا هنا أن يكون هذا العمل صورة من صور الافتتان بأدب ابن محرز الوهراني المغمور المهمش ، و محاولة بسيطة لاستكشاف جمالياته البديعة المتخفية .

و انه لا يسعنا في هذا المقام القصير إلا أن نشكر الدكتورالكريم عبدالقادر فيطس المشرف على موضوع مذكرتنا الذي أعاننا فيها ولم يبخل علينا بنصائحه ومساعدته في إنجاز هذا العمل.

فجازاه الله كل خير والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات.

احمد طيباوي . مسعد في 2015/02/25

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الفصل الأول
مدخل الى مفهوم السخرية

المبحث الأول : مفهوم السخريـــة .

المطلب الأول: المفهوم اللغوي و الاصطلاحي
المطلب الثاني: الفرق بين السخرية و شبيهاتها

من المصطلحات الأدبية :

أ- الفرق بين التهكم و السخرية
ب-الفرق بين الفكاهة و السخرية
ت-الفرق بين الهجاء و السخرية
ث-الفرق بين الظرف و السخرية

المبحث الثاني : نشأة السخرية و أساليبها .

المطلب الأول : لمحة عن نشأة السخرية في التراث الأدبي و البلاغي العربي .

المطلب الثاني : أساليب السخريـــة و صورها .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المبحـــث الأول : مفهـــوم السخرية

اتصل مفهوم السخرية بألفاظ كثيرة تحمل مدلولاتها، فقد ذكر للسخرية في المعاجـــم العربية معان مختلفة أحيانا ، و متداخلة أحيانا أخرى، و لم تحسن التفريق بينها بدقة فتركت المعنى العام الذي يشتمل السخرية و الاستهزاء والتهكم بدون تعريف يقربه من الأذهان ، و اختلاف الدراسات في مجال السخرية أدى إلى مدلولات متعددة ، و مصطلحات خاصة عند بعض الباحثين فقد ارتبطت بالغضب، والهجاء ، و الذم والضحك، والتندر،والدعابة ، والتفكه و النكتة ،والحسرة ،والهزأ والاستخفاف ، والتصوير الكاريكاتوري...1

و حتى يبرز لنا الفرق بين مفهوم السخرية و بين ابرز شبيهاتها من المصطلحات الأدبية، و لكي نبين مدى التداخل بينها سنقف بالتحديد عند دلالة هذا المصطلح من الناحية اللغوية و الاصطلاحية .

المطلب الأول: المفهوم اللغوي و الاصطلاحي

01/ المفهوم اللـــغوي :

يعود الأصل اللغوي لهذه الكلمة إلى الفعل (**سَخِرَ**) بكسر العين، وهو فعل لازم يتعدى إلى مفعوله بحرف الباء أو من، فيقال سَخِرَ منه و به .

و إذا رجعنا إلى معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور نجد كلمة " **سَخِرَ** " من قولنا : (سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً، بالضم،وسُخْرَةً وسِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسُخْرِيَّة: هزئ به ، و يروى بيت الأعشى الباهلي على وجهين:

إني أَتَتْنِي لِسانٌ، لا أُسَرُّ بها مِنْ عَلْوَ لا عَجَـبٌ منها ولا سُـــخْرُ

ويروى: ولا سَخَرُ، وقد قال ذلك لما بلغه خبر مقتل أَخيه المنتشر) . 2

قال **الأَزهري**: وقد يكون نعتاً كقولهم: هُم لك سُخْرِيٌّ وسُخْرِيَّةٌ، من ذكَّر قال سُخْرِيّاً، ومن أَنث قال سُخْرِيَّةً، و قال الفراء : يقال سَخِرْتُ منه، ولا يقال سَخِرْتُ به. قال الله تعالى: **((لا**

1- ينظر محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ، مطبعة جمعية التراث غرداية ، (د .ط) ، 2004، ص 19

2- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ،ط 6، (د.ت) مج4 ص 352

يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ)) 1 ، وسَخِرْتُ من فلان وهي اللغة الفصيحةُ، وقال تعالى:((**فيَسْخَرُونَ منهم سَخِرَ اللهُ منهم**)) وقال سبحانه و تعالى: **((إن تَسْخَرُوا مِنَّا فإِنَّا نَسْخَرُ منكم))** 2

والسُّخْرَةُ : الضُّحْكَةُ، و رجل سُخَرَةٌ : يَسْخَرُ بالناس، وفي التهذيب: يسخَرُ من الناس .
وسُخْرَةٌ: يُسْخَرُ منه، وكذلك سُخْرِيّ وسُخْرِيَّة؛ من ذكَّره كسر السين، ومن أَنثه ضمها، وقرئ بهما قوله تعالى **((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً))**.3

والسُّخْرَةُ: ما تسَخَّرْتَ من دابَّة أَو خادم بلا أَجر ولا ثمن، ويقال: سَخَرْتُه بمعنى سَخَّرْتُه أَي قَهَرْتُه وذللته، والشمسُ والقمرُ مُسَخَّران يجريان مجاريهما أَي سُخِّرا جاريين عليهما،و قال الله تعالى**((وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ))** 4

و السُّخريُّ، بالضم، من التسخير والسِّخريّ، بالكسر، من الهُزْء. وقد يقال في الهزء:

سُخري وسِخري، وأَما من السُّخْرَة فواحده مضموم. وقوله تعالى: **((فاتخذتموهم سُخْرِيّاً حتى أَنسوكم ذكري))** .5

ويقال: خادمٌ سُخْرة، رجلٌ سُخْرة أَيضاً: يُسْخَر منه، وسُخَرَةٌ، بفتح الخاء، يسخر من الناس 6.

ويقال: سَخَرْتُه بمعنى سَخَّرْتُه أَي قهرته، و رجل سُخْرَة: يُسَخَّرُ في الأَعمال و يَتَسَخَّرُه من قَهَره، وسَخَرَتِ السفينةُ: أَطاعت وجرت وطاب لها السيرُ، والله سخَّرَها تسخِيراً، والتسخيرُ: التذليلُ، وسفُنٌ سواخِرُ إِذا أَطاعت وطاب لها الريح، وكل ما ذل وانقاد أَو تهيأَ لك على ما تريد، فقد سُخِّرَ لك.7

و قد استعمل القرآن الكريم هذه المادة (**سخر**) بهذا المعنى ست عشر مرة 8 ، و شاع استعمال الشعراء له بهذا المعنى منذ القدم ، يقول عبيد بن الأبرص:

وساخرةٍ مني ولو أن عينَها رأتْ ما أُلاقيه من الهَوْلِ جُنّتِ

أزَلٌ و سِعلاةٌ وغولٌ بقَفرةٍ إذا الليلُ وارى الجِنَّ فيه أرنَّتِ 9

1- سورة الحجرات الآية 11 .
2- سورة التوبة الآية 79 و الآية الأخيرة من سورة هود الآية 38.
3- ابن منظور. لسان العرب ،المرجع السابق ، مج4 ص 353 .
4- سورة النحل آية 12 .
5- سورة المؤمنون آية 110 .
6- ابن منظور، لسان العرب ، المرجع السابق، مج4 ص 354 .
7 المرجع نفسه ، نفس الصفحة .
8- ينظر في الآيات الكريمة : البقرة 212، الأنعام 10، التوبة 79، هود 38، الأنبياء 41، المؤمنون 110، الصافات 14-14، ص 63، الزمر 56، الحجرات 11،
9- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، تحقيق قاسم الشماعي، دار القلم بيروت لبنان ط 1 1987 جزء 2 ص165

و من ذلك قول عبد المسيح بن عسلة العبدي :

فأما أخو قرط ، و لست بساخر فقولا له : يا أسلم بمرة سالما 1

و من مرادفات السخرية (**الهزء**) الهاء، و الزاء، و الهمزة، كلمة واحدة يقال : هزئ ، و استهزأ إذا سخر 2 و الهزء ،و الهزؤ : السخرية ، و هزئ به و منه ، و تهزأ و إستهزأ به : سخر ، ورجل هزأة – بالتحريك - : يهزأ بالناس، وهزأ – بالتسكين - : يهزأ به 3 ، فالهزء سخرية ، و هو شائع و مستعمل بهذا المعنى ، و قد ورد في القرآن الكريم أربعا و ثلاثين مرة بصيغ متعددة ، و استعمله الشعراء كذلك بمعنى السخرية ، يقول عبدالله بن سلمة الغامدي :

ولم أَرَ مِثْلَ بِنْتِ أَبِى وَفاء غَدَاةَ بِرَاقِ ثَجْرَ وَ لا أَحوبُ

عَلَى ما أَنَّها هَزِئَتْ وقالتْ: هَنُونَ، أَجُنَّ؟ مَنْشَأُ ذَا قَرِيبُ 4

و قد جمع الإمام الجوهري كذلك معنى السخرية بالهزء و التذليل 5 ، خاصة و انهما وردتا معا في عدة مواضيع من القرآن الكريم ، نذكر قوله تعالى في **(و لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذي م سخروا منهم ما كنوا به يستهزئون) .** 6

أما (**الضحك**) فهو انبساط الوجه، و تكشر الأسنان من سرور النفس ، و لظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان و الضواحك، و قيل ضحكت منه ، ورجل ضحكة يضحك من الناس ، و ضحكة لمن يضحك منه ، و استعمل الضحك بمعنى السخرية في القرآن الكريم في عدة مواضيع، منها قوله تعالى عن فرعون و قومه : **(فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ)**7، أي استهزءوا بها أول ما رأوها 8 ، و قوله تعالى مخاطبا أهل النار: **(إِنَّهُ كَانَ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ)** و تضحكون هنا أي تستهزئون و تسخرون . 9

1- المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، المفضليات، تحقيق و شرح احمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف مصر، ط 1962 ، ص 304 .

2- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ،معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ، ط 1979 ، مادة (هزأ) .

3- ابن منظور.لسان العرب . المرجع السابق ، مادة (هزئ)

4- المفضل الضبي .المفضليات، المرجع السابق، ص 103

5- أبو نصر إسماعيل بن حمادة الجوهري : الصحاح ، تاج اللغة و صحاح العربية، راجعه واعتنى به د/ محمد محمد التامر و أنس محمد الشامي و زكريا جابر احمد ، دار الحديث القاهرة، 1430هـ/2009م، ص 525 .

6- سورة الأنعام آية 10 .

7- سورة الزخرف الآية 47.

8- محمود شكري الآلوسي . روح المعاني في تفسير القران و السبع المثاني،دار إحياء التراث العربي بيروت،ط 4 .1984 جزء 25 ص87 .

9- المرجع نفسه جزء 18 ص69

و يوم القيامة ضحك المؤمنون من مصير الكافرين ، فيردون عليهم ضحكهم و هزأهم كما في الآيات (**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ... فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)** . 1

و استعمل الضحك في الشعر بمعنى الهزء ، يقول عبد يغوث بن وقاص:

أتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا 2

و الضحك يستعمل بمعنى الهزء و السخرية كما في الشواهد الماضية، و يستعمل في مطلق السرور و في التعجب فيكون تهكما و سخرية و يكون عبثا و لهوا و مجانة و يكون فكاهة .

و من هذه الألفاظ التي تستعمل أيضا بمعنى السخرية (**التنذير**) من ندر الشيء ندوراً ، يفيد معنى السقوط، و يقال : أسمعني النوادر، و فلان يتنادر علينا 3، و في التنذير معنى السقوط و كأن المتندر يحاول إسقاط أو إظهار العيوب بطريقة ملتوية فيها تجاهل و إظهار لنوادر الشخص الذي يتندر به 4 ، و التنذير ليس سوى تعبير ساخر بالجد و الهزل5 ، و يعده بعض بعض البلاغين بهذه التسمية أحد أساليب البديع الساخرة مع أنه يمكن أن يدخل في بعض الأساليب البديعية الأخرى كالتهكم و الهزل الذي يراد به الجد لأنه غالبا ما يقع في الهزل6.

و هناك ألفاظ تلازم السخرية و الإستخفاف ، منها (**الإهانة**) و (**الإحتقار**) فالسخر أصل يدل على إحتقار و إستذلال و كثيرا ما يجمع بينهما ، كما عند ابن رشيق في العمدة حيث يقرن بين الإستحقار و الإستخفاف ، كما عند السكاكي أيضا .

و ابن الأثير الحلبي يعد من وضيع الهجاء ما خرج مخرج التهكم و الإستهزاء ، و تجاهل العارف ، و نوع يقال له الإحتقار 7، و الإحتقار إستصغار ، و كثيرا ما يصاحب السخرية و يأتي بمعناها .

أما (**الإهانة**) فهي مصدر أهان ، و إستهان به و تهاون به : استخف به، و رجل فيه مهانة: أي ذل، و المهانة من الحقارة ، و إستهان به و تهاون به: إستحقره 8 ، فالإهانة : إستخفاف و و إستذلال و تحقير ، و كل ذلك يلزمه غالبا و يصحبه التهكم و السخرية ، و تعرف السخرية

1- سورة المطففين الآيتان 29-34 . .

2- عبد يغوث بن صلاءة أو ابن الحارث بن وقاص ابن صلاءة، كان شاعرا من شعراء الجاهلية فارسا سيدا لقومه و هو قائدهم في يوم الكلاب و فيه أسر فقتل ، و هذه أشهر قصائده ، انظر الأغاني جزء 16 ص 328 .

3- جارالله محمود بن عمر الزمخشري أساس البلاغة ، تحقيق عبدالرحيم محمود.دار المعرفة بيروت لبنان ط سنة1991 مادة (ندر)

4 ينظر نعمان محمد امين طه السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،دار التوفيقية بالأزهر،ط1978،1،ص 11

5- ابن أبي الإصبع المصري تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، تحقيق حنفي محمد شرف،لجنة احياء التراث الإسلامي،الجمهورية المتحدة د ت، ص 571 .

6- شهاب الدين الحلبي ،حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة بغداد 1982،ص 307

7- نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز أو تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الاسكندرية ص 312-313 .

8- ابن منظور.لسان العرب . المرجع السابق ، مادة (هون) .

بأنها إنزال الهوان و الحقارة كما عند الزمخشري1 ، أو الاستحقار و الاستهانة كما يقول القرطبي2 و بالإستحقار و الإستهانة و التنبيه على العيوب في تعريف طاش كبرى زادة 3، فالسخر أصل من عناصره الاحتقار و الإهانة و يغلب مصاحبته لهما .

هذه الألفاظ التي تدل على السخرية كما في كتب النقد و البلاغة العربية ، و لا شك أن أحدا لا يدعي أنه ليس في العربية ألفاظ أخرى تدل على هذا المعنى ، إنما هذه تقريبا هي الألفاظ التي كانت تدور بهذا المعنى في كتب الأدب و النقد ، و النوادر و الأخبار ، و هناك صعوبة تواجه كل من أراد أن يتصدى لإيجاد فروق واضحة بين هذه الألفاظ ن ففي المعاجم تذكر هذه الألفاظ بمعنى السخرية " و مهما أدرنا الألفاظ على وجوها فلن تسعفنا الدلالات المعجمية على مناحي الخلاف بصورة واضحة محددة"4 .

و قد إخترنا لفظة (السخرية) لأنها كما يبدو أقرب الألفاظ للدلالة على المعنى المقصود، و لكثرة دوراتها على ألسنة الأدباء و النقاد حتى صارت علما لإتجاه أدبي معروف يسمى (بالإتجاه الساخر) أو (الأدب الساخر) ، و كثيرا ما يوصف شاعرا أو اديب بأنه (شاعر ساخر) أو (أديب ساخر) ، و لأمر ما إستعمل القرآن الكريم هذه اللفظة للدلالة على هذا المعنى ست عشر مرة ، و حينما أراد القرآن الكريم أن يصرح بالنهي عن إستخدام هذا الفعل ترك كل المترادفات و عبر بلفظ (السخرية) فقال تعالى **(لا يسخر قوم من قوم)**5، ثم إن لفظة (السخرية) كما دلت على لك معاجم اللغة فيها معنى (التسخير) أي التذليل ، و الساخر يحاول دائما إخضاع خصمه و تذليله " و في حروف الكلمة إحساس بالطراوة و الخبث و الدهاء، بعكس لفظة (تهكم) التي تدل على تهدم و تقحم، ففي لفظ (السخرية) لين أشبه بلين الأفاعي . 6

01/ المفهوم الاصطلاحي :

لو أردنا تعريف السخرية لوجدنا صعوبة كبيرة ، لأن السخرية فن، و الفنون أعمال نابضة بالحياة، لا يمكن تعريفها و الإحاطة بها ببعض ألفاظ قاصرة ، إذ الفن حي متحرك و الألفاظ مهما تكن جامدة ساكنة 7 ، ثم إن السخرية انفعال ، و من أصعب الأشياء محاولة تعريف الانفعالات أو وصفها ، لذلك رأينا كثيرا من الباحثين الذين تصدوا لتعريف السخرية أو وصفها يصرحون بهذه الصعوبة .

1- جارالله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ،دار المعرفة بيروت ،دت ،جزء1 ص35
2- أنظر محمود شكري الالوسي ، روح المعاني المرجع السابق جزء 26 ص 152 .
3- طاش كبري زاده ، مفتاح السعادة و مصباح السيادة ، دار الكتب الحديثية القاهرة ،جزء3 ص 353 .
4- شوقي محمد المعاملي، الإتجاه الساخر في أدب الشدياق، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط 1987،ص 10 .
5- بعض الآية (11) من سورة الحجرات.
6- أنظر نعمان محمد أمين طه ،السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ص 13.
7- المرجع نفسه،ص 14.

و قد حاول عالم النفس النمساوي **ألفريد آدلـر Alfred Adler** (1870-1937) أن يحللها ، فقال :" **هي خليط من انفعالين هما الغضب والاشمئزاز: فنحن إذ تثور فينا غريزة النفور نشمئز، فإذا عدا الشيء الذي أثار اشمئزازنا على صفاء عيشنا، من أية ناحية من النواحي، بعثت فينا غريزة المقاتلة والانفعال المقترن بها، وهو الغضب، فدفعا بنا إلى السخرية مما بعث اشمئزازنا أو ممن أثاره في نفوسنا ، ولا يخلو هذا من عنصر الزهو، لأننا ننزع إلى الرضا عن أنفسنا والاسترواح إلى شعورنا، عقب مطاوعة السخرية والانسياق معه (.....) إنها مركبة من غرائز ثلاث :الغضب، الإنتقام، الخضوع..**" [1]

و رغم معرفتنا بأن تعريف السخرية تعريفا جامعا أمر بالغ الصعوبة إلا أننا حاولنا أن نتتبع أشهر الذين تعرضوا لتعريفها ، و من أوائل هؤلاء الزمخشري حيث يقول في معرض تفسير معنى إستهزاء الله عز وجل بالمنافقين: فما معنى إستهزائه بهم ؟ قلت : **معناه إنزال الهوان و الحقارة بهم ، لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة و الزراية ممن يهزأ به ، و إدخال الهوان و الحقارة عليه.** [2]

و ينقل الألوسي عن القرطبي قوله :" **السخرية : الاستحقار و الاستهانة و التنبيه على العيوب و النقائص بوجه يضحك منه، و قد تكون بالمحاكة بالفعل و القول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلام المسخور منه إذا تخبط فيه أو غلط ، أو على صنعته أو قبح صورته ".** [3]

و تعرفها معاجم الأدب على **أنها طريقة في الكلام الذي يُعبّر بها الشخص عن خلاف ما يقصده بالفعل، كقولنا للبخيل :ما أكرمك** [4] ، و كذلك على أنها **"نوع من الهزء قوامه الإمتاع من إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب والقاء الكلام بعكس ما يقال"**[5] ، و تعرفها أيضا بأنها **"منهج جدلي يعتمد على الاستفهام بمفهومه البلاغي البلاغي إذ تغير طريقه في توليد الثنائية و التعليم على البعد المعرفي**[6]

و ممن تناول السخرية بالتعريف طاش كبري زادة في المطلب الأول من أفات اللسان، يقول : **و من الآفات السخرية و الاستهزاء و معناه الاستحقار و الاستهانة و التنبيه على العيوب و النقائص على وجه يضحك منه و قد يكون بالمحاكاة في الفعل و في القول ، و قد يكون بالإشارة و الإيحاء** [7]، و هذا التعريف قريب جداً من تعريف القرطبي السابق

1- نعمان محمد أمين طه ،السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ،ص 15.
2- جار الله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف مرجع سابق، جزء1 ص 35 .
3- محمود شكري الالوسي ، روح المعاني في تفسير القران و السبع المثاني مرجع سابق،جزء 26 ص 152 .
4-مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب،مكتبة لبنان بيروت ط2 سنة1984 ص 198
5- جبور عبدالنور،المعجم الأدبي،دار العلم للملايين بيروت لبنان،ط 1979 ، ص 138 .
6- سعيد علوش ،معجم المصطلحات الأدبية و المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان ط 1985 ، ص 110 .
7- طاش كبري زاده ، مفتاح السعادة و مصباح السيادة مرجع سابق،جزء 3 ص 353 .

و من الأدباء و الباحثين المحدثين الذين حاولوا تعريف السخرية المازني الذي يرى **أن السخرية عبارة عما يثيره المضحك أو غير اللائق من الشعور بالتسلي أو التقزز ، على أن تكون الفكاهة عنصرا بارزا و الكلام مفرغا في قالب أدبي**1، و لا أعلم ما العلاقة بين السخرية و الشعور بالتقزز.

و ممن تناول السخرية بالتعريف عبد الحليم حنفي ، يقول : **" السخرية أسلوب أو سلاح عدائي، مهما كانت دوافعها ، و مهما كان مقامها ، و مهما صغرت درجتها أو كبرت ، و يتميز عن غيره من أساليب العداء بأنه مصوغ بروح الفكاهة و أسلوبها**2، و ليست السخرية عدائية دائما ، بل قد تكون عدائية مهما كان مقامها أو دوافعها فأمر لا يستقيم هكذا على إطلاقه إلا إن كنا نقصد أنها كذلك من وجهة نظر المسخور منه .

و يعرف الدكتور نعمان محمد طه السخرية بأنها **النقد الضاحك أو التجريح الهزئ**3.

أما قحطان التميمي فيقول : **" السخرية في الشعر طريقة تعبيرية متطورة ، توسل بها الشعراء لنقد الأوضاع السياسية و الاجتماعية و السير الفردية ، و النيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة و السباب المحض، و يتنزه عن القذف و الإيغال في الفحش و رفث القول" .**4

و يعرفها سليمان الشبانة **بأنها الإستهزاء من الشخص أو المواقف بأسلوب يثير الضحك منه ، و يقصد إهانته و احتقاره ، لتحطيم معنويته الشخصية ، و الإبتعاد عن مواقفه الشائنة "**5 .

أما الدكتور حامد عبده الهوال فيعرفها **بانها فن إبراز الحقائق المتناقضة و الأفكار السلبية في صورة تعزى بمقاومتها، و الرد عليها و إيقاف مفعولها،من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر أو يبدو في موقف يكون فيه هدفا للانتقام** 6 .

اما الدكتور الجزائري محمد ناصر بوحجام فيعرفها على أنها : **طريقة فنية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن آراء و مواقف ذات رؤية خاصة ، و بصيغة فنية متميزة ، و هي أسلوب نقدي هازئ ، هداف في التعبير عن أفعال كعدم الرضا بتناقضات الحياة و تصرفات الناس** و كشف الحسرة و المرارة بطريقة غير مباشرة ، بعيدا عن العاطفة الجامحة ، و الانفعال

1- ابراهيم عبدالقادر المازني حصاد الهشيم،مطابع دار الشعب،مصر، دت ، ص 302 .
2- عبد الحليم حنفي ،أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1987 ، ص 15 .
3- أنظر نعمان محمد أمين طه ،السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ،ص 14
4 - قحطان رشيد التميمي، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري،دار المسيرة بيروت لبنان، دت ،ص 356 .
5- سليمان محمد الشبانة ،الرسوم الساخرة في الصحافة (الكاريكاتور) دراسة تحليلية شركة العبيكان ،الرياض السعودية،ص 10.
6- حامد عبده الهوال،السخرية في ادب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1987، ص 35 .

الحاد قصد الإصلاح و التقويم و التغيير نحو الأحسن ، و طلبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة [1].

من خلال هذا المفهوم نجد أن السخرية تتطلب ذكاء في التعبير عن آراء خاصة بطريقة متميزة و غير مباشرة ، و بأسلوب نقدي لبلوغ هدف معين قد يتمثل في إصلاح و التقويم أو محاولة التنفيس عن آلام مكبوتة كانت نتيجة أسباب معينة .

و مما ورد أيضا في تعريفها قول الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الفكاهة في مصر) : " **السخرية أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء ، و خفاء ، و مكر ، و هي لذلك اداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الذين يهزؤون بالعقائد و الخرافات ، و يستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم ، و هي حينئذ تكون لذعا خالصا ، و قد تستخدم في رقة ، و حينئذ تكون تهكما إذ يلمس صاحبها لمسا رقيقا...**"[2].

يتابع شوقي كلامه فيقول : " **و على ذلك فاللذع و التهكم لونان من ألوان السخرية** ....."[3].

من خلال هذا القول نجد أن شوقي ضيف في مقاربته لمفهوم السخرية ، و في تحديده لها يعتبرها جزء لا يتجزأ من الفكاهة ، لما تنطوي عليه من ذكاء ، و مكر قد لا نجده في الأنواع الأخرى من نادرة أو دعابة ، كما يفرق بينها و بين اللذع و التهكم فيعتبرهما جزأين منها

بالإضافة إلى ما سبق يمكن إعتبارها– أي السخرية- وسيلة للنيل من الآخرين ، لتحقيق أهداف متعددة منها : الإساءة، و التشفي، و إظهار التفوق ، و التخلص من ظروف قاهرة، و الاستخفاف ، و الاستهانة ، و عدم الاكتراث ، كما أنها أسلوب لدفع الأذى و تفريغ الطاقة[4].

لهذا قد يغضب الأديب و يثور ، و يؤثر أحيانا أن يخفي في نفسه الغضب ، و الثورة و يحرص على ضبط أعصابه متكلفا الضحكة أو البسمة ، لينال من خصمه بطريقة يعدل فيها عن الهجوم و السباب إلى لون آخر و هو السخرية[5].

و ليس في كل التعاريف السابقة ما يمكن أن يصف لنا جوهر السخرية، إنما يلامس كل واحد جانبا من جوانبها ،أو يعدد بعض وسائلها أو عناصرها ، أو يذكر عض مرادفاتها ، كأن يقول : " هي الإستحقار و الإستهانة، [6]، أو يعدد بعض أساليبها بقول : " و قد يكون بالمحاكاة في الفعل و في القول ، و قد يكون بالإشارة و الإيحاء"[7] أو يقول :" بأنها أسلوب

1-ينظر محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ، مرجع سابق ص 32 .
2- فتحي محمد معوض أبو عيسى،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط 1970 ، ص 35، نقلا عن شوقي ضيف، في الشعر و الفكاهة في مصر.، دار المعارف القاهرة مصر، ط 1999 .
3- المرجع نفسه ، نفس الصفحة .
4- ينظر فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي ، دار المعارف للطباعة و النشر ، سوسة ، تونس،(د ط) ، (د.ت)، ص 14
5- المرجع نفسه ، ص 31 .
6- محمود شكري الالوسي ، روح المعاني في تفسير القران و السبع المثاني مرجع سابق ،جزء 26 ص 152 .
7- طاش كبري زاده ، مفتاح السعادة و مصباح السيادة مرجع سابق ،جزء 3 ص353 .

أو سلاح عدائي"[1]، و هي ليست هكذا دائما ، أو يحصر بعض هذه التعاريف السخرية في النقد الضاحك أو التجريح الهازئ[2] مع أنه كثيرا ما تكون غير نقد ولا تجريح ، ففي الدنيا من السخرية بقدر ما فيها من الساخرين .

ويمكن أن تعد هذه التعاريف السابقة للسخرية محاولات لوصف السخرية أو توضيحها او شرح بعض جوانبها ووسائلها وأساليبها وعناصرها ، أما جوهر السخرية وحقيقتها فأمر يتعالى على التعاريف والأفضل للباحث أن ينصرف ألي معرفة حقيقة السخر عن طريق وصف الفنان الساخر واستبطان نفسه ، وتحليل الأعمال الساخرة والبعد عن محاول تعريفها بعبارات منطقية محددة [3] .

المفهوم الاصطلاحي للسخرية في البلاغة الغربية الحديثة :

إن هذا الاضطراب الذي عايناه في إعطاء مفهوم للسخرية (**irony/ ironie**) معاين حتى في الثقافة الغربية، فقد سجل د.س ميوك **mueke.d.c** أنه "لأسباب مختلفة، بقي مفهوم السخرية مفهوما غير مستقر، مطاطا وغامضا. فهو لا يعني اليوم ما كان يعنيه في القرون السابقة، ولا يعني نفس الشيء من بلد إلى آخر، وهو في الشارع غيره في المكتبة، وغيره عند المؤرخ والناقد الأدبي. فيمكن أن يتفق ناقدان أدبيان اتفاقا كاملا في تقديرهما للعمل الأدبي، غير أن أحدهما قد يدعوه عملا ساخرا، في حين يدعوه الثاني عملا هجائيا **satirique** أو هزليا **comique** أو فكاهيا **Humoristique** أو مفارقا **Paradoxale** أو غامضا **Ambigue**. [4]

فقد اعتبرها صامويل جونسون (**Samuel Johnson**) شكلا خِطابيا يكون فيه المعنى مناقضا للكلمات [5].

بمعنى أنها تستبطن وِجهة نظر ماكرة لا يُسعِف المعنى الأول أو ظاهر النص في الإمساك بها. وقد فصّل (**معجم أُكسفورد الوجيز**) هذه الخصوصية بما لا مزيد عليه من الوضوح، حينما انتهى إلى أن السخرية تعبير عن معنى بلُغة ذات نزوع متعارِض أو مختلف. وهي على الخصوص تظاهُرٌ بتبني وجهة نظر أخرى في نبرة تستهدف الهزْء. وهي استعمال للغة يكون له معنى باطنيا للمستمعين المفضَّلين، ومعنى سطحيا للأشخاص المعنيين[6].

1- عبد الحليم حنفي ،أسلوب السخرية في القرآن الكريم مرجع سابق،ص 15.
2- نعمان محمد امين طه ،السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ،ص 14 .
3- المرجع نفسه، ص 16 .
4 -MUECKE D. C . Analyses de l'ironie in Poétique, Seuil.1978.p36.
5 -D.J. Enright : The Alluring Problem An Essay on Irony ; Oxford - New York, Oxford University Press 1986. p5
6- المرجع نفسه نفس الصفحة .

وإن هذا التظاهر بتبني وجهة نظر أخرى في نبرة هازئة تهكمية، ليُنتِج نوعا من الضحك الكلامي أو التصويري، بواسطة المشي البهلواني الساحر على حافتي البنية العميقة والسطحية للغة .

و لربّما لهذا السبب اعتبر دافيد بال (**David Ball**) السخرية ظاهرة معقَّدة. ومن المفارقة أن أهم سبُل توليدها يقوم على اختزال ما يتم الحديث عنه .

وإن استعمال الاختزال خدمة للمقاصد الساخرة العميقة لمن شأنه أن يفضي إلى إعادة تحديد الأشياء المعروفة تحديدا ساخرا [1].

ولا شك أن هذا يستجيب لطبيعة السخرية القائمة على الهزء المبني على شيء من الالتواء أو الغموض،أَلَيس باعثها هو عنصر "الغرابة" في اللّذع أو التهكم بطريقة التورية القائمة على الغموض والمواربة والمقابلة بين الواقع والمُثُل العليا .

ولعله من بين الأسباب المختلفة التي ساهمت في اضطراب مفهوم السخرية في الأدبيات البلاغية الغربية، كون هذا الموضوع لم يحظ من عناية الدارسين بمثل ما حظيت به موضوعات أخرى تنتظم في الإطار ذاته كالاستعارة والكناية والمجاز المرسل.. وقد يعود السبب في هذا الضمور النسبي في دراستها إلى عاملين: الأول تاريخي ويتعلق بإهمال أرسطو لهذا النوع من الأساليب البلاغية وهو إهمال مرده إلى موقفه المنبني على الإزدراء بالكوميديا لأنها تنهض على محاكاة أفعال الشرائح الوضيعة، والعامل الثاني بنيوي، وحاصله أن الخطاب الساخر وما تفرع عنه وانتظم في إطاره من أنواع يتأبى على التحليل الأسلوبي والإنشائي الصارم.

غير أن الأمر تغير في يومنا هذا؛ حيث تزايد الاهتمام بالسخرية من قبل الدارسين المحدثين أو السخرياتيين **Ironologues**، الذين صار يتحدث عنهم بهذه التسمية على غرار الشعريين **Poéticiens**، كما أن مجال فاعلية السخرية تراحب وامتد ليشمل متنها اللغة الطبيعية لفظية كانت أو مقامية، وباقي أنظمة التواصل والتعبير الشبيهة باللغة كالفنون التشكيلية والكاريكاتير والموسيقى المرافقة أو الغناء الساخر، والإشارات ممثلة في الحركات الجسدية في المسرح والسينما والتصفيق الساخر.. هذا فضلا عن الإعلانات الإشهارية.

وبالرغم من هدا فقد حاول البلاغيون المحدثون أن يوسعوا مجال السخرية انطلاقا من أنساق بلاغية ذات قدرة تفسيرية،ودلك من خلال حوار مع معطيين المتن النصي واللآلية الحوارية.

1 - David Ball : " La définition Ironique " ; Revue de Littérature Comparée , Lib. M. Didier , N° 3. 1976. p 2013

1/ **المتن الساخر:**وهو عبارة عن متن شاسع في اللغة وخارج اللغة مثل : الرسم الكاريكاتيري، والديكور المرفق للعروض الهزلية،والإشارات الجسدية كالتصفيق ، والموسيقى " [1]

2/ **البعد الحواري للسخرية:"**وهو الحالة الوجدانية المتميزة التي تعتبر جانبا تقويميا،كضحك الاستخفاف أو غصته." [2]

فمكونات الخطاب الساخر تتكون من :

أ_ مكون انفعالي أو تأثيري أو مقصدي :"وهو عبارة عن الاستخفاف المشتمل على الضحك والاستهجان،أو مجرد الإحساس بالمفارقة"[3]

ب_ مكون بنائي أو لساني:"وهو يتجسد من خلال المفارقة الدلالية وما يترتب عنها من غموض والتباس." [4]

و معنى ذلك أن منطق السخرية يقوم أساسا على الإحساس بمفارقة دلالية يشكلها تقاطع بنية ضدية بين المعنى الظاهر و المعنى الملتبس و الذي يؤدي لإنفعال الضحك أو الرغبة فيه

واعتمادا على هذين المكونين عرفت جماعة "مي"السخرية بقولها:"ليست السخرية شيئا آخر غير تقاطع بنية ضدية مع انفعال هازئ." [5]
اذن هو تقاطع هدين المكونين، كما بينه هدا المخطط [6] :

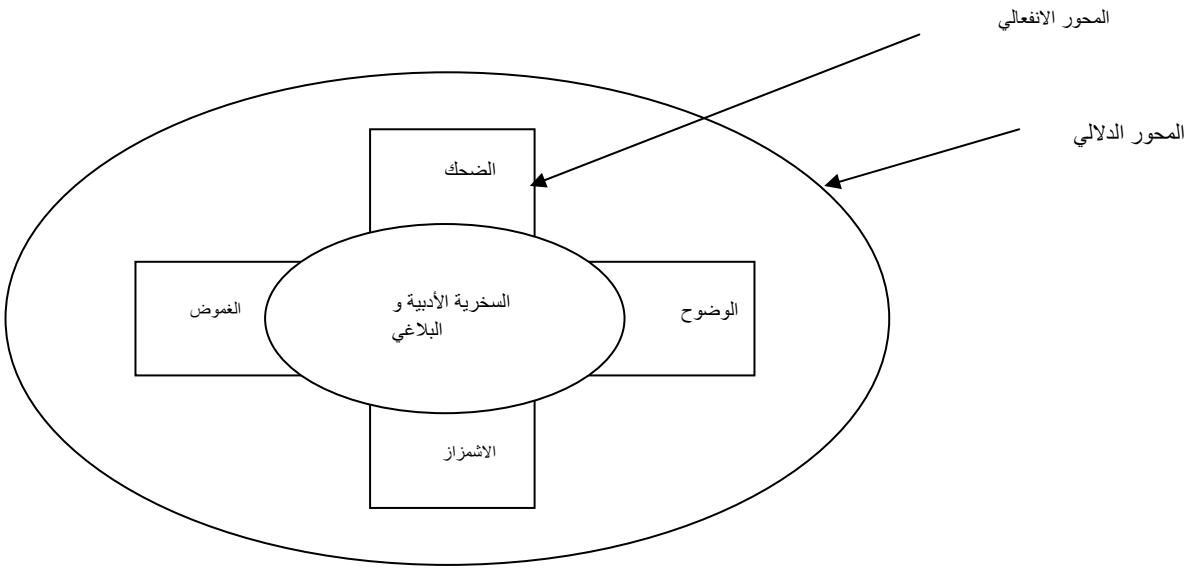

1- ينظر العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.أفريقيا الشرق-المغرب ط .2005.ص85
2- ينظر المرجع نفسه ص 86 .
3 - KERBRAT-ORECCHIONI, C. (1978) « Problèmes de l'ironie », dans L'ironie. Travaux du Centre de Recherches linguistiques et sémiologiques de Lyon . p11
4- ينظر العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.المرجع السابق ص87
5 - Groupe Mu, « Ironie et iconique », Poétique, 9, 1978. p 428-429.
6- ينظر العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.المرجع السابق ص 87

فيظهر هدا المخطط تقاطع المكون الدلالي الذي يمتد من أقصى درجات الوضوح إلى أقصى درجات الغموض والمفارقة،والمكون الانفعالي الممتد من الضحك إلى الاشمئزاز،ويمكن اتساع دائرة السخرية في اتجاه هدا الطرف أ وذاك متكون أكثر غموضا أو إيضاحا،أو تميل إلى الضحك أو إلى الاشمئزاز والاستهجان"[1]

وقد حدد "بير أليمان"السخرية الأدبية من زاوية الوضوح والالتباس بقوله:"النص الساخر المثالي هو النص الذي تكون السخرية فيه افتراضية نظرا لغياب القرائن فيه غيابا كليا." [2]

وعليه فان استعمال العمد يضر بالسخرية ويقلل من قيمتها،لكن لا يهمل المعنى تماما،بل لا بد من قدر من الشفافية،كما تعتمد السخرية الخلط بين الضحك المقترن بالفرح،والضحك المقترن بالحزن، وكل مكون مشروط بمقابلته الضحك مشروط بالمرارة،والالتباس مشروط بالوضوح،والمبالغة في جانب ما على حساب الجانب الآخر.وهناك عناصر متفاعلة في إنتاج الخطاب الساخر،فالعلاقة بين الساخر والهدف،وكفاءة المتلقي الواقعي أو المفترض لها دور فعال في تحديد القدر الذي تأخذه السخرية من هدا المكون أو ذاك،ويمكن النظر إلى هذا التفاعل من عدة زوايا [3]:

1 – حال المخاطب:وهو قدرته على تفكيك الرموز،وتحديد الغرض من السخرية،وهدا يظهر جليا في السخرية الشفوية على خشبة المسرح.

2-حال الساخر:ومستواه الثقافي يحدد قدرته على بناء السخرية،فكلما ارتفع مستواه كلما أعتمد وسائط متعددة،بعيدة الدلالة،وكلما تدنى كلما اختل التوازن بالميل إلى النقد الفج.

3-الظروف المحيطة بالخطاب:وهو ما يترك فيه قدر من الحرية للخيال في بعض أنواع السخرية، كالسخرية السياسية الفكرية المكتوبة أو المرسومة.ويكتفي فيها بإشارات قليلة أو غير ملحوظة،ويعنى بها قراء خاصون.

4- العلاقة بين الساخر والهدف:وتخضع لاعتبارات منها:هل يتعلق الأمر بموقف من سياسة أو فكر أو واقع ما؟أم الشخص في ذاته؟ وهل للهدف سلطة نافذة؟.....

لقد ركز المحدثون في البلاغة واللسانيات التداولية على الطبيعة الأدبية و الجدالية للسخرية،واستبعدوا المفهوم الفلسفي والميتافيزيقي من ثلاث طرق وهي:

1- ينظر العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.المرجع السابق.ص87

2 - ALLEMAND, Beda, De l'ironie en tant que principe littéraire, en Poétique. P 395

3- ينظر العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.المرجع السابق. 88/87 .

1- تجاهل البعد الفلسفي الميتافيزيقي،وحصروا الحديث في المكونات اللسانية والسياقية،أو المكونات السيميائية لصيغة عامة.
2- مناقشة المفهوم الفلسفي وأبعاده وتأكيد الطبيعة الأدبية للسخرية.
3- الاحتفاظ بالطابع الفلسفي للسخرية محررا من معاني العدمية والسلبية.باعتبار السخرية وسيلة اختيارية تشاكس كل صور الجمود والغفلة.

وبتأمل السخرية في اسمي صورها،كآلية دفاعية ضد القهر،فيمكن القول بأنها إحدى الخصوصيات القليلة التي تميز الإنسان عن الحيوان باعتبارها تعديلا للسلوك الغريزي.فالإنسان وحده هو الذي يتخد من المأساة والشدة موقفا للامبالاة.

وقد حاول برجسون تفسير ظاهرة **الضحك الساخر** بأن تناول جانبا من بعده الاجتماعي "الذي ينطوي على نقد مظهر من مظاهر التألي(التشبه بالآلة) والتحجر في سلوك الإنسان اللغوي والحركي الناتج عن تحجر فكري أو جسدي فيكون الضحك احتجاجا أو عقابا لدلك الواقع غير المرن،فيمكن أن نلاحظ أن الشخصية تكون مضحكة على قدر ما تجهل نفسها تماما.

فالمضحك لا يشعر بنفسه وكأنه يستعمل طاقية الإخفاء بطريقة معكوسة فيحتجب عن نفسه ويظهر لكافة الناس"[1]

ويرجع"كوهن"ضحك الهزل إلى اللامبالاة والاستخفاف،أو عدم الاهتمام الذي يبديه الهازل إزاء موضوعه"[2]

يمكن في النهاية أن نميز ثلاثة اتجاهات كبرى في البلاغة الغربية الحديثة:

السخرية مفارقة: بحسب هدا الاتجاه السخرية مفارقة ذات صبغة وجدانية باعتبارها قول ضد المراد لغرض الهزء، فالتضاد أصل، والهزء فصل.

السخرية استرجاع :"يقوم الاسترجاع إجمالا على اعتبار السخرية حوارا مع موقف أو رأي سابق،فقول القائل:الجو جميل؟في سياق غير مناسب كظهور عاصفة مثلا هو استرجاع لرأي يدعي أن الجو سيكون جميلا أو لاعتقاد دلك،ومن الاسترجاع قول عز وجل:"دق انك أنت العزيز الكريم"لأن أبا جهل قال ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم"[3]

1- برجسون هنري.الضحك.ترجمة.سامي الدروبي و عبدالله الدايم.الهيئة المصرية للكتاب ط2سنة1997.ص72
2- جان كوهن.الهزلي والشعري.ترجمة محمد العمري الهزلي والشعر، مقال مترجم بمجلة علامات بالدار البيضاء المغرب، العدد 6.سنة.1996.
3- ابن قتيبة:تأويل مشكل القرآن.تحقيق أحمد صقر.دار إحياء الكتب.مصر.ص143.

السخرية مفارقة استرجاعية إحالة :

ومعنى الاسترجاع هنا ينصرف إلى إحالة طرفي المفارقة الساخرة بعضها على بعض في حلقة مفرغة، فهي في نظر"**ألن بيرونصوني**""أكثر من تعدد دلالي عادي ،وأكثر من مجرد التباس مألوف يخل بإقامة تراتبية بين مدلولين كما ادا حياك صديق بابتسامة ساخرة قائلا:(تحية لك أيها العجوز المحطم الأحمق التافه) فما هو المعنى الحقيقي؟هل هو سب أم إهانة ؟ وهل تحس بالإهانة لأجل السب أم بالسعادة لأجل الضحك والابتسامة ؟ " [1]

1- ينظر العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.مرجع سابق.ص103 .

المطلب الثاني : الفرق بين السخرية و شبيهاتها من المصطلحات الأدبية :

يتداخل مصطلح "السخرية " مع مصطلحات أخرى كثيرة تدخل ضمن مساحة الأدب الفكاهي كالهزل و النكتة والطّرفة وغيرها، بل وأكثر من ذلك فقد اعتبر أنّ عنصر الإضحاك شكلا من أشكال الأدب الفكاهي. [1]

لكن هل يمكن اعتبار عنصر الضّحك مقياسا نضمّ من خلاله السّخرية ضمن دائرة سائر فنون الأدب كالهجاء، والمجون، والفكاهة، والتهكم ؟

أ- الفرق بين التّهكم والسّخرية :

المتهكم معناه " المقتحم على مالا يعنيه ، الذي يتعرض للناس بشره (...) و قد تهكم على الأمر و تهكم بنا : زرى علينا و عبث بنا ، و تهكم له و هكمه : غناه ، و التهكم : التكبر و المتهكم : المتكبر و المتهكم : المتكبر، و هو أيضا الذي يتهدم عليك من الغيظ و الحمق ، و تهكم عليه إذا اشتد غضبه،و التهكم : التبختر بطرا ، التهكم : السيل الذي لا يطاق"[2]

فالتهكم يشترك مع السخرية في كونهما يدلان على الهزء و التكبر و الشعور بالأفضلية ، أكثر من ذلك فهو يمثل أقصى درجات السخرية، حيث يعظم الموقف النقدي و ترتفع حدة الإحساس بالمرارة لينكمش عنصر الإضحاك ،و" نجد النقد يتجه نحو الهدف يسدد إليه منفصلا عنه ، منتصرا عليه"3 ، معنى ذلك أن المتهكم يسعى لتصوير المتهكم به في أبشع المظاهر التي يمكن أن نتصوره فيها ، و بالتالي فالتهكم تدمير للذات و كيانها و هو أقسى من السخرية و أمر منها بل و أشد وقعا على النفس .

التّهكـم إذا لون من ألوان السخرية وهو يلتبـس بغيره من الأغـراض ، إلاّ أنّ التّهكـم يكون بطريقه غير مباشـرة و يكون بذكر أشياء أو أباطيل لا يعتقد بها الشخص، و في نفس الوقت يتظاهر بالإعتقاد بأنها صحيحة ، أو يذكرها في معرض التعجب من وجودها، و من يستهزئ بها ، و هو من صور السخرية الشفافة التي ليس من السهل تعريفها ، و لكنها تعرف بالذهن اللمـاح [4].

1-فتحي محمد معوض أبو عيسى،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط 1970 ،ص 34 .
2- ابن منظور. لسان العرب ،المرجع السابق ، مج 12، ص 617 .
3- العمري محمد:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.مرجع سابق، ص 109 .
4- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، مرجع سابق ص 44 .

ب- **الفرق بين الفكاهة والسّخرية :**

الفكاهة مشتقة من " **الفَكِهُ** " الذي ينال من أعراض الناس.. فكههم، بملح الكلام: أطرفهم و الاسم، و الفكيهة و الفكاهة بالضم و الفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا . و الفاكه : المزاح والفُكَاهَةُ (بالضم) : المزاح ، والفاكِهُ المازِحُ ، والمُفاكَهَة : الممازحة ؛ والفَكَاهَةُ (بالفتح) مصدر فَكِهَ الرجل ، فهو فَكِهٌ ، إذا كان طيب النفس مزَّاحًا "[1]، كذلك نستأنس بقول الزمخشري : " فاكهت القوم مفاكهة : طايبتهم و مازحتهم ، و ما كان ذلك مني إلا فكاهة أي دعابة " [2]

نلاحظ من المعنى المعجمي لكلمة " فكه" أنها مرادفة للمزاح و المداعبة ، ينبعث منها ضحك يدخل السرور و البهجة في النفوس كونه سلوكا اجتماعا ملازما بل و ضروريا لحياة الفرد و الجماعة ، و بالتالي فالفكاهة " ظاهرة اجتماعية تستطيبها الجماعات"[3] خاصة و أنها وضعت للتسلية و الترفيه .

أما السخرية و إن احتوت الإضحاك إلا انها مرادفة لكل معاني الهزء و التحقير و التذليل ، تشمل نزعة التفوق و الشعور بالأفضلية فهي نابعة من " شعور عميق لاصق بطباع الإنسان ، تنبعث من أعماق نفسه و من ثم فهي موقف فكري فردي تجاه الأشياء و الموجودات ، لذا يندر أن تعم السخرية فتصبح شعورا ينتظم الجماعة برمتها بل إن الجماعة تحتوي السخرية و لا تستطيبها"[4]، لأنها تقوم على فلسفة خاصة و رؤى تنبع من روح الأديب و نظرته الخاصة للوجود فالضحك المنبعث منها و في نظر كوهن " لا يستمر أكثر من لحظة قصيرة ، و حالما ينطفئ يجد المتهكم نفسه جديد امام كون عبثي ، لذا فإن الحزن كما نلاحظ احيانا كثيرة ، يتخفى في أعماق الهزلي أسرع إلى الضحك منه ، كما يقول فيغارو خوفا من أن أضطر إلى البكاء عليه [5]

كما ان السخرية ليست ضحكا من أجل الضحك فحسب فالسخر والتحكم لا يراد لذاته بل[6]هي بل[6]هي ضحك جاد " فالساخر حينما يتناول المضحكات أحيانا و يمزح و يسخر و يركب الأشياء و الناس بالهزل، فإن هزله أبدا مبطن بالجد، و هو لا يقصد إلى الهزل في ذاته[7] .

و **الضحك** في مفهومه إستعداد فطري في الإنسان لا يكتسبه بالتجربة ، و هو إنفعال إنساني خاص يتميز به الإنسان عن بقية الحيوانات ، فالفلاسفة قديما إنتابهوا إلى هذه الحقيقة

1- ابن منظور. لسان العرب ،المرجع السابق مج 13، ص 524 .
2- جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ،مرجع سابق مادة فكه .
3- جمعية القلعة لرعاية التراث " الأخبار" شخصيات من التراث ، الفكاهة و الهزل في القص العربي العربي القديم الرابط : http://www.khanfort.com/?cat=13 .
4- المرجع نفسه .
5- محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول ، مرجع سابق، ص 96
6- قحطان رشيد التميمي اتجاهات الهجاء في القرن الثالث هجري،مرجع سابق ص 361
7- أنظر ابراهيم عبدالقادر المازني ،حصاد الهشيم، مرجع سابق ص 306

، فعرف الكثير منهم الإنسان بأنه حيوان يضحك (يفتح الياء) و كان بوسعهم أن يعرفوه كذلك بأنه حيوان يضحك (بضم الياء) [1]، إلا أن المقصود هنا الضحك العميق الذي ينتهي بالإنسان إلى حالة الإنشراح المعروفة لا مجرد السمات الخاصة التي تظهر على الفم و أسارير الوجه [2].

و **الفكاهة** إحدى عناصر **الهزل** الذي قسمه علماء النفس إلى ثلاثة أنواع هي :

01/ الفكاهة (Humor) (Humour) /02 الكوميديا (Esprit) (Joker) 03/النكتة (Comique) (Comedy)

و في فهم الفكاهة و النكتة نجد الكثير من الناس من يخلط بينهما ، و لا يكادون يفرقون بينهما حين يشملهم الجو المرح الضحك ، و تنبعث من أفواههم النكات التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب ، وحينئذ فهي فكاهة، و قد تكون بقصد اللذع و الايلام فهي سخرية ، و قد تجمع بين الغرضين، و من النكت الفكاهية ما يروى عن أحد المفرطين في شرب الخمر أنه قال له أحدهم : إن الخمر انتحار بطيئ ، فأجاب : ولماذا تريدونني انتحر بسرعة ؟ ، ومن النكت الساخرة نادرة تروي عن احد الأمراء وقد التقي يوما بغريب يشبه تمام الشبه فابتدره بقوله **:"هل كانت أمك يا هذا تقيم في البلاط الملكي ؟ فأجاب الغريب : كلا يا سيدي بل أبي ".** [3]

إذا روى أحد الأشخاص النكتة السابقة لبعض الجالسين بقصد الضحك فهي فكاهة ، إما إذا حدثت فعلا في مجلس من المجالس فيعد الرجل ساخرا بالأمير ، ولذلك تسمى سخرية .

و مما سبق ذكره حول **الفكاهة والضحك** نقول ان كل ما له غرض هادف واضح سواء كان معينا أو غير معين فهو سخرية ، وكل ما لا غرض أو هدف له إلا الإضحاك فهو **فكاهة** .

أما **الكوميديا** (**Comedy**) التي ذكرت كعنصر من عناصر الهزل الى جانب الفكاهة: فهي فن عقلي يقوم على النشاط الإبداعي ، وهي تصوير لمثالب الناس ، وعيبوهم ، ونقائصهم ، ومظاهر ضعفهم في إطار فني ينطوي على إنسجام معكوس و هي فلسفة الضحك التي تسمو بالهزلي من المستوى العامي المبتذل إلى مستوى جمالي فني إنساني . [4].

والكوميديا فن يصور العيوب الإجتماعية تصويرا ساخرا ،فمن الناحية الأخلاقية تمتدح الكوميديا المثل الأعلى وزتعلي من شأنه في حين تسخر من نقيضه.

1- برجسون هنري ، الضحك ، مرجع سابق، ص 14 .
2- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي مرجع سابق، ص 07 .
3- المرجع نفسه، ص 08 .
4- فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي مرجع سابق، ص 18 .

إذا تنحصر مهمة الكوميديا في تصوير بعض النماذج البشرية كالبخلاء أو الأدعياء ، أو أنصاف المتعلمين أو المتحذلقين أو المرضى الموهومين أو النساء المغرورات أو الفاتنات العالمات،و هذه الشخصيات التي يتناولها الكوميديون في العادة بالسخرية و التهكم إنما هي الشخصيات الانعزالية التي تحيا على هامش المجتمع أو الشخصيات المنحرفة التي تنأى بنفسها عن معايير الجماعة [1].

ت-**الفرق بين الهجاء و السخرية :**

السخرية نوع من الهجاء ولكنها تختلف عنه ، فالهجاء صادر عن نفس غاضبة تهدف إلى التجريح والتشهير والانتقاص والمبالغة في التعدي، وليست السخرية كذلك في أغلب الأحيان[2] .

وقد اصطلح الناس منذ القدم على أن الهجاء فن الشتم والسباب[3] وهو ضد المديح كما يقول قدامة[4] وقد أجمع أشهر الذين تعرضوا لتقسيم الشعر على أنه باب رئيس من أبواب الشعر، فأبو تمام الذي يعد من أقدم من تعرض لتبويب الشعر العربي يفرد له بابا في حماسته ويجعل له قدامة قسما في كتابه (**نقد الشعر**)[5]،و يفرد له أبو هلال العسكري فصلا في كتابه **ديوان المعاني**[6] وأبواب الشعر عند ابن رشيق تسعة أقسام منها الهجاء[7] وهذه التقسيمات تزهر أن الهجاء فن اصيل من فنون القول وما ذاك إلا أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالفطرة الإنسانية فهو نابع من عاطفة الغضب ،ثم هو مرتبط أيضا بالحياة والواقع بل وبتفاصيل هذا الموقع.

والهجاء كما يرى قدامة ضد المديح[8] وهو عند ابن الأثير الحلبي ذكر المساوئ[9] ويعرفه محمد محمد حسين بأنه أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء بينما يرى قحطان التميمي في كتابه اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري أن الهجاء تعداد للمعائب وكشف لبشاعة الرذائل والنقائص في الفرد والمجتمع بكل مظاهره السياسية والاجتماعية والأخلاقية [10] .

1- فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي مرجع سابق، ص 02 .
2- أنظر شوقي محمد المعاملي، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق مرجع سابق،ص 11 .
3- محمد محمد حسين الهجاء و الهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية بيروت ط 3 سنة 1969 ،ص 5 .
4-أنظر ابوالفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر،تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 3سنة 1978 ، ص92
5- المرجع نفسه ،ص92 .
6- أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني، تحقيق احمد حسن بسج،دار الكتب العلمية بيروت ط1سنة1994 جزء1ص 165.
7- الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تحق محمد قرقزان دار المعرفة بيروت 1987جزء2 ص844
8- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر،مرجع سابق ، 92 .
9- نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز ،مرجع سابق ،ص 309 .
10- قحطان رشيد التميمي اتجاهات الهجاء في القرن الثالث هجري،مرجع سابق ،ص 12.

والعلاقة بين السخر والهجاء كالعلاقة بين الجزء والكل إذ السخرية لم تكن يوما غرضا شعريا مستقلا عن الهجاء إنما هي أسلوب في الأداء الهجائي تطور بتطور الهجاء لأنها أداة من أدواته وجزء منه وليس من مبرر لجعلها غرضا مستقلا فكما سلك الشعراء إلى هجاء المظاهر السياسية والاجتماعية والشخصية أسلوبا جادا فإنهم سلكوا إلى هجاء هذه المظاهر أسلوبا هازلا متفكها ساخرا .[1]

والأديب حينما يسخر يتناول بعد ما بين الأشياء والطبيعة، و يركض في حلبة يتقابل عند طرفيها الواقع من ناحية و مثل الكمال من ناحية أخرى، وقد يفعل ذلك جادا أو متفكها مداعبا أي أنه قد يستوحي إرادته ومشاعره أو يستملي عقله فإن كانت الأولى فهو هاج منتقم وإن كانت الثانية فهو ساخر يركب ما بدا له بالدعابة .[2]

فالسخرية فن له خصائصه وطبيعته إلا انه لا يخرج عن كونه هجاءا وهي عنصر من عناصر هذا الهجاء تحتاج إلى مواهب متعددة ومقدرة فائقة في اختيار الموضوع وصياغته وطريقة تقديمه وأسلوب المعالجة ومعرفة بأذواق المتلقين وأقدار المهجويين [3].

والهجاء حينها يفقد عنصر السخرية فإنه قد ينساق إلى مجرد السب والشتم فيزول عنه بذلك عامل كبير من عوامل قوة هجائه وقد فطن البعض إلى ذلك منذ القدم فالنابغة حينما قدم بعد وقعة ((حسـي)) سأل بني ذبيان ما قلتم لعامر بن طفيل وما قال لكم ؟ فأنشدوه قال : أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ،ولكني سأقول : ثم قال :

فإنْ يَكُ عامِرٌ قد قالَ جَهلاً، فإنّ مَظِنّةَ الجَهْلِ الشّبابُ
فكُنْ كأبيكَ، أو كأبي بَراءٍ، توافقكَ الحكومةُ والصوابُ
ولا تَذْهَبْ. بحِلمِكَ، طامِياتٌ منَ الخيلاءِ ، ليسَ لهنّ بابُ
فإنكَ سوفَ تحلمُ ، أو تناهى ، إذا ما شبتَ ، أو شابَ الغرابُ
فإن تكُنِ الفَوارِسُ، يومَ حِسْيٍ، أصابوا، مِنْ لِقائِكَ، ما أصابوا
فما إنْ كانَ مِنْ نَسَبٍ بَعيدٍ، ولكنْ أدرَكوكَ، وهُمْ غِضابُ

1- قحطان رشيد التميمي اتجاهات الهجاء في القرن الثالث هجري،مرجع سابق ،ص 357 .
2-ابراهيم عبدالقادر المازني ،حصاد الهشيم،مرجع سابق،ص 302 .
3- أنظر عباس بيومي عجلان،الهجاء الجاهلي صوره و أساليبه الفنية،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 282

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة شق عليه وقال : ماهجاني أحدحتى هجاني النابغة . جعلني القوم سيدا رئيسا وجعلني النابغة سفيها جاهلا ، وتهكم بي[1]

فالسخرية المؤلمة التي شقت على عامر بن الطفيل وغيره ليست سبا و افحاشا بل هي أسلوب يترفع عن الشتم والسباب المحض، ويتنزه عن القذف والإيغال في الفحش ورفث القول لأن الحديث الساخر ينبغي ألا يكون محتدا ثائراَ وألا يكون سيئ اللفظ بذيئا [2].

أما الهجاء فالأغلب أن يكون صادرا عن نفس غاضبة ترغب في الانتقام وتطمح في النيل من خصمها وإلصاق كل نقيصة به ولو كان ذلك بأسلوب التشهير أو السب أو الشتم ذلك،و لا يبالي الهجاء قبل الناس هجوه هذا أم لا ، وربما فقد بكثرة تحامله وإسرافه في السباب تعاطف الناس، بل وربما جعلهم يشفقون على خصمه و تعافون معه .

ولكي يتمكن الهجاء من جذب الناس نحوه وتنفيرهم من خصمه و مهجوه لا بد أن يسلك إلى ذلك سبيل السخرية والعبث حتى يستطيع جذب المتلقي وشد السامع نحو هجائه وإغرائه على رواية ما يقرأ أو حفظ ما يسمع وإن كان ذلك طعنا في قومه و قذفا في قبيلته ثم يكون في هذا السخر دحر لمهجوه بإضحاك الناس عليه وسخريتهم منه [3] ، والسخر بهذه الطريقة الماكرة أشد على المهجو من وقع الحسام المهند لأن أشد الهجاء كما قيل **ما خرج من مخرج التهكم والإستهزاء**[4] وقد رأينا عامر بن الطفيل كيف آلمه تهكم النابغة ولم يعد ما قاله غر النابغة من سب وإفحاش هجاء البتة .

وهذه الطريقة الذكية التي تسخر العقل وتعتمد برود الأعصاب هي طريقة السخرية فالسخرية فن لا يتقنه ولا يجيده إلا الأذكياء البارعون في التعبير عن الكلمة بحذق ولباقة وذكاء، بينما الهجاء الخالص لا يعوزه التركيز على الكلمات أو اختيار المعاني الناعمة الجارحة في آن واحد كما هو الحال في السخرية[5] وعلماء النفس يرون أن هناك صلة وثيقة بين الذكاء والسخر ويقولون إن هذا الارتباط واضح بينهما ، فكلما ارتفعت نسبة الذكاء كان المجال أرحب لوجود الحس الفكاهي أو الحس الساخر[6] وقد أدرك أرسطو منذ القدم هذه العلاقة فعالجها في خطابته[7] .

1- الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة ، مرجع سابق جزء 2 ص844 .
2- قحطان رشيد التميمي اتجاهات الهجاء في القرن الثالث هجري،مرجع سابق ،ص 356
3- أنظر عباس بيومي عجلان،الهجاء الجاهلي صوره و أساليبه الفنية مرجع سابق،ص 282 .
4- نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز ،مرجع سابق ص 312
5-أنظر عبد الغني العطري ،أدبنا الضاحك ، دار البشائر دمشق ط 2 سنة 1991 ،ص 131 .
6-أنظر عبد الحليم حنفي ،أسلوب السخرية في القرآن الكريم ص 15
7- مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب مرجع سابق،ص 60 .

والسخرية مزيج بين شيئين، الهجاء والفكاهة وترشيح الهجاء بالفكاهة وترشيح الهجاء بالفكاهة والهزل يكسبه قوة وطرافة **فأبلغ الهجو ما جرى مجرى الهزل والتهافت** [1].

وحينما يصب الشاعر وغير الشاعر هجاءه في قوالب فكهة فأنه بذلك يتخذ الأسباب التي تكتب لهجائه البقاء والخلود، فالهجاء بدون فكاهة وهزل كالجسد بلا روح، مجرد دمية بدون نبض أو حياة وحينما تمتزج الفكاهة بالهجاء فإنه ينتج أقوى الأساليب الهجائية .

والفكاهة شيء موهوب غير مكتسب فهي مركبة في طباع الهجائيين الممتازين الذين لا تكاد أعينهم تقع على الشيء، حتى تتدفق عليهم ألوان من الصور الفكهة والأخيلة الساخرة التي تسعفهم بها البديهة دون إعمال كبير للعقل أو كد للمخيلة [2]

إذا يمكن القول مما سبق بأن الهجاء : هو أدب الغضب المباشر و الثورة المكشوفة هذا ما نجده في نقائض جرير و الفرزدق بشكل واضح و جلي ، في حين السخرية أدب الضحك القاتل و الهزء المبني على شيء من الغموض ، و دواعي هذا الغموض كثيرة و متنوعة نذكر منها : حرص الأديب على حياته حينا، و منها رغبته في إخفاء غضبه حينا آخر، و منها علو كعبه في العلم و الثقافة حينا آخر ، و لا غرو في هذا فالعلم يشحذ الذكاء ، و الذكاء يسعف صاحبه عادة في هذه المواطن ، فنرى الأديب المثقف ينال من خصمه في هذه الحالة بطريقة ملتوية لا بطريقة ملتوية لا بطريقة ساذجة [3]

فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على العدو ، لكن السخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم

ث-**الفرق بين الظّرف و السخريـة :**

الظّرف مختلف تماما عن السخرية فهو يكون في صباحة الوجه، ورشاقة القدّ، و نظافة الجسم والثوب، و بلاغة اللســان، و عذوبة المنطق وطيب الرائحة، والتقزز من الأقذار والأفعال، وكل الأمور المستهجنة، ويكون في خفة الحركة و قوة الذهن، و ملاحة الفكاهة و المزاح، ويكون فــي الكرم والجود وغير ذلــك من الخصال اللطيفة.

أما أبو نواس، شــاعر المجون والزّهــد فقد حدّد أبعاد المجــون موحدا بين دلالته الأدبية و الاجتماعية، وبين الظّرف بقوله: وأما المجون فما كلُّ أحدٍ يقدرُ علي أن يمجُن، وإنّما المجون ظرفٌ، ولســت أبعُد فيه حدَّ الأدب، ولا أتجاوز مقــداره [4] .

1- علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، تحقيق محمد أبو الفضل و علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي ط 1966 ص 24 .
2- محمد محمد حسين ، الهجاء و الهجاءون في الجاهلية، مرجع سابق ،ص 46 .
3- ينظر فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي مرجع سابق ص 30 .
4- ابن منظور. لسان العرب ،المرجع السابق مج 02، ص 25.

وحدّد محمد بن إسحق بن يحيي (الوشّاء) سنن الظّرف مؤكدا أنه لا أدب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا ظرف له ولا ظرف لمن لا أدب له، وقال: **اعلم أنَّ عماد الظّريف عـن الظّرفاء وأهل المعرفة و الأدب، حفظ الجوار، والوفاء بالذّمار، و الأنفة من العار، وطلـب السلامة من الأوزار، ولن يكون الظّريف ظريفـا حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة، و البلاغة، و العفة، و النزاهة** [1] .

و مما سبق ذكره حول مفهوم السخرية وتحديدنا لها يتضح أنه من الصعب الإحاطة بمفهوم شامل جامع مانع لها ، كما يمكننا القول بأنها تبنى على العقل والفطنة، وتقوم على الثقافة وسعة العلم ، وتهدف إلى أغراض بعيدة تتصل بالمجتمع و ما فيه من مبادئ فاسدة وشخصيات بارزة أو طبقات منحرفة أو هيئات مسيطرة ، وبالتالي هي مرآة تعكس الواقع بصورة ساخرة ومعبرة .

1- أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحي الوشاء،الموشي او الظرف و الظرفاء، تحقيق كرم البستاني،دار صادر بيروت لبنان،ط 1965 جزء09 ص 66

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المبحث الثاني : نشأة السخرية و أساليبها .

السخرية في الأدب فنّ ينم عن ألم دفين ويشف من كرب خفي، فمن يريد اللجوء إليه الا ذلك المعذب الذي يداوي ألمه بالضد ويشفي كربه بالنقيض، ومن هنا كان الألم الذي يشعر به الأديب أو الشاعر وعدم قدرته علي إلغاء أسباب هذا الألم هو الدافع وراء هذه السّخرية التي يصطنعها .

غير أنّ بواعث اللجوء إلى هذا الأسلوب اختلفت من عصر تاريخي إلي عصر أخر، إذ كانت غاية السخرية في عصر فردية وفي عصر آخر جماعية، وكانت تختلف حسب أهداف كل كاتب من كتابة نصوصها ، ولهذا فان السخرية نشأت مع نشوء الإنسان منذ القديم و اصطبغت على مر العصور بصبغات و صور و سمات متغيرة على حسب اختلاف الغايات الفردية و الجماعية و السياسية و الاجتماعية ، فكان للأديب العربي على مر العصور أساليبه المتميزة و المتنوعة ، التي عبر بها عن السخرية ، و سنتناول في هذا المبحث لمحة وجيزة عن نشأة السخرية في أدبنا العربي و تراثنا البلاغي الواسع ، ثم نعرج بعدها إلى ذكر أهم الأساليب البلاغية الفنية للسخرية التي ظهرت في تراثنا الأدبي و البلاغي الفسيح على مر العصور .

المطلب الأول : لمحة عن نشأة السخرية في التراث الأدبي و البلاغي العربي

01/ نشأة السخرية في التراث الأدبي العربي

يصعب علينا أن نحدد تاريخا دقيقا لظهور السخرية في المجتمع الإنساني و مع ذلك يمكننا القول أنها موجودة منذ الأزل مذ إدراك الإنسان ذاتيته و تميزه عن الآخر فظهر مصطلح الأنا و الإحساس بالفوقية ، لتعرف السخرية بذلك تطورا ملحوظا خاصة مع تشكل الجماعات البشرية ، و ظهور مصطلحات القهر السياسي و التسلط،[1] فقد كشفت الدراسات و الأبحاث الأثرية عن وجود " رسومات كاريكاتورية خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية و كذا في أرجاء المعابد القديمة [2]، نذكر من ذلك " بردية مصرية قديمة بيد رسام ساخر مجهول عن طائر يصعد إلى شجرة ، ليس... بواسطة جناحيه و إنما بواسطة سلم خشبي"[3]، فاستعمال الطائر للسلم الخشبي بدلا من جناحيه في هذه الصورة مخالف لما هو متعارف عليه في الواقع ، ما جعله موضعا للسخرية

1- رياض نعسان أغا : السخرية و التهكم في أدب حسيب كيالي ، مجلة دروب الالكترونية الإمارات الرابط . http://www.doroob.com/?p=27544

2- الموقع نفسه .

3- محمد حسين الدباء ، مقدمة موجزة في الأدب الساخر ،صحيفة الأيام الاكترونية اليمن الرابط : http://al-ayyam.info

و لعل التطور الحقيقي الذي شهده مصطلح السخرية يكون في إرتباطه بالفلسفة اليونانية حيث اتخذه **سقراط** في دفاعه عن مفهومي الحقيقة و العدالة [1]، أساسا لحواراته الفلسفية التي جمعته بسفسطائيين ادعوا المعرفة بحقيقة الأشياء ، فكان عمله قائما على تقنية توليد الأفكار ، حيث يقوم بطرح أسئلة ساذجة و بسيطة تظهره في هيأة رجل جاهل ساذج يحاول الآخر الرد عليه ليولد بذلك أسئلة أخرى أصعب و أعقد ، فتتبين الأمور أكثر و يزداد عجز الطرف الآخر عن الرد لينقلب الوضع و يظهر جهله فتبطل كل المسلمات و اليقينيات التي كان ينادي بها بينما " يظهر سقراط على هيأته الحقيقية رجلا على قدر كبير من الحكمة و الدهاء [2]، ما سيمكنه بالضرورة من الإيقاع يصبح الجاهل عارفا و العارف جاهلا ، و تكون السخرية بهذا مرادفة للحكمة و الدهاء .

يحفل التراث الأدبي العربي بالعديد من الصور الساخرة ، مع أنها لم تبرز في شكل أدبي قائم بذاته ، حيث كانت مرتبطة بالفنون الأخرى، ففي **العصر الجاهلي** كانت السخرية مرتبطة بالغضب و الهجاء و الذم و التعريض ، حيث يكون الهجاء مع فظاظته و خشونته نوعا من السخرية ، و على الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس المهجو من الضيق و الألم فإنه يثير الضحك عن طريق إبراز العيوب و تجسيمها و المبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن[3]، و من ذلك ما قاله حسان بن ثابت في هجائه لبني عبد المدان بطول أجسامهم و بدانتهم :

لا بأس بالقوم من طول و من غلظ جسم البغال و أحلام العصافير [4]

إن في تشبيه حسان لأجسام بني عبد المدان بالبغال و عقولهم بعقول العصافير موقف أخر حاول من خلاله تبيان العيوب الجسدية و النفسية لهؤلاء .

و قد عرف العرب نوعا آخر من الهجاء ، ربما يكون أقل حدة و اخف وطأة ، لأنه يأتي بشكل غير مباشر فيكون ذما في صيغ المدح ، نذكر من ذلك قول قريط بن أنيف العنبري في قومه :

لكن قومي و إن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء و إن هانا
يجزون من أهل الظلم مغفرة و من إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا و ركبانا [5]

1- ينظر ، محمد العمري : البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، مرجع سابق، ص 93
2 -Pierre Schoentjes , Poétique de l'ironie Paris, éditions du Seuil, 2001, P22
3- محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ،مرجع سابق، ص 22
4- عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،ط3، بيروت ، 1983، ص 270
5- فتحي محمد معوض أبو عيسى ، الفكاهة في الأدب العربي،مرجع سابق ، ص 68

والشاعر في هذه المقطوعة و بعدها أطلعنا على الصفات الحميدة لقومه كالعفة و الحلم و خشية الرب، يأتي في البيت الأخير ليتهمهم بالضعف و التذلل، فهي صورة أخرى من صور السخرية التي يمكن أن تكون " تهكما مريرا (...) أو هجاء يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان"[1]، إضافة لذلك هجاء إجتماعي خال من السب و الشتم ممزوج بشحنة عاطفية متدفقة يملؤها التحسر لحال قومه من جهة و الغضب و السخط على حياة الذل و الهوان التي كانوا يعيشونها من جهة أخرى .

و لم تقتصر السخرية في نشوئها على الشعر بل ظهرت في أشكال نثرية عديدة كالأمثال و الحكم السائرة عند العرب [2] كقولهم **" محسنة فهيلي "** و ليفهم القارئ معناه لابد له من العودة لمورده و مضربه فهو كلام قاله ' رجل لامرأة كانت تفرغ طعاما من وعائه في وعائها حين غيبته فلما حضر دهشت فأخذت تفرغ من وعائها في وعائه ،فقال لها : ماذا تصنعين ؟ فقالت : أهيل من هذا في هذا فقال : **محسنة فهيلي"**[3] و هو ذم في صيغة المدح جاء بمعنى التوبيخ و العتاب.

و من الأمثال الساخرة عند العرب قولهم : **"ذكرني فوك حماري أهلي"** و قصة هذا المثل أن شابا غزلا خرج يطلب حمارين لأهله، فطرق أذنه صوت امرأة، فشغله حسنه عن حاجته فجلس بحذاء المكان الذي هي فيه،فلما أطلت عليه إذا لها أسنان مكفهرة منكرة مختلفة، فلما رآها ذكر حماريه فقال : **ذكرني فوك حماري أهلي** ، ساخرا بذلك من قبح هذه المرأة . [4]

و هناك أمثلة كثيرة لا يمكن أن نسوقها في هذا المقام تدل على أن السخرية في العصر الجاهلي كانت تتمظهر خاصة في الهجاء حيث تقوى المتنافرات و المشاحنات ، لكنها بقيت متصلة بنظام القيم، ممتزجة بإنفعال الضحك مع أن درجته قد تقارب الصفر أحيانا ، إما ما كان سبا و شتما و تعريضا فهو هجاء فظ مباشر.

و قد كان **لظهور الإسلام** في شبه الجزيرة العربية أثر كبير في تراجع حدة الهجاء حيث حرمت الصراعات و النزاعات و انتهاك الحرمات ، ما أدى لتراجع فن السخرة خاصة و أن الإسلام كان قد نهى عنها في عدة مواضع من القرآن الكريم ، لكنها عادت للظهور من جديد مع عودة الهجاء و المتنافرات ، فقريش جندت كل شعرائها لقذف الدعوة المحمدية و التجريح في الإسلام و المسلمين، و ما كان من هؤلاء (المسلمون) سوى الرد بالمثل ، ليظهر بذلك مصطلح " الهجاء السياسي" خاصة مع بداية انتشار الاسلام و اتساع رقعته ، و من ذلك نذكر ما قاله حسان هاجيا هندا في غزوة أحد:

1- بوحجام محمد ناصر ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ،مرجع سابق، ص 29

2- من أمثال العرب الساخرة قولهم :في السمنة المفرطة **"سمن حتى صار كأنه الخرس"**، و قولهم في الجبن **"مكره اخوك لا بطل"** ، و قولهم في السخرية من المسرفين **"خرقاء وجدت صوفا"** و في قولهم في السخرية من الصعاليك المتعالين **"ان البغاث بارضنا يستنسر"** .

3- زيد بن عبد الله ، أبو الخير الهاشمي، الأمثال ، دار سعد الدين، دمشق ط 01، 2003 - جزء 01 ص 248 .

4-فتحي محمد معوض أبو عيسى : الفكاهة في الأدب العربي، مرجع سابق ، ص 68

" اشرت لكاع و كان عادتها لؤم إذا أشرت مع الكفر
قرحت عجيزتها و مشرجها من نصها نصا على القهر[1]

إضافة لكون هذه الأبيات هجاء مقذعا و فاحشا فهي صورة ساخرة يظهر فيها حسان هندا في أبشع الصور التي يمكن ان يتصورها العقل الانساني

ازداد تطور فن السخرية و انتشاره مع بداية **الخلافة الأموية** حيث انتشر الإسلام تقريبا في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، لأنه و مع تحول نظام الحكم من الشوري إلى ملكي وراثي تفشت الصراعات السياسيةو الخلافات الحزبية بين المسلمين ، فعرف الهجاء في هذه الفترة أوج مراحل تطوره خاصة مع ثلاثي النقائض (جرير، الأخطل، الفرزدق) و اتخذت السخرية بذلك طابعا سياسيا حزبيا نذكر مثلا ما قاله الاخطل في بني كليب (قبيلة جرير)

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار
فتمسك البول بخلا أن تجود به و ما تبول لهم إلا بمقدار"[2]

فالأخطل في هذا المقطع " لم يكتف بوصف (كليب) باللؤم و الدناءة و ابتذال الناس بل جعل نارهم أيضا حقيرة ضئيلة تطفئها كمية قليلة من الماء ،و في هذا سخرية بالغة"[3]، يذم من خلالها صفة اللؤم و البخل فيهم ، لأنهم إذا شعروا بقدوم الضيف ليلا طلبوا من أمهم أن تبول على النار كي تطفئها فلا يهتدي الضيف إلى مكان تواجدهم

كذلك نذكر ما قاله جرير في ذمة لنساء تغلب (قبيلة الأخطل) و قذفهن في شرفهن و أخلاقهن :

نسوان تغلب لا حلم و لا حسب و لا جمال و لا دين و لا خفر[4]

فالسخرية إذا و لغاية عصر الأموي بقيت مرتبطة بالهجاء و المنافرات يميزها عنصر الإضحاك و تعتمد الإساءة للشخص المهجو ، لكن مع بداية **العصر العباسي** و إزدهار الآداب و الفنون عرفت السخرية نقلة نوعية، حيث توضحت معالمها و بدأت قواعدها الأولى تترسخ كفن قائم بذاته ، لذا كانت هذه الفترة بداية فعلية لظهور الدب الساخر خاصة ، و أن العديد من الكتب و الشعراء جعلوا منها أسلوبهم الخاص في الكتابة و التعبير عن رؤاهم للوجود و مواقفهم إزاء الواقع و تناقضاته ، نذكر مثلا قصص (كليلة و دمنة لإبن المقفع) التي كتبت على لسان الحيوان للتعبير عن الفوضى السياسية السائدة أنذاك ، و كذلك كتب **فن المقامات** الذي عالجت في اغلبها فن الكدية ، و أدب الملح والنوادر حيث برز فيها **بديع الزمان الهمذاني والقاسم بن علي الحريري** و**السرقسطي** (ت538هـ) و اشتهر ابن محرز الوهراني

1- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مرجع سابق ص 285-286 .
2- مجيد طراد ، شرح ديوان الأخطل ،ط1، دار الجبل ، بيروت ،ط 1995، ص 227 .
3- فتحي محمد معوض أبو عيسى، السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ص 76 .
4- محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، مضافا إليه تفسيرات العالم اللغوي أبي جعفر محمد بن حبيب ، ج1،د ط، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دت،ص 263 .

بمقاماته و منامته الساخرة التي تأثر فيها برسالة الغفران لأبي العلاء المعري التي جاءت قبله والتي مزج فيها المعري السخرية الضاحكة بالألم العميق ، و كذلك كتب نوادر الطفيليين و المجانين و عقلاء المجانين و الحمقى و المغفلين و الظرفاء و البخلاء التي كتب عنها الكثير و امتلأت بأساليب السخرية و التهكم و الإضحاك .[1]

و نذكر من نوادر الطفيليين الساخرة التي انتشرت في ذلك العهد ان **أشعب** ساوم رجلا في قوس عربية فسأله دينارا فقال له والله لو إنها إذا رمي بها طائر في جو السماء وقع مشويا بين رغيفين ما أعطيتك بها دينارا .[2]

و من أسخر نوادر الحمقى في الأدب في هذه الفترة ما روي عن أعرابي صلى خلف إمام فقرأ الإمام ((**الم نهلك الأولين**)) و كان صاحبنا في الصف الأول فتأخر الى الصف الاخر فقرأ ((**ثم نتبعهم الاخرين**)) فتأخر فقرأ:((**كذلك نفعل بالمجرمين**)) و كان اسم البدوي **مجرما** فترك الصلاة هاربا و هو يقول: **والله ما المطلوب غيري ! .**[3]

و قد إقتصرنا في هذه المرحلة على ذكر بعض النماذج بإعتبارها مرحلة حافلة بالنصوص الساخرة شعرية كانت أم نثرية ، تشمل مواضيع متعددة ، فبينما يسخر البعض من المعتقدات القديمة و كذا الصفات الذميمة كالبخل و الطمع ، نجد أخرين يسخرون من الأمراء و الكتاب ، فأبو نواس و إن تمرد على القصيدة الطللية قائلا :

دع الأطلال تسفيها الجنوب و تبلي عهد جدتها الخطوب
و خل لراكب الوجناء أرضا تخب بها النجيبة و النجيب
و لا تأخذ عن الأعراب لهوا و لا عيشا فعيشهم جديب[4]

إلا أن ثورته هذه لم تكن رفضا للقيم الفنية العربية القديمة في حد ذاتها ، إنما هو رفض للتقليد وهيمنة الماضي على الحاضر دون مراعاة الخصوصيات الفنية و الإبداعية لكل عصر، لذا يمكننا القول إن " السخرية عند أبي نواس جسدت حالة حساسية جديدة ، لا يدرك فيها التعارض بين الماضي و الحاضر كتعارض زمني ، و إنما كتعارض إبداعي فكري يعكس

1- للتوسع ينظر في كتب جمع الجواهر في الملح و النوادر لأبي إسحاق الحصري القيرواني ، عقلاء المجانين لابي القاسم الحسن بن حبيب النيسابوري ، الفلاكة و المفلوكون لأحمد بن علي الدلجي ، العقد الفريد لابن عبد ربه، المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي، كتب ابن الجوزي أخبار الحمقى و المغفلين ، أخبار الظراف و المتماجنين ، كتاب الأذكياء . و كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري و غيرها من الكتب التي تضمنت النوادر و المزاح و الفكاهة الساخرة .

2- أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ،دار الكتب العلمية بيروت ط01 سنة 1984 جزء01 ، ج 3 ، ص 338 .

3- أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب بيروت ط01 سنة 1989 جزء01 ص 20 .

4- علي فاعور، شرح ديوان أبي نواس،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1994،ص 35

رؤية جمالية مخصوصة لها موقفها الخاص من مشكلات الحاضر[1]، لذا يمكننا اعتبار أبياته هذه دعوة جديدة للإبداع الفني و الخلق الجمالي في الأدب .

و كذلك عاش الشاعر ابن الرومي حياته ساخطا على" التفسخ السياسي و الاجتماعي و الانهيار الاقتصادي"[2] السائد آنذاك، فقال هاجيا ساخرا من أصحاب المال و الجاه الذين اتخذوا ثراءهم مطية لبلوغ المراتب العليا .

أتراني دون الأولى بلغوا الآ مال من شرطة و من كتاب؟
تجار مثل البهائـــم فازوا بالمنى في النفوس و الأحباب
و يظلون في المناعم و اللذات بيـــن الكواعـــب الأتراب [3]

نلمس في هذه المقطوعة عداء كبير يظهره ابن الرومي حيال هؤلاء ،لا يدافع الحسد أو الضغينة بل يصف أناسا " يرفلون في حلل السعادة و هم لم يمدوا اليها يدا ،و لا سعت بهم في سبيل اكتسابها قدم، و لا استحقوها إلا بأن الحظ أورثهم إياها ، و إن لم يكونوا خير الناس، و لا أكفأهم و لا أفضلهم[4]، و بالتالي فأبياته هذه نوع من أنواع النقد الاجتماعي الذي يهدف لإصلاح الواقع و سد مواطن النقص فيه .

كذلك لا يخفي علينا في إطار تتبعنا لتطور فن السخرية في هذا العصر أن نذكر **أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** الذي برز في هذا المجال حيث " إتخذ المجتمع مادة لقمه ، فشق بذلك تيارا جديدا"[5]، في الكتابة و الإبداع لأنه " يدس التهكم دسا خلال كتاباته فيقضي على الحجج مناوئيه بهذه الطريقة ، بقدر ما يقضي عليها ببراهينه المنطقية التي تلقنها على فلاسفة الإغريق[6]، يعد كتابه " البخلاء" واحدا من أشهر كتبه التي ألفها في هذا المجال ، و فيه " أضحكنا بتصوير طرقهم في الحرص و الاقتصاد و حيلهم في صرف الضيوف عن الطعام[7]، الطعام[7]، و بهذا يمكننا اعتباره احد أشهر رواد هذا الفن في العصر العباسي ، حيث كانت السخرية طابعه الخاص في كتابه و الإبداع ، حتى في أخطر المواضيع التي يتناولها سياسية كانت أو دينية أو إجتماعية

و عليه ، فقد عرفت السخرية في **العصر العباسي** رواجا كبيرا بإعتبارها أسلوبا جديدا في الكتابة و التعبير عن قضايا المجتمع في تلك الفترة .

1- علي كرزازي، إستراتيجية الموقف السخري عند أبي نواس، مجلة فكر و نقد الالكترونية الرابط :
http://www.aljabriabed.net/n14_11karzazi.htm
2- خليل شرف الدين، ابن الرومي، الموسوعة الأدبية المسيرة ، منشورات دار مكتبة الهلال للطباعة و النشر ، بيروت، ط 1996، ص 12
3 -احمد حسن بسج، شرح ديوان ابن الرومي،ط1،ج1، دار الكتب العلمية،ط 1994،ص 189
4- ابراهيم عبد القادر المازني، حصاد الهشيم ، مرجع سابق، ص 292
5- جميل جبر ، نوادر الجاحظ ، بقلم الجاحظ ، سلسلة عالم الفكاهة ، د ط، دار الحضارة ، الجزائر، دت، ص 5 .
6- المرجع نفسه
7- الجاحظ : البخلاء مراجعة و شرح ، كرم البستاني ،ط1، دار صادر بيروت ،ط 1998، ص 7

و قد حفل **الأدب العربي الحديث** بدوره بالصورة الساخرة، لأن هذا الأسلوب لم يكن لتواجده ، ظروف الأمن و الاستقرار التي يستطيبها الإنسان فتجعله ينعم بالرضى و راحة البال، فقد عان المواطن العربي مشاكل عديدة نابعة من تكوينه المجتمع العربي الذي تسوده المفارقات و الصراعات السياسية و الاجتماعية ، كما عان ويلات الإستعمار الأجنبي من قتل و نهب و محاولة طمس المعالم الحقيقية للشخصية العربية ، ضف إلى ذلك فساد الأجهزة السياسية الحاكمة في البلاد العربية و تخاذل الحكام العرب في حل قضايا المواطنين و همومهم ، و قد كان لهذا الوضع المتأزم وقع خاص في نفس المثقف العربي الذي يعيش حياته ، فكانت ألامه و معاناته مادة دسمة شكلت محتوى الأدب العربي الساخر شعرا و نثرا، و برزت في هذا المجال أسماء و أقلام عديدة نذكر منها الشاعر العراقي الساخر **أحمد مطر** الذي جعل شعره منبرا لرفض الواقع العربي، بطريقة ساخرة جعلتها أسلوبه الخاص في معالجة قضايا الأمة ، و من ذلك نذكر ما قاله في الساسة العرب و ما يمارسونه من قمع و اضطهاد تجاه المثقفين العرب لخنق الحريات و إجهاض دعوات الإصلاح و المساواة .

" قرأت في القرآن :
تبت يد أبي لهب"
فأعلنت وسائل الإذعان
" إن السكوت من ذهب"
أحببت فقري.. لم أزل أتلو:
"وتب"
ما أغنى عنه ماله و ما كسب
فصودرت حنجرتي
بجرم قلة الأدب
وصودر القرآن
لأنه حرضني على الشغب"[1]

فأبياته هذه تعتبر عن حالة رفض تام و استنكار شديد للحصار الإعلامي الذي فرضه عليه أصحاب السلطة و القرار سعيا منهم لقطع أية صلة تربطه بالآخر الذي يسمى المجتمع ، ما جعل عبارة السكوت من ذهب التي أخذها الشاعر عن المقولة المشهورة إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب محملة بكل معاني القمع و الاضطهاد ما سبب له ألما عميقا و إحساسا كبيرا بالمرارة

كذلك نذكر الكاتب الساخر و الناقد المصري **" إبراهيم عبد القادر المازني"** الذي كانت معظم كتبه حافلة بالصور المضحكة و الأساليب الساخرة ، فهو يسخر حين يتناول كاتبا أو كتابا(...) حين يتناول بالوصف قطاعا من الحياة المصرية(...) يسخر قصاصا من أبطال

1- محفوظ كحوال ، أروع قصائد أحمد مطر ، سلسلة الشعر العربي المعاصر ، أكثر من 230 قصيدة ، مكتبة نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 20-21

قصصه ، و يسخر صحفيا من الساسة و الصحافة و الأحزاب[1]، لكن سخريته تبقى " أقرب إلى الفكاهة منها إلى السخرية كمذاهب "[2] باعتبارها تبعث على التفكه و المزاح .

إضافة لذلك نذكر قصة (**مجمع الجهلة**) للكاتب الليبي " **علي مصطفى المصراتي**" التي تخص اجتماعا طارئا أقامه الجهلة في سبيل مواجهة العلم و العلماء مع البحث عن الطرق المناسبة لحماية أنفسهم من خطر هؤلاء ، نذكر مثلا ما قاله أحد الجهلة " الجهل فيه نون الوقاية.. فيه التدرع و الصيانة قد يراه أهل العلم بشعا يشوك يؤذي و لكنه يحفظنا و يفيدنا... فهل ندافع عن جلودنا؟ أم ندع العلماء و المتعلمين يسلخون جلودنا"[3].

و لعل هذه أمثلة و أخرى لا يسع المقام لذكرها تثبت لنا أن السخرية كانت لسان المجتمع العربي في مواجهة الواقع و تناقضاته ، خاصة مع تخاذل الحكام العرب في حل قضايا المواطن العربي المثقل كاهله بالهموم و المعاناة و عليه، يمكننا القول أن الأدب العربي و منذ العصر الجاهلي كان حافلا بالسخرية إن امتزجت بأغراض شعرية أخرى كالهجاء مثلا لتصل و مع بداية العصر العباسي أوج مراحل تطورها كفن قائم بذاته و تصبح أسلوبا تعبيريا خاصا عن واقع الحياة و العلاقات البشرية آنذاك ، و مع ظهور الاستعمار تضاعفت معاناة المواطن العربي في العصر الحديث ما أدى لتفاقم الأزمات في المجتمع العربي فكان هذا الوضع بمثابة الدافع الكبر لذيوع فن السخرية مرة أخرى في الأدب العربي الحديث

و هكذا يتأكد لنا أن السخرية في الأدب العربي كانت وليدة الأزمة و ما يسود الواقع من تناقضات و مفارقات تتنافى و آمال المواطن العربي بل و المثقف العربي بصفة خاصة .

01/ نشأة السخرية في تراث البلاغيين و المفسرين

لم يصنف على ما نعلم في كتب القدماء مصنفات مستقلة خاصة بموضوع التهكم و السخرية، بل كانت مباحثه و أمثلته في كتب البلاغة و النقد و الأدب و دواوين الشعر، فمن هذه الكتب ما تناول مجموعة من أساليب السخرية و مباحثها ، و منها ما اكتفى بالحديث عن مبحث أو أسلوب واحد ، بل و منها ما أشار مجرد إشارة عابرة إلى أن هنا تهكما أو أن هناك سخرية .

و من أوائل هذه الإشارات العابرة، ما نجده عند **الجاحظ** (**ت 255** هـ) في كتابه (البيان و التبين) و (الحيوان) ، حيث يحشد فيهما كثيرا من القصص و الشواهد و الأمثلة الساخرة، و قد تحدث عن طبقات الكلام ، و تخير الألفاظ ، فالكلام منه الجزل و السخف ، و منه المليح و

1- نعمات أحمد فؤاد ، المازني الساخر، سلسلة أبحاث و مؤتمرات ، إشراف :أ.د جابر عصفور ، أبحاث المؤتمر : ابراهيم المازني إبداع متجدد، المجلس الأعلى للثقافة ، 28-30 يونيو 1999، مصر ، ص 197

2- نعمات أحمد فؤاد ، المازني الساخر، سلسلة أبحاث و مؤتمرات ، المرجع السابق، ص 200

3- على مصطفى المصراتي، مجمع الجهلة ، مجموعة قصصية ، ط 2، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلام ، ليبيا ،ط 1999،ص 10 .

الحسن، و القبيح و السمج، و الألفاظ منها العامي الساقط ، و منها الوحشي الغريب[1]، و إستعمال الغريب و الوحشي من الكلمات ، و محادثة الناس دون إعتبار طبقاتهم و منازلهم ، مدعاة للسخرية ، و قد عقد الجاحظ فصلا جمع فيه كثيرا من كلام النوكى و الموسوسين ، و الجفاة و الأغبياء و ما ضارع ذلك ،و شاكله [2]، و من ذلك ما يرويه عن **أبي علقمة النحوي** الذي كان مولعا بإستعمال الغريب من الكلام مما جلب له كثيرا من السخريات ، و ربما إستعمل أبو علقمة نفسه ذلك ليرد على السخرية ، أو هزء متطفل[3].

و يكتب الجاحظ عن الإشارة فيجعلها شريكة للفظ ، بل يجعلها من تمام حسن البيان و باللسان[4]، و معلوم أن السخرية ربما كانت بالمحاكات بالفعل و القول ، أو الإشارة ، أو الإيماء[5].

و الجاحظ بطبعه يميل إلى السخرية و التفكه، فالناظر في كتبه يدرك هذا بوضوح ، و خصوصا كتابه عن (البخلاء) الذي تتضح فيه الروح الساخرة بجلاء ، و كذلك رسالته (التربيع و التدوير) .

و من أوائل من تناول السخرية و التهكم أيضا **ابن المعتز** (**ت 296هـ**) صاحب كتاب (**البديع**) فإنه يتناول في كتابه بعض الأساليب التي يجعلها من محاسن الكلام ، و تأتي منها السخرية ، فمن ذلك (**الإستطراد**) ، الذي يسميه (حسن الخروج من معنى إلى معنى) [6]، و يجعل له أمثلة الإستطراد ، و ينوع في أمثلته ، فبعضها خروج إلى المدح و البعض إلى الهجاء و السخر، إلا أنه يجعل الكثرة للاستطرادات الساخرة[7]، و كأنه فطن بذلك إلى أن هذا الأسلوب يكون في المدح كما يكون في الهجاء و لكنه في الهجاء أشهر و أكثر وقوعا .

و يتناول تحت ما يسميه محاسن الكلام (**الهزل الذي يراد به الجد**) و يمثل له بأربعة أمثلة فيها سخرية و هجاء [8]، و يعد من محاسن الكلام أيضا (**تجاهل العارف**) .

فيسميه باسمه و يذكر له ثلاثة أمثلة [9]، و ينقل إبن أبي الأصبع عن ابن المعتز أنه يسمي هذا الأسلوب (**بالإعنات**)[10]، و لم أجد للتجاهل عنده إلا هذه التسمية ، و الإعنات شيء آخر .

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة ط 05 سنة 1984 جزء 1 ص 144 .
2- المرجع نفسه،جزء 4 ص 1 .
3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين مرجع سابق، جزء 1 ص 389 و 380 .
4- المرجع نفسه،جزء 1/79،77
5- أنظر محمود شكري الآلوسي . روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني مرجع سابق،جزء 26 ص 152.
6-عبدالله بن المعتز، البديع ، دار المسيرة بيروت لبنان،ط3 سنة 1981 ،ص 60 .
7- المرجع نفسه ص61-62
8- المرجع نفسه،ص 63
9-المرجع نفسه،ص 62
10- انظر ابن أبي الإصبع المصري تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن مرجع سابق، ص 135.

و يتناول ابن المعتز أيضا فيما بعده من محاسن الكلام (**حسن التضمين**) و يأتي بأمثلة منها تضمينات ساخرة متهازلة [1].

و من البلاغين الذين تعرضوا لمباحث التهكم و السخرية بجلاء الامام **أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)** حيث يعقد في كتابه (**ديوان المعاني**) (كتاباً للمبالغات في المعاتبات و الهجاء و الإعتذار)[2].

فيرد للمبالغة في الهجاء فصلا ، يكثر فيه من العبارات التي تدل على المبالغة و الإفراط في الهجاء و السخر، و يحشد الأمثلة الساخرة فيتردد كثيراً مثل قوله : **((قالوا أهجي بيت... و أبلغ ما قيل في الإحتقار.... و من التناهي في الإحتقار... و من الاستحقار الشديد... و من ابلغ ما قيل في الهجاء... و من بليغ ما جاء في الاستصغار... و من الإفراط في صفة البخل.... و أبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم))**[3]، و يأتي بنصوص كثيرة أمدتنا بأمثلة وافرة في في هذا البحث عند الحديث عن المبالغة الساخرة و غيرها.

و يعدد أبو هلال في الصناعتين صنوفا من فنون البديع ، فمن الأساليب التي يعددها و تأتي منها السخرية (**الإستطراد**)[4] و (**المبالغة**)[5] و (**التجاهل العارف**)[6]و يحشد لكل ذلك الأمثلة الأمثلة التي كان كثيراً منها في الهجاء و السخرية.

كما تناول أبو هلال في الفصل الثالث من الباب الأول في كتاب **الصناعتين** عند حديثه عن حدود البلاغة ، قضية تتعلق باستعمال الغريب في اللغة ، و يرى أن للكلام منازل و طبقات ينبغي أن تقسم على طبقات الناس و منازلهم ، فإذا إختل ذلك كان مدعاة للتهكم و السخرية، لأن العامي إذا كلمته بكلام العلية و السخر منك و زرى عليك، ثم يأتي لذلك بعدة أمثلة و قصص مما إشتهر عن أبي علقمة النحوي و تكلفاته و سخرياته[7].

و من هؤلاء الذين تعرضوا ايضا لمباحث التهكم و السخرية **أبو الحسن احمد بن فارس (ت 395 هـ)** في كتابه (**الصاحبي**) حيث يعقد بابا لأحد أساليب السخرية و التهكم يسميه (باب ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزأ) ، و يضع تحته أمثلة الإستعارة التهكمية ، أو ما يسمى (بالعكس في الكلام)[8].

1- عبد الله بن المعتز، البديع ، مرجع سابق ،ص 64 .
2- أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني ، مرجع سابق،جزء1 ص 157 .
3- المرجع نفسه،ص 170-185
4- أبو هلال العسكري، الصناعتين،تحقيق مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية بيروت،ط 02 سنة 1983 ص 448.
5- المرجع نفسه، 334-403
6- المرجع نفسه، 445
7- المرجع نفسه، 39-42
8- أبو الحسين احمد بن فارس الرازي، الصاحبي، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة،د ت، ص 429-430

و يعقد بابا آخر في (**زيادات الأسماء**) لجل المبالغة أو التسوية و التقبيح[1]، و يعدد فيه بعض الألفاظ التي استعملها العرب و زادوا في حروفها يقصد المبالغة أو التشويه ، و لاشك أن تسوية الاسم و تقبيحه يؤهله للسخرية حين يلقب شخص أو ينادى به.

و من هذه الأسماء و الألفاظ التي تكون مؤهلة لأن تستعمل إستعمالا ساخرا ما جاء في(**فقه اللغة) لأبي منصور الثعالبي (ت 429 هـ)** حيث عقد في كتابه فصولا عن أسماء غريبة لبعض عيوب الجسم كالسمن و الطول المفرط أو القصر الشديد[2]، و معظم هذه الأسماء التي أوردها غربية متنافرة الحروف ، اذا لقب شخص أو نودي بها أثارت حوله الضحك و السخرية .

و ممن تعرض لأسلوب السخرية و التهكم و أفرد للهجاء بابا **ابن رشيق القيرواني (ت 463 هـ)** في كتابة (العمدة في محاسن الشعر و آدابه) يذكر فيه خير الهجاء ، و أبلغه و أشد الهجاء عنده هو ما يسميه بالهجاء (المقذع) و هو الهجاء بالتفصيل، و يذكر في هذا الباب أمثلة للون من ألوان الهجاء الساخر، و هو (الهجاء في معرض المدح) و لكنه لا يسميه

و تتكرر كثيرا بعض ألفاظ و عبارات السخرية في كتابه في مثل قوله **(و من الإستحقار و الإستخفاف... و من مليح التهكم و الإستخفاف... و من الإحتقار)**[3]

و يعقد ابن رشيق (للتكرار) بابا ، و بعده في الأساليب التي تأتي منها السخرية فيقول: (و يقع أيضا على سبيل الازدراء و التهكم و التنقيص)[4]، و يقول : (و يقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة، و شدة التوضيع)[5]، كما يعقد (للاستطراد) باباً يعرفه و يفرق بينه و بين ما يسمى بالخروج ، و يجعل منه نوعا يسمى (الإدماج) و يورد في هذا الباب أمثلة كثيرة للإستطراد الساخر[6].

كما يعقد ابن رشيق بابا في أسلوب (**تجاهل العارف**) و يسميه (**التشكك**) و هو من ملح الشعر و طرف الكلام عنده ، و يرى أن الهجو و التهكم بهذا الأسلوب هو أبلغ الهجاء ، و يأتي له بالأمثلة [7].

و على العموم فإن كتاب العمدة مليء بالحديث عن السخرية أساليبها و صورها و أمثلتها .

1- أبو الحسين احمد بن فارس، الصاحبي ،المرجع السابق، ص 122 .
2- أبو منصور الثعالبي ،فقه اللغة، تحقيق مصطفى السقا و و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة، ط 1972، ص 48-63-64 .
3- أنظر الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر و آدابه المرجع السابق،جزء 2 ص 844-854 .
4- المرجع نفسه، جزء 2 ص 688 .
5- المرجع نفسه، جزء2 ص 687 .
6- المرجع نفسه،جزء 1 ص 628-632 .
7- المرجع نفسه، جزء1 ص 670-846 .

و يأتي بعد ابن رشيق **ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)** صاحب كتاب **(سر الفصاحة)** فيتحدث عن الأصوات، و الكلام في الفصاحة و الألفاظ ، و يأتي بأمثلة للفاظ غير فصيحة إستعملت إستعمالا ساخرا[1]، و يتناول مسألة اقتباس المصطلحات العلمية و له فيها رأي وجيه ، حيث يرى أنها إنما تسوغ و تقبل إذا خرجت مخرج الهزل و لم تدخل في باب الجد[2].

و يأتي بعد هؤلاء إمام البلاغين **عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)** فيتناول في كتابيه (**دلائل الإعجاز**) و (**أسرار البلاغة**) مسائل كثيرة متفرقة مما يتصل بأساليب السخرية، و قد فطن إلى لون من الاستعارة الساخرة و ربما لم يسبقه إليه احد ، و هو ما اسماه **بالإستعارة اللفظية**، و أشار إلى أنها تجري بين الأسماء التي تتحد أجناس مسمياتها ، كالشفة، و المشفر، و الإستعارة هنا كما يراها لفظية لكنها ناظرة إلى الإستعارة المعنوية ، لأن إستعمال ألفاظ كالمشافر و الأظلاف و التوالب للإنسان ، قد يكون من قبيل الذم و التهكم إذا أتى بها في مواضيع العيب و النقص[3].

و يبرز بعد عبد القاهر الجرجاني ، **ضياء الدين ابن الأثير (ت 637 هـ)** الذي يعد كتابه (**المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر**) نموذجا بارزا للمؤلفات القديمة التي مزجت بين البلاغة و النقد و الأدب ، و من أهم ما تناوله مما يتعلق بموضوعنا أسلوب (**الإبهام**) الذي يسميه (**الموجه**) ، يجعله أحد أقسام تأويل المعنى ، فتأويل المعنى عنده ثلاثة أقسام: غما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره، و إما أن يفهم منه الشيء و غيره، و تلك الغيرية إما أن تكون ضدا ، أو لا تكون ضدا ، ثم يحشد لهذا الأسلوب الأمثلة من القرآن الكريم و السنة المطهرة ، و الشعر العربي [4]

و يأتي بعده **ابن أبي الإصبع المصري (ت 654 هـ)** و كتابة **(تحرير التحبير)** الذي يخطو به البديع خطوات واسعة و يطفر طفرة بعيدة ، حيث وصلت فنون البديع على يديه إلى التسعين، و أضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين ، سلم له منها عشرون ، تناول منها مما يتصل بموضوعنا (**الإستطراد**) يعرفه، و يرى أن غالب وقوعه في الهجاء، و يمثل له من القرآن الكريم و الشعر[5]

و يتناول (**الهجاء في معرض المدح**) فيعرفه، و يقسمه إلى نمطين و يسوق المثلة لكل قسم ، ثم يفرق بينه و بين التهكم الإصطلاحي[6]

1- أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1 ،1982،ص 57-67 .
2- المرجع نفسه ص ، 169
3- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة ط01 سنة 1991 ص 34-35
4- ضياء الدين بن الاثير،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة دار نهضة مصر،القاهرة جزء1 ص 64-66 .
5- ابن أبي الإصبع المصري تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ،مرجع سابق، ص 130
6- المرجع نفسه ص 550-552

و يتناول ابن ابي الإصبع (**الإبهام**) فيعرفه ، و يسميه بهذا الإسم ، ثم يسوق له الأمثلة[1]، كما يتناول الأسلوب (**الهزل الذي يراد به الجد**) فيعرفه و يجمع له الأمثلة [2]، و يعقد (**التجاهل العارف**) بابا، فيعرفه ، و يقول : (**و قد سماه من بعد ابن المعتز بالإعنات**)[3]، و الإعنات شيء آخر عند ابن المعتز و غيره ، و ابن المعتز يسمى هذا النوع (**تجاهل العارف**)[4]، ثم يقسم ابن ابي الإصبع التجاهل إلى قسمين يسوق الأمثلة القرآنية و الشعرية عليهما[5]

كما يعقد (**للتهكم**) باباً ، يعرفه في اللغة و الإصطلاح ، و يسوق له الأمثلة من القرآن الكريم و الشعر، و يفرق بينه و بين الهزل الذي يراد به الجد[6].

ثم يأتي **ابن الأثير الحلبي (ت 737ه)** صاحب كتاب (**تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة المسمى جوهر الكنز**) ، فيعقد بابا (**للهجاء**) يعرفه فيه ثم يذكر بعض المستحبات في الهجاء ، و يرى أن أشد الهجاء ما عف لفظه ، و صدق معناه ، و من وضعية ما خرج مخرج التهكم و الإستهزاء و تجاهل العارف ، و يجمع في هذا الباب أمثلة كثيرة ساخرة [7].

و يتناول ابن الحلبي كذلك أسلوب (**الهجاء في معرض المدح**)[8]،و (**الهزل الذي يراد به الجد**)[9]و (**تجاهل العارف**)[10]و (**التضمين**)[11] فيعقد لكل واحد منها بابا ، و يعرف كل أسلوب أسلوب و يقتصد في إيراد الأمثلة .

و أما **يحي بن حمزة العلوي(ت 749 هـ)** فقد جمع في كتابه (**الطراز**) كثيرا من الأساليب البلاغية مما يتعلق بأسلوب التهكم و السخرية، من ذلك حديثه عن (**وضع المظهر في موضوع المضمر**) حيث يفطن إلى أن ذلك قد يرد على جهة الإنكار و شدة الذم و الإدماج [12] ، و من أصناف البديع اللفظي عنده (**الهزل الذي يراد الجد**) حيث يلحقه يتجاهل العارف ، و يرى أن بينهما تماثلا و إن كان بينهما تفرقة ظاهرة ، و يعد (**التهكم**) في أصناف البديع المعنوي، و يرى أنه يرد على أوجه خمسة ، و ليس له ضابط يضبطه ،و إنما الجامع لشتات معاينة هو إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر[13].

1- ابن أبي الإصبع المصري تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ،مرجع سابق ص، 596-598
2- المرجع نفسه ص، 138
3- المرجع نفسه ص، 135
4- عبدالله بن المعتز، البديع ، مرجع سابق ، ص 62 .
5- ابن أبي الإصبع المصري تحرير التحبير،مرجع سابق،ص 135-137 .
6- المرجع نفسه ص 568-570 .
7- نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز، مرجع سابق ، ص 309 .
8- المرجع نفسه 305
9- جوهر الكنز 211
10- المرجع نفسه، 208
11- المرجع نفسه، 262
12- يحي بن حمزة العلوي،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز،دار الكتب العلمية بيروت ط سنة 1982 ، جزء 03 ، ص 136-138 .
13- المرجع نفسه، جزء 03 ، ص 161-164 .

و من أئمة البلاغة العربية الذين أشاروا إلى أسلوب السخرية **حازم القرطاجني (608-684هـ)** في كتابه منهاج البلغاء الذي خصص فيه للهزل والجد مبحثا مستقلا بقصد وضع قوانين مقنعة فيما يتعلق بالطريقة الجدية،وما يتعلق بالطريقة الهزلية وما يتعلق بهما .[1]

ويمكن رد قول حازم القرطاجني ذلك إلى أمرين متداخلين:

1- النظر إلى الهزل باعتباره قسيما للجد في الخطاب كله،فهما يتداخلان ويتخارجان حسب المقامات والمقاصد،وليس الهزل طارئا على الجد فقط.

2-التمييز بين المعجمين الخاصين بكل من الطريقتين بأن يجتنب في طريقة الجد الساقط من الألفاظ والمولد،ويشيع في طريقة الهزل استعمال العبارات الساقطة والألفاظ الخسيسة،كما هو موجود في مجون أبي نواس،ولم ينتقد عليه دلك لأنه لائق بالموضع الذي أورده فيه من أشعاره الهزلية، ومما يستساغ في الهزل خاصة التصرف في الصيغ الصرفية للكلمات في نحو قول القائل [2] :

شربربت بما خور على دف وطنبور

فقصد الشاعر العبث بالكلمة (**شربت**) وشوب الفصاحة باللكنة، والعروبة بالعجمية ومن خلال المعجم جعل حازم ضابطا لنسبة التداخل الممكنة بين الجد والهزل،حيث رأى أن الجد بساط يتدرج منه إلى الهزل حيث قال:**فأما ما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجد فتأخذ منها المعاني التي ليس فيها تعرض للقدح،وجميع ما يتعلق بها من جهات وعبارات،ليجعل دلك بساطا للتدرج إلى الهزل** [3]

و يشيع الحديث عن السخرية و التهكم و يكثر أيضا عند المفسرين للقران الكريم ، فنجدهم يعللون كثيرا من الأساليب بأنها ساخرة متهكمة ، أو أن المقصود منها الإستخفاف و الهزأ، نجد ذلك خصوصا عند **الزمخشري (ت 538 هـ)** صاحب **(تفسير الكشاف)** الذي يكثر عنده التعليل بالسخرية، فيعلل مثلا تسمية **(أبي لهب)** بهذه الكنية بأنه من قبيل التهكم به [4]، و و يعلل الإضافة في قوله تعالى : **(أين شركاءي)**[5]، بأنه قبيل التهكم به [6]، و الإستفهام في قوله تعالى : **(قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء .....)**[7] بأنه إستفهام تهكم و هزء [1]، و الأمر في قوله تعلى : **(فاتوا بسورة من مثله**

1- ينظر حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط 3 سنة 1986 جزء 02 من ص 327 حتى ص 335 .
2- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء المرجع السابق جزء 02 ص 332 .
3- المرجع نفسه،جزء 02 ص 333 .
4- جارالله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف، مرجع سابق،جزء 2 ص326 .
5- بعض الآية (27) من سورة النحل .
6- جارالله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف، مرجع سابق ،جزء 2 ص 326 .
7- الآية (87) من سورة هود .

مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)[2] في أمر المشركين أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم [3].

و الزمخشري من أوائل من أشار إلى أسلوب **(الإستعارة التهكمية)** و لكنه يسميه **(العكس في الكلام)** يقول : **(فبشرهم بعذاب أليم)** فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الإستهزاء [4] ، و يقول : (**و التعكيس في كلامهم للاستهزاء و التهكم مذهب واسع ، و قد جاء في كتاب الله...)**[5].

و نجد مثل ذلك أيضا عند **أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ)** في تفسيره المسمى (**إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم)** من ذلك مثلا في قوله تعالى : **(و قالوا يأيها الذي أنزل عليه الذكر إنك لمجنون)**[6] خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك و إعتقادا له بل إستهزاءا [7].

و من المفسرين العلامة **أبو الفضل السيد محمود الألوسي (ت 1370 هـ)** صاحب التفسير المسمى **(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني)** فنجده يعرف السخرية [8]، و كثيرا ما نجد عنده التعليل بالسخرية و التهكم فيقول مثلا في قوله تعالى : **(قل كونوا حجارة أو حديدا...)**[9] و معنى الأمر كما قيل الإستهانة [10] ، و يشير إلى الإستعارة التهكمية في قوله تعالى : **(إنك لأنت الحليم الرشيد)**[11]، يقول : (وصفوه عليه السلام بهذين الوصفين الجليلين على طريقة الإستعارة التهكمية [12]، و في قوله تعالى : **(ذق إنك أنت العزيز الكريم)**[13]، يقول : (**أي و يقال قولوا له ذلك إستهزاء و تقريعا على ما كان يزعمه)**[14].

1- جارالله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف، مرجع سابق ، جزء2 ص 229 .
2- بعض الآية (23) من سورة البقرة .
3- جارالله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف، مرجع سابق ،جزء 1 ص 49 .
4- جارالله محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف، مرجع سابق جزء 2 ص 310 .
5- المرجع نفسه،جزء 2 ص 310 .
6- الآية (6) من سورة الحجر .
7- أبو السعود محمد بن محمد العمادي،تفسير القران المسمى إرشاد العقل إلى مزايا القران الكريم،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت ، جزء 5 ص 66 .
8- محمود شكري الالوسي ، روح المعاني المرجع السابق جزء 26 ص 152 .
9- بعض الآية (50) من سورة الإسراء
10- محمود شكري الالوسي ، روح المعاني المرجع السابق ،جزء 15 ص 91 .
11- بعض الآية (87) من سورة هود
12- محمود شكري الالوسي ، روح المعاني المرجع السابق ،جزء 12 ص 118 .
13- بعض الآية (49) من سورة الدخان
14- محمود شكري الالوسي ، روح المعاني المرجع السابق ، جزء 25 ص 134 .

المطلب الثالث : أساليب السخرية و صورهـا:

إن الأديب الفنان يتخير ألفاظه و تراكيبه ، ليعبر بها عن مكنون مشاعره ، و عصارة فكره فيبني من كل ذلك أساليب ليبلغ غايته في إقناع المتلقي بما يريد إيصاله إليه ، وهذا الإنتقام و القصد في الكتابة يعبر تعبيرا صادقا عن مواقف و أفكار تحمل عمقا معينا و كثافة متميزة و دلالات خاصة ، كما يبينان إبانة واضحة عن شخصية الكاتب المتبني لتلك المواقف المتميزة عن غيره في إختيار المفردات و صياغة العبارات و التشبيهات البلاغية [1].

و الأسلوب (**Style**) لغة : هو انتزاع الشيء وأخذه والاستيلاء عليه ، وفيه أيضاً معنى ما يكون على الإنسان من اللّباس ، وتأتي كلمة أسلوب في العربية بمعنى السطر من النخيل ، " **وكل طريق ممتد فهو أسلوب**" . والأسلوب هو الفنّ، "يقال: أخذ فلان في أساليب من القول ، أي: أفانين منه"[2] ، وعرف في الغرب بأنه اصطناع لغوي مستحدث نسبيا ؛ يمتد إلى الكلمة الكلمة اللاتينية (**Stilus**) التي كانت تطلق على "مثقب معدني يستخدم في الكتابة على الألواح المشمعة (المدهونة) "، ثم تطورت دلالاتها التأثيلية عبر القرون ؛ من الدلالة على "كيفية التنفيذ" في القرن 14م ، إلى "كيفية التصرف "في القرن 15م ، إلى "كيفية التعبير" في القرن 16م ليدل على "كيفية معالجة موضوع ما" في نطاق الفنون الجميلة خلال القرن 17م . [3]

ثم تستقر الدلالة الاصطلاحية للأسلوب – في حقل الكتابة – على " **كيفية الكتابة ، من جهة ومن جهة أخرى كيفية الكتابة الخاصة بكاتب ما ، أو جنس ما ، أو عهد معين ، ...**و لهذا عد **الأسلوب** : قناة للعبور إلى شخصية صاحبه ، سواء منها الفنية أو الوجودية....[4]

و قد اقر **بيفون** (**Buffon**) : في كتابه (**مقالات في الأسلوب**) : إن الأسلوب هو الرجل ، و قال **شوبنهاور**(**Shopenhauer**) : الأسلوب هو ملامح التفكير ، و قال عنه **فلوبير** (**Floubert**) : بأنه طريقة مطلقة في تقدير الأشياء [5].

إن هذه التعريفات و التحديدات تشير جلها إلى أن الأسلوب هو الطريقة أو فن القول أو المنهج أو المسلك الذي يسير فيه أو عليه توجه معينة فتصبغه بصبغة متميزة ، تلك المؤثرات حصرها **علي أبو ملحم** في أصلين إثنين رئيسيين تتفرع عنهما بقية العوامل ، وهذان العاملان هما : **شخصية الأديب** و **موضوع الكتابة**

1- عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق،ط1،1989،ص 10

2- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج: 2، ص: 178.

3- ينظر يوسف وغليسي ،إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر، 2008 ، ص 175،

4- عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة ،مرجع سابق، ص 28

5- المرجع نفسه ، و نفس الصفحة .

أما **العامل الأول :** فيتعلق بالصفات العقلية و العاطفية و الجسمية التي تكون عليها شخصيته و التي لها أثرها الكبير في نوعية الأساليب التي يظهر بها العمل الأدبي ، فتصبغ بالتشاؤم و التفاؤل و الشمولية و الجزئية و الخشونة و القوة و الركاكة....

كما أنها – شخصية الأديب – تتأثر بالبيئة و الجنس و الثقافة و الدين ، فتنشأ عن ذلك أساليب مصبوغة بصبغة القيم الدينية و الاجتماعية التي تطفو على حياة الأديب

أما **العامل الثاني** فيتعلق بموضوعات الأدب التي يحصرها في الإنسان و الطبيعة ، و ماله صلة بما يتأثر بهما أو يؤثر فيهما[1].

من خلال ما سبق نقول إن أسلوب التعبير يخضع لظروف معينة فهو مختلف و متنوع لاختلافها و تنوعها ، لهذا تتنوع أساليب الكتابة بما لا يمكن حصره في عدد معين، لإنها نتاج المشاعر المتدفقة التي لا تعرف التوقف و كلها تبحث عن أية وسيلة للوصول إلى وعي المتلقي المخاطب أو المقصود بالخطاب [2].

و الساخر نفسه هو أديب فنان يملك خيالا مرنا ، و عقلا راجحا ، و مشاعرا محتدمة ، و ذكاءا لماحا ن وروحا مرحة ، و قدرة على الصياغة ، و مكلمة لإختيار ما يحقق غرضه من الكتابة ....

فبفضل هذه المعطيات و الامتيازات يتناول المسخور منه بالبعث و المداعبة و التندر و التهكم [3]

لهذا اختلفت صور السخرية، و أساليبها على مر العصور، إذ حاول كثير من الكتاب و النقاد الأوروبيين الإحاطة بصور السخرية المختلفة و ترتيبها زمنيا منذ نشأتها منذ قدم ثم تدرجها على مر العصور ، فمن هؤلاء **أرثر سيد جويك** و تابعه **سيدج GG sedg** ، و حاول مناقشة تاريخ الكلمة و تطور معانيها ، و لم يستطع معرفة تاريخها قائلا : **فحتى لو لم يكن لصبرك أو لوقتي من حدود فإني غير مستطيع مسرد القصة بأكملها لأنني لا أعرفها** [4]

1- محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ، مرجع سابق ، ص 209
2- المرجع نفسه ، نفس الصفحة .
3- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي مرجع سابق ، ص 47 .
4- المرجع نفسه ، ص 36 .

01/ السخرية بالمحاكاة في الكلام و المشي و الحركات الجسمية و أنواع السلوكيات المختلفة :

من أول صور السخرية و أقدمها في تاريخ البشر و أكثرها انتشارات بين العامة ، تتمثل في السمات البارزة التي تميز شخصية ما من الشخصيات البارزة، كأسلوب ما من أساليب الكتابة التي يمتاز بها كاتب من الكتاب أو خطيب من الخطباء أو شاعر من الشعراء في قصيدة ما من قصائده ، كما فعل **حافظ إبراهيم (1932/1871م)** معارضا **احمد شوقي 1932/1868م** في قصيدته **" عن** أي **ثغر تبتسم"** إن هذا النوع من تقليد القصائد، و إحالة الجاد منها إلى الهزلي أو المضحك منتشر في الآداب أكثر من انتشاره في الأدب العربي .

يعود السبب في كونه - أي التقليد- مدعاة إلى السخرية هو أن الساخر المقلد ينقل شخصية المقلد برمتها و يجعلها رداءا له يلبسه و يتماجن به كيفما شاء و أما الفنان لا يكتفي بمجرد التقليد كعامة الناس أو الأطفال لأنه يولد منها صورا متنوعة كثيرة.[1]

02/ المناداة بالألقاب:

هي من أقدم الصور السهلة الساذجة، و تستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب : مثل قولهم للسمين: **يا درفيل** ، ثم استعمال هذا اللقب بعد ذلك، أسماء يطلق على هذه الشخصية و تعرف به كما نجد كذلك

03/ استعمال الصفات المعكوسة :

و هي عكس ما يتصف به الشخص حقيقة كألقاب وأسماء تتكرر كثيرا في صور متنوعة و مناسبات مختلفة حتى يلتصق هذا الإسم بهذه الشخصية ، كإطلاق صفة الهزيل النحيف على السمين أو استعمال ألفاظ أجنبية لزيادة الهزء كإستعمال لفظة " مدموزايل" للعجوز الطاعنة في السن، كما يمكن إستعمال أسماء الرذائل و إضافتها إلى من يدعون التمسك بالفضيلة، كإطلاق لفظة الشيخ أو الإمام على الفاسد و الأمين على اللص ، لغرض التهكم و السخرية .

كما ترتبط هذه السخرية بالأحرف و المسميات ترتبط أيضا بالمحيط ، أي الجو الاجتماعي الذي يفهمه السامع أو القارئ .

04/ السخرية بالصوت : بتلوينه و رفعه و خفضه و إعطائه نبرات خاصة معروفة غالبا ما يفهمها السامع و يعرف صفاتها التي لا يمكن أن تجسد كتابة، و من طرق السخرية انفراج أسارير لوجه و تحريك عضلاته أو بهز الرأس أو الكتفين أو الغمز بالعينين و غيرها من الحركات الموحية و الدالة على السخرية ن أما عن النوع الخامس فهو :

1- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي مرجع سابق ، ص 37

05/ معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم : أو ما يسمى في أدبنا العربي : **الذم بما يشبه المدح،** و نضرب مثلا على هذا بمخاطبة عالم يستهزأ بجاهل قائلا له : قل لي يا سيدي الأستاذ أو أخبرني أيها العالم الجليل، أو مخاطبة القبيح قائلا : القمر يغار منك ، و بعضهم يسمى هذا النوع بالتهكم [1]

06/ معالجة الشيء العظيم كأنه حقير: مثل التشبيه الذي شبهه هتلر اذ شبه اماكن العبادة المسيحية بمصرف يذهب اليه الناس ليدفعوا شيئا و يأخذوا .

07/ تجاهل العارف أو التباله: وهو أن يرى المتكلّم نفسه جاهلاً ، مع أنه عالم ، وذلك لنكتة، و قد كان قديما الطريقة التي أثرت عن سقراط (ولد عام 469 ق/م) و من أمثلته سؤال الأب للراسب في الإمتحان ، و هو يعلم برسوبه ، أنجحت في الإمتحان ؟.[2]

ومما جاء في تجاهل العارف للمبالغة في الذم و السخرية قول زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء[3]

فزهير يعلم أن قوم آل حصن رجال ، ولكنه تجاهلهم هنا وجعل أخلاقهم أخلاق نساء حتى يكاد الناظر في حالهم يحتار أرجال هم أم نساء

08/ الـرد بالمـــثل : وهو قائم على التبادل، وكثيراً ما يستخدم للفكاهة والضحك لمجرد التسلية، والردّ يكون أكثر سخرية وأشد لذعاً، و هو يتطلب حيوية الذكاء و سرعة الخاطر، وقد يكون بديهياً، كالمرأة التي سخرت من طول الجاحظ ردا على سخريته من طولها، و كالفرزدق الصبي الذي مر به الأخطل و قال له : أيسرك أن أكون أباك ؟ فرد عليه في سرعة قائلا : لا و لكن يسرني أن تكون أمي ليأكل أبي من أطايبك .[4]

09/ القلب و عكس المراد : من ألوان السخرية و الفكاهة و أساليبها عند العرب، و قد جاءت منه الكثير من النوادر عند العرب كنادرة **أشعب** عندما ساوم رجلا في قوس، فقال الرجل :اقل ثمن لها دينار ،فرد اشعب قائلا: لو انك إذا رميت بها طائر في السماء فوقع مشويا بين رغيفين، ما اشتريته منك بدينار أبدا .

و منها ان الحسن رأى على رجل طيلسان صوف فقال له :ايعجبك طيلسانك هذا ؟ قال : نعم انه كان على شاة قبلك .

1- ينظر نعمان محمد أمين طه ، المرجع السابق، ص 38 .

2- المرجع نفسه ص 40

3- ابن حجة، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، دار ومكتبة الهلال-بيروت ط 2004 جزء 01 ص 278 .

4 - حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني،مرجع سابق، ص 41 .

و يروى أيضا ان امرأة قالت لأشعب : هب لي خاتمك قال :لماذا؟ قالت:لاذكرك به فقال لها : اذكرني بالمنع .[1]

10/ الهزل الذي يراد به الجد :

وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج عن ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال، ومن شواهده قول **أبي العتاهية** [2] :

أرقيك أرقيك بسم الله أرقيكا مِن بخل نفسك علّ الله يشفيكا
ما سلم كفّك إلا من يناولها ولا عدوّك إلاّ مَن يرجّيكا

ومنه أيضاً قول **أبي نواس** [3] :

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً فقل عدِّ عن ذا كيف أكلك للضبِّ

فأبو نواس يَعْرف كيف يأكُل التميميّون الضّبّ، لكنّه تساءل هازلاً، وغرضه تقريع بني تميم بأنّهم يأكلون الضبّ، وأشراف الناس لا يأكلونه، فليس من حق التميمي أن يفاخر.

11/ التبشير في موضع الإنذار، أو الوعد في مقام الوعيد :

كقول الله تعالى [4] : **((بشّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً))** و هذا تعبير لاذع في السخرية لأنه سبحانه و تعالى مع توعده المنافقين بالعذاب الأليم يسخر من توقعاتهم القائمة على الوهم و حمق الإدراك .[5]

12/ المواربة : [6] هي في الأصل المخادعة والدهاء: وفي الاصطلاح أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغير معناه بتحريف أو تصحي،.وهي أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما ينكر فيه بسببه، وتوجه إليه المؤاخذة فإذا حصل الإنكار عليه استحضر بذكائه وجهاً من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة، إما بتحريف كلمة أو تصحيفها، أو بزيادة أو نقص، أو غير ذلك، ومنها قول أبي نواس في خالصة جارية الرّشيد هاجياً لها:

لقد ضاعَ شعري على بابكُمْ كما ضاعَ حليٌ على خالصة

---

1 - عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية ليبيا،ط1 سنة 1988 ص 75 .
2 - ابن حجة، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق ، جزء 01 ص 126 .
والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس في قوله :
وقد علمت سلمى وإن كانَ بعلُها بأنّ الفتى يهذي وليس بفعّالِ .
انظر الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، جزء 01 ص127.
3 - أبو نواس الحسن بن هاني ،الديوان الشعري، دار صادر بيروت لبنان ط 1962 ص 90 .
1- سورة النساء، آية 138.
5 - حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني،مرجع سابق، ص 48 .
6 - **المواربة**: مشتقة من الأرب، وهو الحاجة، لكن ذكر ابن أبي الإصبع أنها مشتقة من ورب العرق، (بفتح الواو والراء) إذا فسد، فهو ورب (بكسر الراء) كأن المتكلم أفسد مفهوم ظاهر الكلام بما بدأه من تأويل باطنه ينظر الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب،المرجع السابق جزء01 ص 249.

فلما بلغ الرشيد ذلك أنكر عليه وتهدده بسببه، فقال: لم أقل إلا:

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء حليٌ على خالصة

فاستحسن الرشيد مواربته، وقال بعض مَن حضر: هذا بيتٌ قُلعت عيناه فأبصر.[1]

13/ المشاكلة : تعني في اللغة المماثلة، والذي تحرر في المصطلح، عند علماء هذا الفن، أن المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه، لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى :**((وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا))** [2]، فالجزاء عن السيئة في الحقيقة، غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها، ومثله قوله تعالى**((تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ))** [3] ، والأصل: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك، فإن الحق، تعالى وتقدس، لا يستعمل في حقه لفظ النفس، إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس .

و من أمثلة المشاكلة الشاعر الذي أراد أن يداعب أو يهزأ ببخيل وعده شيئاً ثم أخلفه، ثم وعده بوليمة عظيمة، فيقول له :

قالو اقترح شيئًا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا [4]

14/ التلاعب بالألـفاظ :

والأساس فيه هو محاولة المتندر أن يكسب الألفاظ معاني غير معانيها الواضحة، فإذا ما اكتشف السامع أن ما يقصده المتكلم هو هذا المعنى الغريب يسخر من فهمه الأول لمعنى الجملة، فيضحك، ويكون التلاعب اللفظي باختصار الفكرة، أو بالإضافة إليها بحيث تخرجها عن معناها الأصلي أو بتبديل الكلمات المكونة لها، أو بنحت بعض ألفاظها أو بتقسيمها، أو بالعبث بإعجامها و تبديل حروفها بغرض السخرية ، كما ذكر الجاحظ حين أتى منزل صديق له **:((.... فطرقت الباب فخرجت إليّ جارية سندية.فقلت: قولي لسيدك الجاحظ بالباب، فقالت: أقول: الجاحِد بالباب؟ على لغتها، فقلت: لا، قولي له: الحَدَقي بالباب، فقالت: أقول: الحلقي بالباب ؟ فقلت: لا تقولي شيئاً و انصرفت !!))**

و قد يكون التلاعب الساخر بإبدال الكلمات عن مواضعها قال الجاحظ : **((قلت لغلامي نفيس : بعثتك إلى السوق في حوائج فاشتريت ما لم آمرك به، وتركت كل ما أمرتك به! قال: يا مولاي، أنا ناقة وليس في ركبتي دماغ !))**

1 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، مرجع سابق، جزء01 ص 249 و ص 250 .
2 - سورة الشورى: 42/ 40 .
3 - سورة المائدة : 5 / 116 .
4 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، مرجع سابق، جزء02 ص 252 و ص 253.

و يقول الجاحظ أيضا : **((...وقال نفيس لغلام لي: الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل! يريد: أنت أقل الناس كلهم حياء...))** [1]

و يدخل في هذا التلاعب أسلوب العكس، ويسمى **التصدير** : وهو أن تقدم جزءا في الكلام ثم تؤخره بأن تؤخر ما قدمت ، وتقدم ما أخرت، مثل قول أحدهم يسخر من صديق له غضب لمزاحه معه: **ليس الضحك بداية سيئة للصداقة، ولكنه نهاية حسنة** .

15/ التلاعب بالمعاني : ويمكننا أن نقسمه لثلاثة أنواع بلاغية تتضمن السخرية :

أ- الكنايــة: و هي التعبير بجملة او جمل يراد بها معنى أخر مرتبط بالمعنى الأصلي ، بألفاظ تؤدي صور مضحكة ساخرة ، كالذي رد على صديقه حين سأله : ماذا ولاه الأمير، بقوله ((**ولاني قفاه**)) و في هذا سخرية من وجهين، سخرية من الأمير انتقاما منه لانه رده دون شيئ ، و سخرية من النفس تعبيرا عن الحرمان و الخيبة و في هذا التنفيس عن ذات المتكلم . [2]

ب- التوريــة : و هي التعبير بلفظ يحتمل معنيين احدهما بعيد و هو ما يريده المتكلم ، و هي من اهم بواعث الضحك و اكثر انواع الفكاهة شيوعا في الأدب الانجليزي و اساسها كما في الادب العربي الاتحاد في اللفظ و الاختلاف في المعنى ، و قد يكون الاتحاد كاملا ، او في اكثر الحروف ، و من امثلة ذلك قصة الاعرابي الذي كان يأكل مع ابي الاسود الدؤلي، و كان يأكل لقما كبيرة ، فسأله ابو الاسود :ما اسمك ؟ قال : **لقمان** ، فقال له : صدق اهلك في تسميتك أنت **لقمان** .

ج- التعريض : يعد من أشهر أنواع السخرية [3] ، وهو أسلوب يعتمد على التعبير غير المباشر و اللعب بالمعاني من غير أن يكون بين المعاني تلاؤم مشروط و هو الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه ، و إنما يقصد معنى أخر و ليس

بين المعنيين تلازم[4] ، في التعريض ينال الأديب الساخر من المسخور منه ، و يعبث بخصمه بطريقة خفية، و ذكية و مؤلمة في الوقت نفسه، و بذلك يوفر التعريض الجمالية في التعبير و الطرافة في القول، و من ثم يبعث المتعة في نفس القائل، و نفس المستمع و المطلع على القول المعرض[5]

1 - عبدالحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ، مرجع سابق، ص 181 .
2- ينظر حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني،مرجع سابق، ص43
3- المرجع نفسه ، ص 43 و 44 .
4- محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ،مرجع سابق ، ص 215
5- المرجع نفسه، نفس الصفحة .

وقد جمع الثعالبي في كتابه **"الكناية والتعريض"** طائفة من الأمثلة، لعل من أبرزها الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس، إذ سأل الأول الثاني قائلا: ما الشيء الملفف في البجاد؟ فقال الأحنف: **هو السخينة يا أمير المؤمنين !!**

وقد أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن تعيش فجيء بزاد
بخبزٍ أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملفف في البجاد

وأراد الأحنف بقوله : **السخينة،** أن قريشا يأكلونها ويعيرون بها وهي أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة وإنما تؤكل في كلب الزمان، وشدة الدهر، وقد سموا قريشا سخينة تعييرا لهم بذلك [1].

16/ التصوير المبالغ فيه (أي الكاريكاتوري) : و هو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم، و محاولة تشويهه إلى حد ما حتى يجعل الشخص لا يدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسده و كبره ، و من ذلك ضخامة الجسم أو نحافته و بهذا يقف على جسد الشخص أو ملاح وجهه ، بخاصة الأنف الذي يعد مقياسا للشذوذ الذي يثير الضحك .

و التصوير الكاريكاتوري في البلاغة العربية يدعى بالمبالغة، و التي تعني الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة، أو العيب المقصود بغرض السخرية(2).

لهذا نلحظ أن المصور الكاريكاتوري يميل إلى تأكيد طول الأنف أو انعدامه لما يضفيه هذا الشذوذ الهزلي على الوجه

كذلك تصوير الفم تصويرا هزليا لإتساعه أو عدم إنتظام أسنانه أو لعيب في إحدى الشفتين كما يدخل في هذا النطاق ما يسمى بالشذوذ الحسي، كالأعمى و الأصم و الأبكم فهؤلاء يثيرون عاصفة من الضحك إذا سلكوا مسلكا يحاولون به إنكار ما فيهم من نقص [3] .

من الشعراء الذين اشتهروا بهذا النوع نجد **ابن الرومي (835م-8896م)** يذم شخصا اسمه **عمرو** إذ يقول له (من مخلع البسيط) :

وجهك ياعمرو فيه طولُ و في وجوه الكـــلاب طول
فأين مـــنك الحياءُ قل لي يا كلبُ و الكلب لا يقول [4]

1- بنظر نعمان محمد أمين طه ، المرجع السابق، ص 40
2 - حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني،مرجع سابق، ص48.
3- ينظر نعمان محمد أمين طه، السخرية في الادب العربي، ص 41
4- ابن الرومي ، الديوان الشعري : تحقيق أحمد حسن بسج، ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2002، ج3 ص 139

ثم يقول : **والكلب وافٍ وفيك غدرٌ ففيك عن قدْره سُفول**
مستفعــل فاعل فعولُ مستفعل فاعل فعــولُ
بيــت كمعناك ليس فيـه معنى سوى أنه فضــولُ[1]

و تعرض لرجل ذي لحية كبيرة فقال (من بحر السريع) :

ولحيةٍ يحملها مائــقٌ مثل الشراعين إذا أشرعا
لو غاص في البحر بها غوصةً صاد بها حيتانه أجمعا [2]

كما هجا رجلا طويل الأنف اسمه (عمرو النصراني) كاتب القاسم بن عبيدالله قائلا فيه (من بحر البسيط) :

عليك خرطوم صدق لا فجعت به فإنه آلة للجود و البأس !
لو شئت كسبا به صادقت مكتسبا أو انتصارا مضى كالسيف و الفأس
حملت أنفا يراه الناس كلهم من رأس ميل عيانا لا بمقياس [3]

و من أجل تصويرات ابن الرومي الكاريكاتورية الساخرة قصيدته في هجاء صوت و أنف مؤذن كبير من المؤذنين في عصره اسمه **دبس** قال فيه :

أشجَتْكَ أطلال لخو لةَ كالمَهَــارِق دُرَّسُ
أودت بهنَّ الباكيا تُ الضاحكات الرُّجسُ
قُولا لدبسٍ شرّ من يطأ الترابَ ويُرمس
تباً لدهرٍ أنت فيه مقدَّم ومرأَس
لو أن إبليساً رآ كَ لــكاد ذعراً يُبلس
وكأن صوتك حين تصدُح صوتُ رعدٍ يَرْجِس
فإذا صدحتَ مؤذناً كادت تموتُ الأنفس
فطَوال دهرك أنت مشتوم وعرضُك أدنس
وإذا جلست أذَى خُشامُك مــن يَضُمُّ المجلس
فالأنف منك لِعُظْمه أبداً لرأسك يعكِسُ
إن كان أنفك هكذا فالفيل عندك أفطسُ
وإذا جلستَ على الطريقِ ولا أرى لك تجلسُ
قيل السلام عليكما فتجيب أنت ويخرسُ [4]

فأشكل عليه ، هل لهذا الرجل أنف كبير أم إنها أنوف مجتمعة؟! ولأن أنفه كبير وهو أمامه وصل قبله إلى البيت الحرام في مكة ، بينما يقف الرجل مصلياً في القدس الشريف . وتصور المسافة بين القدس ومكة ألفاً وثمان مئة كيلومتر.

1- ابن الرومي ، الديوان الشعري المرجع السابق ، نفس الصفحة .
2- المرجع نفسه، ج 02 ص 392 .
3- المرجع نفسه، ج 02 ص 223 .
4- المرجع نفسه ج 02 ص 205 و 206 و 207 .

و لا يكتفي المصور الكاريكاتوري (رساما كان أو كاتبا) بتصوير الشذوذ الخلقي بل يتخذ من السلوك الشاذ مادة خصبة لسخريته ، لأن الساخر بما له من ذكاء و فطنة و خيال ، و حس مرهف و استعداد للتعبير الطريف يتفطن إلى هذا الشذوذ ، و يدرك الحركات غير العادية التي يعجز الغير عن إدراكها ، فيضخمها و يهيؤها ليراها الناس مشوهة حسبما يهدف أو يرمي إليه مع تركيزه على النقط المثيرة فيها[1]

إذن التصوير الكاريكاتوري هو المبالغة الباعثة على الضحك الساخر ، الهادفة إلى غاية ما قد تكون نبيلة ترمي إلى الإصلاح و التقويم و البناء ، و لوج دخائل النفوس البشرية، و تقريبها من المتلقي بالكشف عنها لأن كثيرا من الشخصيات تخفي وراءها أشكالا معينة، و لا تبدو على حقيقتها ، فيأتي الكاريكاتوري ليبين عنها .

و قد تكون المبالغة مغرضة تسعى إلى التحقير و الاستنقاص من المسخور منه ، و قد تكون لمجرد افضحاك و التندر ، 'إلا أن هذه المبالغة ، مهما يكن هدفها ليست غاية إنما هي وسيلة لإبراز الشذوذ و التصلب و الإنحراف[2].

17/ السخرية التراجيدية : و هي العبقرية التي تجعل شخصا من الأشخاص يستعمل ألفاظا تعني شيئا ما بالنسبة إليه، و شيئا أخر بالنسبة للناظرين العارفين بالحقيقة ، مثل ذلك الذي يقول لأعدائه و هو يقدم إيهم طعاما مسموما : هنيئا يا سادة

18/ السخرية عن طريق الصور الملفقة المضحكة : أو ما يسمى بالدعاوي الكاذبة كاختراع النوادر و النكت و إضافتها إلى أغنياء الحرب، و محدثي النعمة ، و القرويين السذج الذين زاروا المدينة لأول مرة .

و يهاجم الساخر الجبان ، و البخيل ، و المتطفل ، و المتسول أيضا و لكل العيوب الاجتماعية الخرى بالمبالغة في وصفها ، و اختراع الصور المبالغ فيها ن و في كتاب البخلاء للجاحظ امثلة طريفة [3]

19/ المجابهة (مواجهة الشخص بعكس ما يتوقع) : و من ذلك جواب الساخر و نعطي مثالا لما يحكي عن احد الأمراء أنه أراد أن يسخر بالشاعر الفرنسي فيكتور هوجو (1802-1885) فقال له : ألم يكن أبوك خياطا ؟ فقال فيكتور هوجو : بلى ، فقال الأمير : و لماذا لم تكن خياطا مثله ؟ بنفس الطريقة سأله الشاعر (**هوجو**) : و أنت أيها الأمير ألم يكن أوبك مهذبا ؟ فقال الأمير : بلى ، فقال الشاعر : و لماذا لم تكن مهذبا مثله ؟

1- ينظر نعمان محمد أمين طه ، السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ، ص 42/41
2- فتحي محمد معوض أبو عيسى،الفكاهة في الأدب العربي ،مرجع سابق ، ص 203
3- نعمان محمد أحمد امين طه، السخرية في الأدب العربي، مرجع سابق ، ص 42

هذا ما نلمسه حقا في كتاب سيكولوجيا الضحك غذ يقول أحمد عطية : يحاول المستهزئ بعض الأحيان إمعانا منه في الزهو بنفسه أن يدخل في روع الهزأة أنه حقا ذو شأن ، و خطر حتى إذا ما اعتقد هذا الأخير ما أوهم به كشف المداعب عن حقيقته ، فاختفت مسحة الجد من وجهه و راح يضحك ساخرا من صاحبه الذي تذهله المفاجأة حتى يعجم عليه القول [1] .

وبعد، فهذا الذي ذكرناه سالفا تضمن أبرز و أشهر الأساليب و الصيغ التي صيغت بها السخرية، وليس من همنا إحصاؤها إذ هي كالبحر العميق الزاخر بشتى الأحياء، أو هي كالدنيا الواسعة التي لا يمكن حصر ما بين أطرافها ، كما يحاول البلاغيون حينما يحصرون أنواع البديع المختلفة أو غيره من أبواب البلاغة .

1- أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، نقلا عن السخرية في الأدب العربي لنعمان محمد أمين، ص 42

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الفصل الثاني
ترجمة لحياة الأديب الجزائري
ابن محرز الوهراني و أوضاع عصره

المبحث الأول : نشأة الوهراني و أدبه

المطلب الأول: مولد الوهراني و نشأته
المطلب الثاني : أثار الوهراني الأدبية

المبحث الثاني : بيـئة الـوهراني و أحوال عصره

المطلب الأول : البيئة السياسية
المطلب الثاني : البيئة الفكرية و الأدبية

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المبحث الأول : نشأة الوهراني و أدبــه

الدارس و المستكشف لأدب ابن محرز الوهراني صاحب المنامات الخيالية ورائد المقامات في الأدب الجزائري والفن الساخر والنقد اللاذع ، لابد له من وقفة ملية متأنية يستكشف بها حياة هذا الاديب الجزائري الاصل الشامي المنزل الذي ظلمه اهله و همشه التاريخ، و جعله في درج الادباء المنسيين و المجاهيل المنبوذين، بل وصل الظلم حتى الى الدارسين و الباحثين العرب و الجزائريين قديما و حديثا الذين اشاحوا النظر و الدراسة في تتبع هذه الشخصية الطريفة التي ملأت الدنيا و شغلت الناس في عصرها .

في هذا الفصل البسيط ستناول لمحة نصف فيه حياة هذا الاديب الكبير وبيئته السياسية و الفكرية و الادبية الذي عاش فيه و تأثر بها في ادبه ، و الاديب الفنان كما نعرف ابن بيئته ،و ابن مجتمعه فأدبه نسخة من محيطه الذي يتنفس هواءه، ويطأ ثراه ويجوب دروبه .

المطلب الأول : مولد الوهراني و نشأته

الوَهْـرَانيّ بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الراء وبعد الألف نون، هو أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الملقب بركن الدين، وقيل: بجمال الدين أديب جزائري، عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، أغلب مصادر ترجمته تشير الى انه محمد بن محرز 1 ، ولكن احد الباحثين المحدثين يرى بأن محمد بن محمد هو الأصوب 2 ،لانه دون على أثاره ويبدو ان تكرار اسم محمد هو الذي خلق هذا الاضطراب وانه يخضع للتصحيف والتحريف .

المراجع التاريخية و الأدبية التي ذكرته كثيرة لا تحصى لكنها سكتت في مجملهاعن تدوين تاريخ محدد لولادته، إذ تذهب بعضها إلى أنه ولد على الأرجح في عهد الدولة المرابطية في

1- الكثيرون من ذكروا ابن محرز الوهراني بهذا الاسم نذكر من ابرزهم : الذهبي في العبر، تح صلاح الدين المنجد، طبع حكومة الكويت، ط2 (الكويت،1984م جزء04 ص225 ، ابن خلكان في وفيات الأعيان، أبو الفلاح ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 2 /252، وفضل الله العمري في مسالك الأبصار، والصفدي في الوافي بالوفيات، ،وخير الدين الزركلي في معجم الأعلام: 7 /241، إسماعيل البغدادي في هدية العارفين وآثار المصنفين: 6 /98، ابن عودة المزاري في طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر: 1 /95، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف: 494، عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: 350، أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي: 2 / 207 - 208، عبد الرحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العام : الجزء الثاني 320 – 319، يحيى بوعزيز أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة الجزء الثاني ص 208 - 193/ محمد كرد علي في مجلة المقتبس و غيرهم كثير.

2- عبد الامير مهدي الطائي المقامات اصالة وفناً و تراثاً، دراسة و تحقيق، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد،2001م) ص87.

بداية القرن السادس الهجري 1 ، بمدينة وهران إحدى مدن الجزائرالكبيرة، وصفها محمد الزياني بقوله: «**وهي مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي عظيمة ذات مساحة وفخامة جسيمة وبساتين وأشجار ومياه عذبة وأطيار وحبوب عديدة**.. 2 ، ولقد شبّ بهذه المدينة وعاش بها عدد لا يستهان به من رجال الفكر والثقافة والأدب، ممن ذاع صيتهم وانتشرت سيرتهم عبر مختلف مراحل الحضارة الإسلامية 3 .

عاش الوهراني بموطنه الأصلي بوهران خلال عهدي السلطة المرابطية و الموحدية ، حيث كانت وهران خاضعة لسيطرة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين منذ سنة (469 هـ/ 1077م) لمدة 68 عاما .

وقد شهدت وهران في عهد المرابطين تطورات واسعة في جانب العمران و التجارة البحرية و العلم و الطب ، حيث اشتهرت بالعالم ابي محمد بن عبدالله بن طلحة بن عمرون الوهراني الذي عرف بالطب و الرياضيات و التصوف، و قد زارها الرحالة البكري وتحدث عن عمرانها وتاريخها و غرابة سكانها و قوتهم حيث ذكر ان فيهم عنصرا من العماليق الذين يستطيع الواحد منهم ان يحمل ستة اشخاص مرة واحدة و يبني منزلا في يوم واحد .

و قد تحدث الشريف الادريسي عن وهران ايضا خلال هذه الفترة (548هـ-1154م) و اشاد بعمرانها و مهارة اهل في الصناعة و زراعتها الخصبة و ميناءها البحري الحصين . 4

و في سنة (539 هـ/ 1145م)على عهد تاشفين بن علي بن يوسف وقعت وهران بقبضة قوات **عبد المؤمن بن علي الكومي** الموحدية المنتصرة في تلمسان ، تراجع تاشفين بن علي، من تلمسان إلى وهران، فحاصره الموحدون بحصنها ، وأشعلوا النيران على باب الحصن، و لاحقوه الى رباط كدية صلب الكلب عندما حاول تاشفين ومحظيته عزيزة الهروب بفرسهما فانقلب بهما بأحد منحدرات جبل مرجاجو،عندما كانا يقصدان الميناء من أجل الهروب إلى الأندلس وحدث ذلك في 27/ رمضان/ 539هـ ، ودخل الموحدون وهران، فقتلوا من كان بها من المرابطين . 5

1- ينظر:يحيى بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الاسلامي بيروت ط1 سنة 1995 جزء 2 ص 183

2- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي البوعبدلي،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط 1979 ص 25.

3- ينظر: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر تحق يحي بوعزيز دار الغرب الاسلامي بروت لبنان، ط 1990 ص .55– 64.

4- ينظر يحيى بو عزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دارالبصائر الجزائر، ط سنة 2009 ، ص 26-27 و ص 29 .

5- ينظر تاريخ وهران على موسوعة ويكيبيديا بالانترنت .http://ar.wikipedia.org/wiki/ و ينظر يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ ص 27-28، و في وهران مكان يسمى "وثبة لفرس عزيزة"، يذكر كلّ من يزور جبل "مرجاجو" أحداث مقتل السيدة عزيزة وزوجها تاشفين الذي يعتبر آخر أمراء المرابطين في سنة 1145 بوهران هروبا من حصار الموحّدين ليلقيا حتفهما في أحدى جروف هذا الجبل .

ثم بويع بمراكش لابنه ابراهيم وألقوه مضعفا عاجزا فخلع وبويع عمه اسحق بن على بن يوسف بن تاشفين وعلى هيئة ذلك وصل الموحدون إليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب عليه فخرج إليهم في خاصته فقتلهم الموحدون واجاز عبد المؤمن والموحدون إلى الاندلس سنة احدى وخمسين وملكوها . 1

و قد شهد الوهراني سقوط دولة المرابطين بمدينته وهران سنة (539 هـ/ 1145م) واستيلاء الموحدين على عرشها من قبل بإعلان المهدي بن تومرت لإمامته ورياستــه سنة (515/1121 هـ) ،وقد استطاع الموحدون أن يبسطوا نفوذهم على دول المغرب العربي جميعا وشطر من الأندلس، فوحدوها تحت سلطانهم، حتى سقوط حاضرتها مراكــش سنة (668/1269 هـ).2

و قد ارتكب الموحدون في عهد عبد المؤمن بن علي و اثناء زحفهم اخطاءا كبيرة في سفكهم لدماء اتباع المرابطين في مراكش و سلا ، و وهران هذه الاخيرة التي كانت على عهد حاكم المرابطين **بولوقين المتوكل الموهر**، و تعرضت للحصار و قطع الماء و حدثت فيها مجزرة دموية مروعة لأتباع المرابطين . 3

و قد اشار الوهراني الى ذلك في مقامته البغدادية عند زيارته لبغداد و التقاؤه بالشيخ ابى المعالي معبرا في ذلك عن امتعاضه من حكم دولة الموحدين على عهد خليفتها **عبد المؤمن بن علي الكومي** و اسقاطها لدولة الملثمين المرابطين قائلا : ((**... قال : كيف معرفتك بدهرك ، ومن تركته وراء ظهرك؟ فقلت : أما البلاد فقد دستها وجستها، وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت اخبارها،وقد كتبت في ذلك مجلدا وتركت ذكراهم فيه مخلدا، فاي الدول تجهل، وعن ايها تسأل؟ فقال : اول ما اسالك عن دولة الملثمين وابناء امير المسلمين .فقلت :هيهات،يا بعد من مات ، خمدت نارهم،وبادت آثارهم ،واسود ناديهم، وملكتهم اعاديهم.**

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جماد الكتب والسير

افلت بدورها ،فتعطلت صدورها، وطلعت نحوسها،فغابت شموسها .

امست خلاء وامسى اهلها احتملوا اخنى عليها الذي اخنى على لبد

قال :فما تقول في عبد المؤمن و اولاده و سيرته في بلاده ؟؟ فقال : مؤيد من السماء، خواض للدماء، مسلط على من فوق الماء، حكم سيفه في المعمم، وأعمله في رقاب الأمم..

1- عبدالرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، تحق خليل شحادة دار الفكر بيروت ط 2 سنة 1988 جزء 06 ص 252 .
2- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبدالحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر، د ت ، ج1 ص 170
3- ينظر يحيى بو عزيز، مدينة وهران عبر التاريخ،المرجع السابق ص 28 .

ولو أن للعلم لساناً ،والورقة إنساناً لتألمت وتظلمت.. ولكن السكوت على هذا الحال أرجح، ومسالمة الأفاعي أنجح .....)) . [1]

في هذا الظرف السياسي الانتقالي بين عهدي الدولة المرابطية و الدولة الموحدية تعلم الوهراني ودرس مختلف العلوم الإسلامية واللّغوية، لكننا لا ندري إن كان قد تنقل عبر حواضر المغرب الإسلامي للتتلمذ على يد المشايخ أم أنه اكتفى بالدراسة في وهران، نظرا لكون المصادر التي ترجمت له لم تتحدث عن ذلك، كما أن آثاره التي خلّفها لم تُشر إلى ذلك أيضا ، الا انه الثابت تاريخيا ان وهران عرفت على عهد ابن محرز بعدد العلماء و الأعيان أمثال: **أبي محمد عبدالله بن الجبل** الذي كان احد أعضاء مجلس اعيانها، و **أبي عبدالله بن مروان،** و **ابي عبدالله الهمداني الوهراني** الذي تولى خطة القضاء بها ثم بتلمسان و بعدها بمراكش التي توفي فيها عام(599هـ - 1205م). [2]

ويبدو أن ابن محرز الوهراني كان كارها لحكم الموحدين المتشدد، و كان يسمو إلى المعالي لقدرته على الإنشاء والكتابة الديوانية، حيث لم يجد سبيلا إليها بموطنه الأصلي وهران ولا في بلدان المغرب الإسلامي الأخرى خلال عهد الموحدين، رغم أنهم اهتموا بالشعر والشعراء وجعلوهم أصحاب رسالة اجتماعية ودينية لا يمكن الإخلال بها [3] ، على أن تكون دفاعا عن كيان دولتهم ونشر مذهبهم الخاص ، وقياسا على هذا فقد استُبعدت الأغراض التي لا تخدم المذهب .

والغالب أن الوهراني لم يتفق مع هذا التوجه السياسي وهَواه مما أشعل فيه العزم و الهمة على الهجرة و السفر، فعزم على التوجه إلى المشرق العربي الإسلامي، فقصد القاهرة بالديار المصرية على عهد الدولة الفاطمية **(297-567هـ/910-1171م)** ، لأن القاهرة آنذاك كانت تنافس بغداد وقرطبة في العلم واجتلاب العلماء والأدباء، فقد اعتبرت خزانة الكتب بها مفخرة العصر إذ بلغت جملة ما في الخزانة من الكتب نحو مليون وستمائة ألف وقيل مليونين في الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ وسيرة الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء ، كما كان الأدب شعره ونثره منتعشا أيما انتعاش في تلك الفترة وقوي فيها قوة لم تعتدها مصر قبل هذه الدولة [4].

و قد ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان ان الوهراني قدم من المغرب الى مصر ايام السلطان صلاح الدين الايوبي و طمع بالعمل في ديوان الانشاء و لكنه لم يقدر على منافسة

1- ابن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، تحقيق ابراهيم شعلان و محمد نغش، منشورات الجمل .ط1 ، 1998، كولونيا، ألمانيا ، ص 2 و3 و انظر ص 11-12 .

2- ينظر يحيى بو عزيز،مدينة وهران عبر التاريخ،المرجع السابق ص 29 .

3- حسن جلاب، الدولة الموحدية ،منشورات الجامعة ،المغرب،ط2 سنة 1985،ص 49- 53

4- محمود مصطفى، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،ط سنة 1967، ص 208.

القاضي الفاضل (- 596 هـ) والعماد الأصبهاني الكاتب (- 597 هـ) و في هذا يقول « **.. فلما دخل البلاد و رأى بها القاضي الفاضل، و عماد الدين الأصبهاني الكاتب، و تلك الحلبة، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تتفق سلعته مع وجودهم فعدل عن طريق الجِدّ وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به، والمنسوبة اليه وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته، وكمال ظرفه ولو لم يكن له فيها الا المنام الكبير لكفاه فإنه أتى فيه بكل حلاوة** 1 .

لكن الصحيح من الجانب التاريخي ما اشار اليه **الاستاذ صلاح الدين المنجد** من ان الوهراني قدم الى المشرق في عهد السلطان **نــورالـدين محمود بن زنكي** (511-569هـ / 1118-1174 م) و بقي مستقرا في الشام حتى الى عهد السلطان **صلاح الدين الايوبي** .

حيث يقول الاستاذ صلاح الدين المنجد في ذلك **:**

((و هذا الكلام يحتاج الى تصحيح – يعني هنا كلام ابن خلكان - فسلوك الوهراني طريق الهزل كان قبل ان يصبح صلاح الدين سلطانا ، لانه كتب كثيرا من مقاماته الهزلية و رسائله في ايام نورالدين في دمشق كما سنرى ، و لم يجتمع العماد و الفاضل بمصر الا بعد موت نورالدين ...ثم ان مجيئه من بلاده الى الشرق لم يكن في ايام صلاح الدين، بل كان ايام نورالدين وقد وصفه في احدى رسائله عندما سئل عنه و هو في بغداد ، فقال عنه : سهم للدولة سديد ، و ركن للخلافة شديد ، و امير زاهد و ملك مجاهد ، تساعده الافلاك ، و تخدمه الجنود و الافلاك ، و عجيب ان يخطأ ابن خلكان مثل هذا الخطأ ، و الامر واضح ،على تتبعه و شدة تحريه ،وقد تبعه فيه الصفدي في الوافي فقال : ((قدم من المغرب الى مصر و هو يدعي الانشاء فرأى الفاضل و العماد)) و الذي عرفناه عن سيرته ، بعد مطالعة اثاره المخطوطة ،انه زار دمشق في ايام نور الدين و اتصل به و انه مر بصقلية و زار بغداد ثم اتخذ دمشق دار و استوطنها.....و قد زار مصر و نرجح انه زارها بعد وفاة نورالدين و عاد الى دمشق....)) 2

و قد عرف من سيرته في آثاره المخطوطة المحققة انه كان كثير الأسفار و التجوال للتكسب وطلب المال عن طريق الهزل ، حيث يحدثنا عن ذلك بنفسه فيقول :

"لما تعذرت مآربي ، واضطربت مغاربي، ألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي...فما مررت بأمير إلا حللت ساحته، واستمطرت راحته، و لا بوزير إلا قرعت بابه وطلبت ثوابه، ولا بقاض إلا أخذت سيبه، وأفرغت جيبه..."3

1- ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس، دار صادر (بيروت، د.ت):جزء 4 ص 385 و 386 .
2- صلاح الدين المنجد ، الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي،دمشق ط 1965 ص 4 و 5 .
3- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله المصدر السابق، ص1.

و لهذه الاسباب لم يبق الوهراني في وهران و بلاد المغرب، فغادرها كما اشار الى ذلك الاستاذ صلاح الدين المنجد الى **صقلية**، و بعدها زار مصر و بغداد ، ثم استقر به المقام بدمشق، التي كانت قبلة الأنظار، تهوي إليها أفئدة الناس من كل حدب وصوب، وكان نـور الـدين محمـود بن زنكـي (المتوفى سنة 569 هـ) شديد العطف على المغاربة فاتصل به الوهراني ، و وجهه الى خطابة مسجد داريّا [1] .

و قد اشار الى هذه المواضع في مقامته البغدادية فقال عن زيارته **لجزيرة صقلية** ردا على صاحبه الشيخ أبى المعالي قائلا : **((.... قال : فما تقول في دولة كافر صقلية، وسيرته في الايام المتولية؟ فقلت له : انه لما انقرض طاغوتها ، وهلك جالوتها،تناثر سلكها وتضابر ملكها فصاروا يمدونه بالهدايا والبراطيل ،بعد الجيوش الأساطيل (....) ومـن ذا الذي يا عـز لا يتغير..))** [2]

و تحدث عن زيارته لمصر و وصفه لدولتها التي دانت لحكم الأيوبيين قائلا: **((... قال: فما تقول في الدولة المصرية، والخلفاء العلوية؟ فقلت: عجوز محتالة، وطفلة مختالة، وروضة زاهرة،،وامرأة عاهرة، ولدت في السعود، ونشأت بين الطبل والعود،حتى إذا هرمت سعودها، ودوى في التراب عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد :**

وإن الجرح ينغر بعد حين إذا كان البناء على فساد [3]

ثم مدح الوهراني في المقامة نفسها اسقاط الايوبيين للدولة المصرية الفاطمية التي كانت في فساد اداري و خطر من الصليبين ، بعد ان فزع اليها اسد الدين شيركوه بن شادي و ابن اخيه صلاح الدين الايوبي بدعوة من السلطان نورالدين زنكي ، فكان اسقاط الدولة الفاطمية سنة 597 بموت العاضد و صارللناصرصلاح الدين الايوبي ملك على مصر بعد وفاة عمه اسد الدين مواليا للخليفة العباسي ، و قد ذكر الوهراني هذا قائلا عن الدولة المصرية :

((... قال: كيف اخذت من أربابها، واستنزفت من أصحابها؟ فقلت له: اعلم انه لما أحان الله حينهم ، اظهر شينهم، وألقى باسهم بينهم، فضرب زيد عمرو، وقتل خالد بكرا، وكسر قراب السيف(....) فبقيت كالجارية الحسناء التي أبرزها الحجال، وأسلمتها الرجال، لا تمتنع عن عانس ولا ترديدا من لامس فتغاير عليها الجيران، وسبق إليها رجال الفرنج فصيروها كرقعة الشطرنج يجوسون خلالها ويتفيئون ظلالها، ويأكلون حرامها وحلالها، فانف من ذلك ذوو الأحلام، وغضب لها ملوك الإسلام ، فانتدب لها من بني شادي الأسد الهصور والملك المنصور، فرماها بهمته وقصدها برمته، فاستعانوا عليه بالأسد والأحمر والملوك من بني الأصفر، فهمتك حجالهم وقتل رجالهم، ورحل عن بلادهم وقد قدح

1- قرية على باب دمشق " انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس ، المرجع السابق جزء 4 ص 385 .
2- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص3.
3- المصدر نفسه ، ص4

الرعب في أكبادهم (....) فلما انتهى إلى كماله، وبلغ النهاية من آمله، انتقل إلى ربه، وفاز بالرضوان من قربه ،واجمع الناس بعد موته، على تخليدها في أهل بيته ،لما يعلمون من رياستهم وحسن سياستهم، وما يجدون من سماحهم وطول رماحهم. فاتفق عظماء المحل، وأرباب العقد والحل ، بعد النظر في الأواصر والاختبار في العناصر، على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر ،لما اجتمع فيه من أخلاق الملوك وتواضع الصعلوك، وما خص به من شهامة الجنان وسماحة البنان(....) فقبض على الدولة بيمينه وقابلهم باليسار في عرينه ،حتى أبادهم وقطع أكبادهم ، وتفاقم بعد دلك أمرهم ،حتى التهب في الناس جمرهم ، فوثب عليهم وثبة الليث الكاسر ،وسطا بهم سطوة البطل الباسل ،حتى اخرج المفسد والمحارب، وقتل الأفاعي والعقارب ،فمهدت له شعابها، وزلت لسيفه صعابها ، فصارت القاهرة كجنة النعيم (....) ورد الناس إلى الأوطان، ففتح أبواب الجنة، ورفع بركته منار السنة ،فاحدث المدارس والمجالس، وشيد المساجد والمشاهد، وتفجرت يمينه بالنفقات حتى عم أهل الأرض بالصدقات ، وجعل قبر الأمام محمد بن إدريس، زاوية للفقيه والتدريس (...) فقويت به عرى الإسلام ،واشتد به دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ثم التفت الملك الناصر بعد دلك إلى الذين فكمله ، وإلى الإسلام فجمله ، واتى البيت من بابه ، ورد الأمر إلى أربابه ،وأمر بذكر العشرة الكرام البررة ، وصرح بأسمائهم على المنابر ، وأرغم بهم أنف الحسود المكابر.ثم خرج من الشك والالتباس ، ودعي لأئمة من بني العباس...)) [1]

كما مدح الوهراني بعد هذا في هذه المقامة الطريفة السلطان العادل نورالدين زنكي بدمشق الذي كان معاصرا له حيث قال عنه : **((... قال: فما تقول في الملك العادل نور الدين؟ فقلت: سهم للدولة سديد، وركن للخلافة شديد، وأمير زاهد وملكا مجاهدا، تساعده الأفلاك وتخدمه الجيوش والأملاك ..**

فلو رام ارض الصين لباه ملكه كما دانت الأملاك لاسكندر...)) [2]

و لعل من اظرف حكايات الوهراني في اسفاره و تجواله للتكسب وطلب المال عن طريق الهزل ما رواه المؤرخ **قطب الدين اليونيني** (640 - 726 هـ / 1242 - 1326 م) في كتابه ذيل **مرآة الزمان** عند قدومه الديار المصرية في الأيام الصلاحية وتعرضه للأمير **عز الدين موسك** [3] **مسترفداً له فأمر له بشيء لم يرضه فحضر مجلس الأمير عز الدين أحفل ما**

1- ينظر منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 4 و 5 و 6.
2- المصدر نفسه ، ص14.
3 - هو الأمير عز الدين موسك بن حكو الهدبانى خال السلطان صلاح الدين الأيوبى عاش في القرن الثاني عشر للميلاد وهو الذي أنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة الموسكى وقد أطلق اسم الموسكى على حي عريق من أحياء القاهرة تخليدا لمؤسس الحي الأمير عزالدين موسك و قد كان ابن الحاجب صاحب الكافية(570-646هـ ، 1174-1248م) يعمل حاجبا (مدير اعمال بالمصطلح المعاصر) لدى الأمير عزالدين في مصر ، و كلمة (موسك) بالغة الكردية تصغير لأسم موسى و قد توفي الامير عز الدين سنة 586 هـ.

يكون وقال يا مولانا قد احتجت أن أحلق رأسي في هذه الساعة واشتهى أن تأمر بعض الطشت دارية أن يحلقه بحضرتك فأمر بذلك فلما حضر الحلاق فهم الأمير عز الدين ما أراد بذلك فقال لبعض مماليكه أعطه مائة دينار وقال له يا ركن الدين أحلق بها رأسك غير هنا فأخذها وانصرف وهو شاكر فقال بضع الحاضرين للأمير عز الدين في ذلك فقال أراد أن الحلاق إذا حلق يقول له يا مهتار موسك نجس فيشتمنا في وجوهنا بحضوركم فافتدينا منه بهذه الدنانير فعرف بذكائه مراد الوهراني .[1]

و قد اتخذ الوهراني من بلاد الشام مستقرا و مسكنا على عهد أيام السلطان **نـورالـدين محمود بن زنكـي** و الى عهد أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي و له رسالتان كتبهما الى السلطان الناصر صلاح الدين 2 ، و قد بقي في قرية داريّا ،اماما خطيبا في مسجدها لضمان مورد عيشه من جهة، وتجنبا لسلاطة لسانه وسخريته اللاذعة من جهة أخرى، و قد كان يتردد على الديار المصرية من حين لاخر يستمطر امرائها و وزرائها و قضاتها و طلبا للقوت و المال .

و قد اشار الى ذلك بكثرة في رسائله و مقاماته ،التي التي كانت مرآة صادقة لحياته الصاخبة، حيث يذكر من بين ما يذكر فيها ظلم و نفاق القضاة واصحاب دواوين النظر و الكتابة و الانشاء الذين عمل عندهم و رميهم له بسلاطة اللسان ، و قد كان الاثير بن بنان رئيس ديوان النظر في الدولة المصرية أبرزهم ، حيث استهلك ماله واكله في اجرة ثلاثة أعوام لازمه فيها في الديوان .

و قد اشتكى من هذا الظلم بطريقة ساخرة الى جانب اشتكائه من الفاقة و الفقر و هول رحلته من وهران الى صقلية و الشام و نقمة القدر و كثرة الهموم و الاحزان ،حيث ولدت له طفلة ناقصة الأعضاء ماتت بالعجلة، ثم مات ولد له صغير ابن عشر سنين .

يقول عن ذلك في رسالته الى **القاضي الفاضل** يذكر فيها ابن بنان قائلا: **((..وأما ابن بنان فأنشب مخالبه في المملوك من ذلك اليوم، ولزمه ملازمة الغريم، ولم يخلصه منه ثنائي المنزل، ولا بعد الديار، ولا مسافة ما بين مصر والقاهرة، يستدعيه في الحر والبرد،ويطلبه في الشتاء والصيف، يأكل مالا يشتهي ويشتهي مالا يأكل..))** 3 .

ثم يذكر بعدها ظروف حياته الصعبة وقسوة القدر قائلا:(**... فوالله يا سيدي الذي أنا عبده وخدي لك في التراب لقد صبحت الخوارج في وهران... ولقد ركبت بعد ذلك موكبا إلى صقلية ، فأخذنا النوم وهاج علينا البحر، فنمت آخرالليل من شدة الهموم والأحزان، فما**

1- ينظر قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط 2 سنة 1992 جزء 2 ص 416 .
2- المرجع نفسه ، ص200.
3- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 118

استيقظت إلا على ارتفاع الأصوات بتكبيرة الغرق، ولقد بشرت في الشام بابنة مخدوشة ناقصة الأعضاء لو عاشت لما عشت ولولا أنها ماتت بالعجلة لمت قبلها، ولقد نعى إلى ابن عشر سنين مثل الدرة المكنونة أذكى من عطارد ولكنه يا سيدي ما قرع مسامعي قط صوت (أوحش ولا أثقل) (ولا أمقت) وذلا أنكى من حديث ذلك المقدم في ذلك الحين بذلك الحديث....)) 1

وأما دفاعه بصدق عن نفسه عن تهمة سلاطة اللسان و فحشه من طرف اعدائه و اصحابه الذين تهكم منهم و ضحك في رسائله و مقاماته فقد ذكر ذلك في آخر رسالته الى القاضي الفاضل قائلا **:((... إنما قدم المملوك هذه المقدمات وعدد هذه الجنايات لئلا يظهر عنه بعد هذا نفثة مصدور أو ضربة موتور فيظن ظان أو يتوهم متوهم من الناس أن الوهراني شرير وسخ اللسان لا يسلم منه عدو ولا صديق ومعاذ الله و حاشا لله والله يعلم ويشهد،وكفى الله شهيدا أن المملوك يخاف الله فيمن يخاف الله ويراقب الله فيمن يراقب الله، وإنه يراعي هذا الباب مذ كان، ولقد آذاه جماعة من أهل الدين والصلاح لتوهم فاسد توهموه فترك أذيتهم والولوع بهم لوجه الله تعالى وخوفا من عقوبته والله لا يضيع أجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين....))** 2

و قد عاش الوهراني على هذه الحال الصعبة هائما على هامش الحياة، متسكعا زمنا قبل أن ينتبه بعضهم إلى علمه وفقهه فيضحي اماما فقيها في قرية داريا بالديار الشامية حتى وفاته بها سنة خمس وسبعين وخمسمائة للهجرة (575 هـ) الموافق لسنة ألف ومائة وتسعة وسبعين للميلاد 1179م .3

و لعل هذا التاريخ الذي اجمعت عليه المصادرليس التاريخ الدقيق لوفاته،و الدليل على ذلك نسخة **الاجارة** المذكورة ضمن مؤلفاته و المؤرخة سنة585 هجري اي بعد وفاته المفترضة بعشر سنين مما يجعل هذا التاريخ خطأ ، و لا يعلم التاريخ الدقيق لوفاته الا انه من المفترض ان يكون بعد سنة 585 للهجرة و الله تعالى اعلم . 4

وقد دُفن الوهراني رحمه الله باتفاق المؤرخين بعد وفاته بقرية دَارَيَّا.. 5 ،على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني . 6

1- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 124 و125

2- المصدر نفسه ، ص 127

3- ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مرجع سابق، جزء 04 ص 385 .

4- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 199 .

5- صلاح الدين المنجد ، الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق،المرجع السابق ص 5 .

6- أبو سليمان الداراني : عبد الرحمن بن أحمد العنسي الداراني أبو سليمان، تابعي من أهل دَارَيَّا وإليها ينسب على غير قياس، وهي بلدة بالشام قريبة من دِمَشْق .ولد سنة (140)هـ، وتوفي سنة (215)هـ.

و قد عرفت قرية داريا ايضا بعد وفاة الاديب ابن محرز الوهراني بامامة جامعها و خطابته من طرف أحد علماء وابناء منطقة وهران الذين هاجروا الى دمشق في ذلك العهد ،و هو الامام الجزائري الوهراني الأصل الفقيه المفسر: **علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك أبو بكر وقيل أبو الحسن الوهراني** الذي توفي سنة (615هـ / 1219م) ،ولعله من رفقاء ابن محرز الوهراني و اقاربه الذين هاجروا من وهران و لحقوه في داريا بدمشق و الله تعالى اعلم .1

المطلب الثاني : اثــارالوهراني الادبــيــة

ترك الوهراني بعد وفاته نصوصا ادبية نثرية و شعرية مليئة بالسخرية و الفكاهة في صورة منامات ومقامات ورسائل وخطب و اشعار، جمعها كتابه**"جليس كل ظريف"**، الذي حققه الاستاذان إبراهيم شعلان ومحمد نغش تحت عنوان: **"منامات الوهراني ومقاماته ورسائله"**، وراجعه الدكتور عبد العزيز الأهواني، و نشر أول مرة عن دار الكاتب العربي في القاهرة بمصرعام 1968م،ثم طبع في طبعته الاولى سنة 1998 في مطبعة منشورات الجمل بكولونيا في دولة المانيا ، و هو يتألف من مائتين وسبع وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط ، وقد اعتمد المحققان في إصدار آثار الوهراني على خمس نسخ .2

ونشير هنا، أن صلاح الدين المنجد سبق تحقيق الاستاذين ابراهيم شعلان و محمد نغش في تحقيق و نشر نُسخة من مُؤلفات الوهراني تسمى رقعة على لسان جامع دمشق في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1965، اعتمادا على نسخة برنستون فقط 3 .

وعند تصفحنا لعمل الوهراني نجده مؤلفا من منامات ومقامات ورسائل تختلف من حيث الطول والقصر، وقد بلغ عدد النصوص التي يحتوي عليها الكتاب زهاء أربعة وأربعين نصا ، تداخلت فيها الاعمال الادبية ضمن جنس واحد ، و مزجت مزجا بحيث يصعب تصنيفها، ففي هذه النصوص نجد المزج واضحا بين اساليب الرسائل و الخطابة و الاحتجاج بالقران الكريم و الحديث و الاشعار و الامثال ،و اسلوب المقامات و اسلوب أدب الرحلة التي كانت توحي بمشاعر الغربة و الوحشة و اسلوب المسرحية في تعدد المشاهد و الحوار و اسلوب القصة في السرد ، الا انه يمكننا ان نصنف هذه النصوص شكليا الى اربعة اصناف هي كما يأتي :

1- علي بن عبدالله الوهراني مفسّر نحوي، لغوي شاعر من أهل وهران المعروف بخطيب داريا؛ رحل إلى المشرق وسكن مدينة دمشق، وولى الخطابة بجامع داريا (من قرى دمشق بالغوطة).سمع منه أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي(555-648هـ) وخرّج عنه في " معجمه" قطعة من شعره؛ توفي سنة 615 خمس عشرة وستمائة.من مصنفاته: تفسير القرآن. شرح جمل الكبيرة للزجاجي في النحو ، شرح المعلقات السبع وإعرابها ، هو مخطوط في برلين ، انظر معجم اعلام الجزائرلعادل نويهض ص 349 .

2- ينظرمنامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، مقدمة التحقيق لابراهيم شعلان و محمد نغش .

3- صلاح الدين المنجد ، الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق،المرجع السابق ص 10 .

1-/ المقامـــات :

رصيد الوهراني في المقامات اربعة، الاولى مقامته **البغدادية** في بغداد،والثانية مقامته الصقلية في صقلية والثالثة في شمس الخلافة اما الرابعة فمقامته المسجدية على لسان مساجد دمشق، فأما مقامته **البغدادية** فقد تاثرفيها باسلوب بديع الزمان الهمذاني(ت 398 هـ/ 1007 م) ومن خلالها سرد بعض المسائل السياسية المتعلقة بمجال الحُكم والحُكّام، كتحدثه عن سيرة عبد المؤمن بن علي وآل أيوب .1

أما مقامته الثانية المسماة **شمس الخلافة**، فقد اسند روايتها لعيسى بن حماد الصقلي و تدخل ضمن إطار النقد الاجتماعي، إذ أزاح الستاربها عن ظاهرة الإخلال بالقيم الدينية والاجتماعية القويمة، والمتمثلة في ادّعاء الكثير من الناس التفقّه في الدين من غير عِلم، وقد جعل الوهراني من شمس الخلافة رمزا حيا لهذا النوع من الناس . 2

بينما حاول في مقامته الثالثة والمسماة " **المقامة الصقلية** " مدح بعض الرجال في أحد المجالس 3 ، اما مقامته الرابعة الذي اسميناها **المسجدية** فقد كتبها باسلوب رمزي ايحائي على لسان جامع بني امية الكبير في دمشق، الذي لجأت اليه مساجد دمشق وما حولها، ومشاهد ومدافن الأنبياء والمرسلين،كأمير لها للشكوى من اوضاعها المتردية و هجرة الناس منها . 4

ويأتي الوهراني في هذه المقامات ناهجا لمنهج مقامات الهمذاني والحريري **(ت 516 هـ 1122 /م)** وان كان الوهراني من عصر الحريري فقد جعل بديع الزمان الهمذاني كلمة **(مقامة)** احالة الى جنس ادبي له خصائصه الفنية، يتوخى عبره الكاتب الافصاح عن افكاره الادبية والتعبير عن تأملات وانفعالات وجدانية ومهارات لغوية مع صورعن الاحتيال ومراسم الكدية، بعبارات منسقة ومقاطع موزونة، ذات ملامح بديعية، وسمات زخرفية، وهي في الواقع صدى لاذواق اهل ذلك العصر 5

لقد جمع الوهراني بين المقامة كفن خاصة وضوابطه وبين ادب الرسالة والمنامات فشق طريقه بوضوح بعيدا عن التعقيدات التي سار عليها مبدعو فن المقامات حتى عهد السيوطي **(ت 911 هـ/ 1505 م)**، كانت لغة المقامة لديه (تنهض على العمل بالالفاظ اساسا وعلى الغرابة المعتمدة في انتقاء المفردة المستعملة في السرد وعلى معمارية اسلوبية شديدة

1- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 01 و كذلك ص 10 .
2- المصدر نفسه، ص.97
3- لمصدر نفسه، ص 219.
4- المصدر نفسه، ص 61 .
5- عباس مصطفى الصالحي ،فن المقامة بين الاصالة العربية و التطور القصصي ، دائرة الشؤون الثقافية و النشر بغداد، ط1984 ، ص12.

التنميق، عالية الاناقة بديعة النسج الى حد يمكن معه تشبيهها بالاصباغ التي يصطنعها الرسام في انجاز لوحة من لوحاته .

فجمالية الاسلوب وايقاعه هما احدى اهم خصائص هذا الجنس الادبي العربـــي [1] والاسلوب الذي استخدمه الوهراني في مقاماته مختلف تماما عن اسلوب المقامات السابقة له، على الرغم من اعتماده بعض الاحيان على اهمية دور الراوي مباشرة وغير مباشرة والذي يبدو لديه شخصية خيالية رمز بها الوهراني الى نفسه ايضا،يدل هذا على ان الوهراني كان راوية مقاماته، فهو رجل اسفار وترحال ينتقل بين بغداد وصقلية ويتصل باعيان الناس وافراد الرجال وساداتهم ومن هؤلاء ابطاله الذين يدخل معهم في حوار يتكور فيه ويتجمع من أثره مجلس المقامة .

اما البطل عند الوهراني فقد تغير ففي المقامة الأولى فهو الشيخ ابو المعالي وفي الثاني فكان الشيخ ابو الخرا وهي كنية محرفة او لعلها جاءت للسخرية او وضعت للتشهير،اما في المقامة الثالثة فهو أبو الوليد القرطبي سلطان الكلام . [2]

بينما في المقامة المسجدية اسند البطولة إلى جامع **((جلق))** وهو جامع بني أمية الكبير في دمشق،و ان استخدام الراوي في السرد القصصي يسمح للاحداث والحوار ان تتشكل بشكل درامي مباشر من خلال قدرته على التكلم مباشرة باسمها ضمن اطار تاريخي واضح مشفوع باطار مكاني يقوم على اسلوب الرحلة والانتقال في كل مقامة من مكان الى اخر . [3]

-2/ المنامـــات :

يمكننا ان نعرف المنام الأدبي على انه استرجاع لقصة تخيلية جرت أحداثها في عالم النوم و اللاوعي تتضمن رحلة إلى العالم الآخر الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال و المعقول باللامعقول و المباح بالمحظور.
و منامات الوهراني و ان ذكرت بصيغة الجمع الا اننا نجد منها فقط نصا واحدا عرف بالمنام الكبير في كتاب المنامات الذي حققه الاستاذان ابراهيم شعلان و محمد نغش ، حيث ان باقي المنامات نجدها موزعة بشكل جزئي في بعض رسائل الوهراني لانها تحتوي على احداث تخيلها ، مثل رسالته الى الامير **نجم الدين بن مصال،** و رسالته الى **مجد الدين بن عبدالمطلب وزير تقي الدين** ، و في هذه المنامات ينتقل الوهراني بخياله إلى العالم الأخروي تارة وعالم الجن والشياطين تارة أخرى، ويسعى إلى لقاء صلاح الدين الأيوبي في الدنيا

1- عبد الملك مرتاض ،مقامات السيوطي، اتحاد الكتاب العرب دمشق،ط 1996 ، ص13 .
2- عبد الامير مهدي الطائي المقامات اصالة وفناً و تراثاً ، مرجع سابق ، ص88.
3- ينظر شلوميت رومين كنعان ، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة ، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1995، ص58.

نفسها لأنه كان حيّا يومئذ، و لا يستبعد ان تكون له منامات اخرى الا انها للاسف ضائعة و مفقودة .

و أبرز هذه المنامات وأطولها "المنام الكبير" 1 ، ويبلغ حجم المنام الكبير اربعا و اربعين صفحة من الكتاب المجموع ، و هو منثور في أغلبه، تتخلله أبيات شعرية من نظم الوهراني حينا ولغيره أحيانا أخرى، و لقد جمع الوهراني في هذا المنام ألوانا من الأدب والمزاح، إفتتحه بديباجة رسالة من قبيل الرسائل السلطانية المبالغة في التكلف و التودد ، تضمنت في بدايتها أبيات من الشعر وصف فيه فرحة الخادم بإستقبال رسالة شيخه الحافظ العليمي ، و الخادم هنا هو الوهراني نفسه و الذي قام نتيجة ما قرأه في رسالة شيخه من حقد و تعب إلى النوم و القيام برحلة غيبية سردها علينا بطريقة استرجع فيه ، جميع الأحداث التي وقعت له مع شيخه فتخيل أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت، ومناديا ينادي: هلموا إلى العرض الأكبر، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر، فوجد بها كثيرين ممن عرفه وعاصره من العلماء والفقهاء والشعراء والوزراء والمتصوفين وغيرهم، تحاور مع بعضهم، ووصف أحوال آخرين،، فسخر منهم جميعا وذكر ما حوسبوا عليه .

و قد عرفت بداية المنامات الادبية مع ورود الأحلام و الرؤى عند العرب منذ القدم و حديث القرآن الكريم عنها في أكثر من موضع و بروزها في قصص ألف ليلة و ليلة الخيالية التي عكست بحق قيمة إهتمام الأدب الشعبي بالأحلام و الرؤى .

ثم ولدت مع رائد المنامات العربية الأول **أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(223-321 هـ / 838 م- 933 م)** 2 الذي كتب أول منامة أدبية تجاوز بها المنامات الوعظية للحافظ **ابن أبي الدنيا البغدادي (208- 281هـ)** 3 و استمر بعده تناول المنامات و الأحلام في كتب الأدب العربي و غيرها، فكان كتاب التوهم و رسالة البعث و النشور **للحارث المحاسبي الصوفي الزاهد (ت243هـ)** في طليعتها 4 ، لتأتي بعده **رسالة الغفران لأبي**

1- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله المرجع السابق، من ص 17 الى ص 60 .

2- **ابن دريد** (223 - 321 ه = 838 - 933 م) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي، من أزد عمان من قحطان،: من أئمة اللغة والادب.كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب (المقصورة الدريدية- ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما، وعاد إلى البصرة.ثم رحل إلى نواحي فارس، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس، ومدحهم بقصيدته)المقصورة) ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا، فأقام إلى أن توفي ، انظر معجم الاعلام للزكلي الناشر: دار العلم للملايين ط 15سنة 2002 م جزء6 ص 80 .

3- **ابن أبي الدُّنيا** (208 - 281هـ، 823 - 894م) عبد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان بن قيس، الأموي، أبو بكر بن أبي الدنيا، البغدادي. الحافظ، المحدث، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، كان مؤدب أولاد الخلفاء. وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس، إن شاء أضحك جليسه، وإن شاء أبكاه. وثقه أبو حاتم وغيره. صنّف الكثير حتى بلغت مصنفاته 164 مصنفاً منها: العظمة؛ الصمت؛ اليقين؛ ذم الدنيا؛ الشكر؛ الفرج بعد الشدة وغيرها. مولده ووفاته ببغداد انظر الموسوعة العربية العالمية . http://www.mawsoah.net .

4- **الحارث المحاسبي** (000 - 243 هـ = 000 - 857 م)، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه (آداب النفوس - خ) صغير، و (شرح المعرفة - خ) تصوف، و (المسائل في أعمال القلوب والجوارح - ط) رسالة، و (المسائل في الزهد وغيره - خ) رسالة و (البعث والنشور - خ) رسالة، و (مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه - خ) و (الرعاية لحقوق الله عزوجل - ط) و (الخلوة والتنقل في العبادة - ط) و (معاتبة النفس - خ) في الأزهرية، و (كتاب التوهم - ط) و (رسالة المسترشدين - ط) انظر معجم الاعلام للزركلي جزء 02 ص 153 .

العلاء المعري(363 هـ - 449 هـ / 973 -1057م) التي تقدم على أنها رؤيا ترحالية في الفردوس و الجحيم تتابع فيها المشاهد و الأشخاص في سرد حلمي مجسد ، و كتب الأديب **ابن شهيد الأندلسي (382هـ - 426 هـ)** رؤيا مشابهة في كتابه **"رسالة التوابع و الزوابع "** اقتاده فيها جني من بني عبقر إسمه زهير بن نمير إلى لقاء من أحب من نوابغ شعراء العرب السابقين عهده .

و لعل المنامات التي أبدعها الأديب الجزائري الأصل **"ركن الدين الوهراني"** و تأثر فيها بمن سبقه من كتاب المقامة و المنامة من الأثار الأدبية الفريدة و الطريفة التي لم ينتبه لها الدارسون و لم يعطوها قيمتها الموضوعية و الفنية مقارنة بما سبقها من منامات فلقد تفرد فيها الوهراني بأسلوبه الخاص من حيث البناء و السرد و معالجة الموضوعات و اتخذها قناعا لنقد الأوضاع الاجتماعية و السياسية و الفكرية في عصره بأسلوب تهكمي ساخر يعتمد على الحوار و المشاهد و اللوحات و اللقطات المتتالية التي تتضمن أحداثا تجري في فضاء عجائبي غرائبي، يتلاشى فيه الزمن و تتشظى فيه الصور .

-3/ الرســـائل :

أخرج الوهراني نماذج كثيرة ومتنوعة من الرسائل ذات الموضوعات المختلفة ، و قد غلبت في عدد نصوصها على الاجناس الادبية الاخرى التي كتب فيها .

و تأتي الرسائل **الاخوانية** و الرسائل ذات الطابع السياسي و الفقهي على رأس اكثر رسائل الوهراني و مكاتباته و ردوده، معبرة في ذلك عن مشاعره ،متميزة بالصنعة اللفظية حينا و بالنثر المرسل حينا آخر، فائضة بالابداع و البلاغي الادبي واسلوب الفكاهة و السخرية السوداء .

و عن هذه الرسائل الاخوانية الكثيرة الورود عن الوهراني يقول عنها احمد احمد بدوي:

((ان الرسائل الاخوانية شعر غنائي منثور، يجد فيها كاتبها متنفسا حرا عن عواطفه،لا يقيده فيها وزن و لا قافية، و هي اقرب فنون النثر الى الشعر،و هي تعبير عن عاطفة شخصية)) [1]

و بهذا فهو يشبهها بالشعر من حيث هي تعبير عن مشاعر المرسل،و من حيث احتفائها بالصنعة اللفظية يقول محمد يونس عبدالعال [2] :

1- احمد احمد بدوي ، اسس النقد الادبي عند العرب، مكتبة نهضة مصرالقاهرة، ط2 سنة 1964، ص580-581 .
2- المرجع نفسه ، ص 162 .

((...و هذا النوع هو الاقرب الى الادب و ايحاءاته اللفظية و الاسلوبية ، و موصوعاته: الشكر و التشوق و العتاب و التهنئة و الشكوى و المدح (....) و يمكن ان يلحق به الرسائل الوعظية و الرسائل الدينية الجدلية..)) و يجعل الدكتور عبدالعزيز عتيق الرسائل الاخوانية من اوسع الرسائل اغراضا و اكثرها ابداعا يقول في ذلك:**((...كما يعتبر هذا النوع من الرسائل ميدانا فسيحا للابداع يتبارى فيه الكتاب و الأدباءو يتيحون لأقلامهم و قرائحهم ان تنطلق لى سجيتها و أن يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة و أساليب قوية موشاة ...))** 1

و قد كانت رسائل الوهرانية الاخوانية و السياسية تأتي في صيغة الابتداء او تكون بمثابة الجواب و الرد عن رسائل اخرى و قد وجهها الوهراني لمختلف الامراء والقُضاة وأولي الأمر آنذاك، والأدباء والشعراء، صورفيها الكثير من التهكم بأشخاصهم و من امثلة ذلك رسالتين له للسلطان صلاح الدين الايوبي .

كما اشتملت بعض رسائله البديعة على ملح شتى و خيال خصب ساخر و طرائف مختلفة، ظهرت فيها موهبة الوهراني في انشاء الرموز و الايحاءات الساخرة من شخصيات عصره فقد أنطق فيها حتى الجمادات والحيوانات ،حيث كتب الوهراني على **لسان بغلته** إلى الأمير عز الدين موسك بما تخبر البغلة فيها الأمير بحالها، بعدما أشرفت على الهلاك، لما تقاسيه وتعانيه عند مالكها من مواصلة الصيام، وقلّة الشعير والقضيم رغم ما يملكه سيّدها من مال كثير.

حيث يقول فيها :**" المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين، حسام أمير المؤمنين، نجاه الله من حر السعير، وعظم بذكره قوافل العير،ورزقه من القرط والتبن والشعير، ما وسق مائة ألف بعير، واستجاب فيه صالح أدعية الجم الغفير، من الخيل والبغال والحمير وتنهى إليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام، وسوء القيام، والتعب بالليل والدواب نيام."** 2

كما أنطق الوهراني ايضا **المئذنة** ، فكتب على لسانها خُطبة على لسان قاضي القضاة، يطلب فيها من السامعين شكر الله تعالى على تشريف دولة أئمتهم من بني العباس **بالقاضي" أبو القاسم عبد الله بن درباس"**، ووصفه بأفضل الشيم . 3

وللوهراني رسالة في **الطير**، ذكر فيها محاسن كل ذي جناح وفضله على الإنسان والطبيعة 4 ، و له ايضا رسالة طريفة على **لسان كلب** قال فيها شامتا بالدنيا وأهلها في لوحة عبثية

1- عبدالعزيز عتيق،الادب العربي في الاندلس،دار النهضة المصرية،بيروت لبنان د ت ،ص 454 .
2- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 90 .
3- المصدر نفسه ص 95 .
4- المصدر نفسه ص 234 .

ساخرة : **((... كتب كلب إلى كلب :أما بعد ياأخي ـ أدام الله حراستك ـ فإن بني آدم قد تسافلوا إلى حد ما عليه من مزيد، حتى بقيت أنا وأنت بالإضافة إليهم كمعن بن زائدة وطلحة الطلحات . فارتع في المجازر، ونم في المزابل، وارفع ساقك، وبُل على من لقيت منهم والسلام.....)).** 1

-4/ الشعـــــر:

لم يكن الوهراني ناثرا فحسب و انما كان شاعرا ايضا ، الا انه كان مقلا في شعره الذي كان في اغلبه منظوم و مصنوع على شكل ابيات و مقاطع ساخرة مبثوثة ضمن مقامته و رسائله بما يخدم الغاية و الموضوع ، عارض في اكثرها الشعر العربي القديم و ضمن منه و اقتبس الكثير الى جانب اقتباسه من الحكم و الامثال و القران الكريم .

و قد كان في شعره مقلدا و محاكيا للشعر العباسي، الا اننا نلمس فيه التنويع من البحور والاوزان و القوافي و الشكل و البناء .

و من شعره قصيدته الساخرة في هجاء ابن ظفير، الذي كنى به عن صاحبه الاثير بن بنان رئيس ديوان النظرفي الديار المصرية الذي نصب عليه و اكله في عمله و ماله، ذكرها في رسالته الى الاميرنجم الدين بن مصال ،و قال في مطلعهـــا 2:

جزاك الله يا بن ظفير عني و اطعمك الهريسة بالقرون
قعدت على المطارف والحشايا فلا غث تركت ولا سمين
وأسكنك القصور من الخزامى وألبسك الثياب من البخاتى
وجئت الى بالأسمار تسعى فلا ذهبا تركت ولا قماشا
نصبت علي يا خواف بظـــرا بصحن حلاوة من سم موت

و أغرب من ذلك قصيدته الطريفة التي جعلها على شكل حوار في رسالته الى صديقه **مجد الدين بن عبد المطلب** وزير تقي الدين و هو بالفيوم بمصر يقول فيها : **((...فقلت له: انا أسيرك افعل ماتريد ، فقال: أجِزْ وأوجز ثم قال: لمن الديار بساحة الفيـوم ؟**
فقلت: ضحك الصدى فيها لنوح البـوم .
قال : وتبدلت من بعد غيد كالمـها
فقلت: ولائد كاللؤلؤ المنظـــوم

1- منامات الوهراني مصدر سابق ص 208-209 .
2- المصدر نفسه ص 78-79 .

فقال: وبسيد من آل شاذي أروع.
فقلت: مثل الحسام الصلوم المثلـــوم .....)) 1

ومن شعره البديع قصيدته النونية التي عارض بها نونية الشاعر الاموي جرير، و هجى فيها **القاضي ابن أبي الحكيم** لما تاب من المعاشرة على القضاء فاضحا نصبه و احتياله على العامة بسخرية شديدة ، يقول في مطلعها :

سقاه غيث من الوسمى هتانـا ربـعا خـلعت عذارى فيـه ألوانا
مدارس درست آى العلوم بهـا فأصبحت لخـيول اللـهـو ميدانـا
لابن الحكيم أطال الله مدتـــه مغنـى رحيـب عن الحانات أغنانا
مثوى المغاني ومأوى كل زانيـة يلقـون درسـهم شدوا وألحانـا
يسلبن ذا اللب حتى لا حراك بـه وهـن اضعف خلـق الله أركانا 2

لقد اختار الوهراني لنفسه أسلوب السخرية والتهكم في الكتابة، وجمع في كتابه المحقق **"أنيس كل جليس"** الكثير من رسائله ومناماته وفصوله الهزلية،اشتهر الوهراني أكثر ما اشتهر بمناماته (**الفنتازية**) المغرقة في اللا معقول وبهذيانه وعبثه السخيف برجالات عصره في المشرق والمغرب، وخاصة من أولئك الذين تحاشوه أو أبعدوه، ولم يسلم من جرأته وسلاطة لسانه حتى كبار الحكام والوزراء منهم، ربما لأنه أخفق في الوصول إلى بلاطاتهم وأخذ صلاتهم، فصب جام غضبه عليهم وعلى أعوانهم وعلى الحياة إلتي ألجأته إلى تجرع مرارة الإخفاق والحرمان، وقذفته إلى هامش الحياة

و لقد كتب بأسلوب نثري مرسل، حاكى فيه كتاب القرن الرابع الهجري وسجع المقامات، ونأى به عن صنعة الهمذاني والقاضي الفاضل، فجاءت كتاباته عفوية؛ تتدفق بالحيوية.

ولما كان ظريفا خفيف الروح، بارعا في الهزل والسخرية، مجيدا للتهكم والسخرية، فقد صبَّ سخريته على كبار علماء دمشق وفقهائها وأطبائها وكتابها كالتاج الكندي، والمهذب ابن النقاش، والقاضي الفاضل، والقاضي ضياء الدين الشهرزوري، والقاضي ابن أبي عصرون، وغيرهم.، و في هذا يقول الدكتور صلاح الدين المنجد: **"هو ثاني اثنين سلطهما على أهل دمشق أيام الأيوبيين، ابن عنين في "مقراض الأعراض " شعرا، وهو في "رسائله" و"منامه" نثرا".** 3

وعن قيمة و اهمية و اثر مناامات الوهراني ومقاماته ورسائله يقول **عبد العزيز الأهواني** أثناء تقديمه لهذا العمل الأدبي بعد تحقيقه : **" هذه المجموعة من النصوص تمتَاز في تَاريخ**

1- مناامات الوهراني مصدر سابق ص 154.
2- المصدر نفسه ص 215.
3- صلاح الدين المنجد ، الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق،المرجع السابق ص 9 .

النّثر الفنيّ في الأدب العَربي بميزاتٍ ترفعها إلى مقامٍ عالٍ . ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصا فيها ما في كتابات ألوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب، وتصور في دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر من عصور التحول في المجتمع العربي، وهو عصر الانتقال من الدولة الفاطمية في مصر إلى الدولة الأيوبية " . 1

ثم يضيف قائلا : **"وقد اعترف القدماء بفضل الوهراني وبراعته وخفة روحه ورشاقة أسلوبه ،وخاصة في المنام الكبير الذي أثنى عليه ابن خلكان ثناء كبير.وفي الحق أن منامات الوهراني ومقاماته وأسلوبه يضيف إلى النثر العربي ثروة ويفتح للدارسين أفاقا ويقدم للقراء مادة شيقة ممتعة لا تقل عما اشتهر من عيون النثر العربي "** . 2

و قال عنه ابن خلكان مادحا: **((عمل المنامات، والرسائل المشهورة، والمنسوبة إليه وهي كثيرة بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه، ورقة حاشيته وكمال ظرفه، ولو لم يكن فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فأنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته ،ثم أن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمانا، وتوفي في رجب، ونقلت من خط القاضي الفاضل وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني ـ رحمه الله تعالى -))** 3

و قد ترجم له الامام صلاح الدين الصفدي**(696 - 764 هـ = 1296 - 1363 م)** ترجمة وافية في كتابه الوافي بالوفيات ، جاء فيها : **"أحد ظرفاء العالم وأدبائهم، قدم من المغرب الى مصر، وهو يدّعي الإنشاء، فرأى الفاضل والعماد وتلك الحلبة، فعلم انه ليس من طبقتهم، فسلك ذاك المنهج الحلو، والأنموذج الظريف، وعمل المنام المشهور، وله ديوان ترسل"**4

وبالغ الامام الصفدي في مدح للوهراني و لمنامه حتى فَضَّله على أبي العلاء المعري قائلا: **" والمنام الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، لكنه ألطف مقصداً وأعذب عبارة "**.5

ولعلّ افضل وصف عبَّر عن جوهر منامات الوهراني مقالة وردت باسم منشآت الوهراني في مجلة "المقتبس " الدمشقية في المجلد الأول 1906 العدد الاول، من دون ذكر اسم كاتبها، واكثر الظن انه المؤرخ المعروف **محمد كرد علي** صاحب المجلة المذكورة : **"**

1- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ،تصدير التحقيق .
2- المصدر نفسه الصفحة الثانية من التصدير .
3- ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ،مرجع سابق ص 385 و386.
4- صلاح الدين الدين خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات ،تح احمد الارناؤوط و تزكي مصطفى،دار احياء التراث العربي بيروت لبنان،ط1 سنة 2000 ص 273 .
5- صلاح الدين الدين خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات مرجع سابق ص273-274 .

الكتاب جد في قالب هزل وعلم على مثال جهل وحقيقة في طرز خيال، تصفحته تصفح متفكه مستفيد فما رأيته خلواً من شاردة تنقل ونكتة تؤثر. كاتبه ركن الدين أبو عبد الله محمد الوهراني الجزائري من كتبة الرسائل والإنشاء في دمشق ومصر(....) ومصنفه أنموذج يقول بأن الرقاعة ارتقت في ذاك العصر كما ارتقت البلاغة وأن الدولة الصلاحية بما اشتهر عنها من الانطلاق وانتشار المعارف اتسع صدرها لمثل الوهراني اتساعه لأمثال البيساني للتين قوم وللجميز أقوام وكلام المؤلف على خلطه وخبطه يضحك العبوس وقلما تنقبض منه النفوس إلا لدن سماع بعض الألفاظ السخيفة التي تنبو عنها الأذواق السليمة في هذا العصر،وقد رأى القارئ أمثلة من كتابته ورقاعته في باب الصحف المنسية وهذا المؤلف أشبه بموليير ورابلي من شعراء الفرنسيين في النكات والأضاحيك ولكل أمة رجالها والناس كأسنان المشط في الاستواء".1

وقد تحدث الدكتورالجزائري عمر بن قينة في كتابه فن المقامات في الادب العربي الجزائري عن قيمة و اثر نصوص الوهراني النثرية في ادبنا الجزائري قال : **((..ان نص الوهراني من عيون النثر العربي الجزائري،بل هو اجود نص أدبيا و فكريا في النثر الجزائري فيما نعلم على أيام الكاتب، الا ما قد تكشفه الأيام و البحوث مستقبلا، ان التعامل مع البحث في تاريخ الأدب العربي الجزائري و انجازات أعلامه لم يكشف بعد عن أثر ما في فن المقامة قبل تجربة الوهراني....))** . 2

و على الجملة فالوهراني قد ترك لنا ادبا جميلا بليغا في الهزل و السخرية والفكاهـــة ، والتخيلات الطريفة جداً، و التي قلما توجد اليوم عند أشهررسامي الكاريكاتير الساخر.

و لعل افضل ما ما نذكره من هذه التخيلات الجميلة ، وصفة الوهراني العلاجية اللذيذة التي أعدها للمرضى العاشقين ، و قد وردت تحت عنوان **"صفة شربة لأهل الهوى"**.

قال فيها الوهراني : **".... يؤخذ على بركة الله وعون الله أوقيتان من صافي وصال الحليب منتقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب، وثلاثة مثاقيل من نور الاجتماع، مستقاة من غلث الهجر والبعد والانقطاع، وأوقيتان من خالص الوداد والكتمان، منزوعة من نوى الصدود والهجران، وعناق النحور وضم الصدور، ولثم الثغور ولزم الخصور من كل واحد مثقالين شهيق حلبي، وغنج عراقي، وظرف قاهري(....) ويضاف إليها قلب لوز العناق، وماء ليمون الأنفاق، ويتناول بعد ذلك أرطال من المدام، ويتبعه برطل شيل الرجلين ودخول الحمام نافع إن شاء الله تعالى."**. 3

1- مجلة المقتبس ، اصدرها محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي، العدد1،المجلد 1، تاريخ 1906/02/24 دمشق سوريا ص36
2- عمر بن قينة،فن المقامات في الادب العربي الجزائري ، دار المعرفة، الجزائر، ط سنة 2007 ، ص 22 .
3- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ص150-151 .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المبحث الثاني : بيئة الوهراني و أوضاع عصره

مما لا شك فيه أن للبيئة دور مهم في تشكيل شخصية الإنسان وسلوكه وتعامله مع باقي المخلوقات المحيطة به ، فكل إنسان يؤثر ويتأثر في محيط بيئته على حسب ما تحتويه هذه البيئة من عناصر و أدوات .
يقولون : الأديب ابن بيئته ، فأدبه نسخة من محيطه الذي يتنفس هواءه، ويطأ ثراه ويجوب دروبه ، و لهذا فهي على أنواع عديدة ، فهناك البيئة الطبيعية و البيئة الاجتماعية والسياسية و العلمية والصناعية التي من صنع الإنسان .
كان الوهراني اذا ابن بيئته ، فلقدعاش خلال القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي في بيئات عديدة مختلفة ابتدأها بموطن ميلاده **وهران** الذي عاصر فيه عهدي السلطة المرابطية و الموحدية ، و شهد فيها تقلب الاوضاع السياسية بالمغرب بسقوط دولة المرابطين بمدينته وهران سنة **(539 هـ/ 1145م)** واستيلاء الموحدين على عرشها ، و في هذا الظرف السياسي المتقلب ببلاد المغرب أخذ الوهراني في هذه البيئة مبادئ العلوم الإسلامية واللّغوية الاولية، ويبدو أنه كان كان كارها لحكم الموحدين المتعصب، و متساميا إلى المعالي لقدرته على الإنشاء والكتابة الديوانية فآثر الهجرة الى أرض دمشق و القاهرة في المشرق التي كانت قبلة المتعلمين والادباء، في ذلك العهد و مستهوى ألباب المغاربة و الاندلسيين .

و لعل هجرة الوهراني من وهران و استقراره بالشام في قرية داريا بريف دمشق ، كانت تقريبا منذ تاريخ استيلاء الموحدين على عرش الدولة المرابطية سنة **(539 هـ/ 1145م)** .
لقد عاش الوهراني في الشام أكثر سنين حياته الحافلة التي تفتقت فيها موهبته و ابداعاته الادبية ، معاصرا لحكم اشهر السلاطين المسلمين ممثلين في السلطان العادل نورالدين محمود زنكي و السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي بين سنتي **(1146/541 م - 589 / 1193 م)** .

حيث عرف هذا العهد انتعاش الحركة العلمية و الادبية مسايرا لحركة اشتداد الحروب و التحرشات الصليبية و بروزالانتصارات الاسلامية خلال عهد الدولة الزنكية في دمشق وحلب ، و الدولة الايوبية في القاهرة التي ولدت على انقاض الدولة الفاطمية .

و قد تأثر الاديب الجزائري ابن محرز الوهراني بهذه البيئات والموجات السياسية و الفكرية و الادبية التي صاحبها في مسيرته الابداعية خلال العهد الايوبي، و لا ادل على ذلك من ادبه الذي يقرأه الواحد منا فيجده مرآة عاكسة لواقع عصره السياسي و الفكري و قاموسا جغرافيا و اجتماعيا مليئا بمسميات المناطق الجغرافية و الأطعمة و الألبسة و الصنائع ، بل و حتى قاموسا للهجات العامية الشائعة في ذلك العهد، و سنصف في هذا المبحث ابرز

خصائص بيئات العصر الايوبي السياسية و الادبية المؤثرة التي قضى فيها الوهراني معظم سنوات حياته و ابدع معها مقاماته و رسائله الساخرة .

المطلب الأول : البـيئـــة السيـــاسيـــة

إن الناظر في تاريخ الدولة الإسلامية ، و خاصة في تاريخ العهد الفاطمي والزنكـــي و الايوبي الذي عاش فيه اديبنا ابن محرز الوهراني يلمح بجلاء ذلك الصراع المؤلم الذي كان ينخر جسدها و يزيد تفككها و ضعفها، فضلا عما كان يجري فيها من فتن داخلية في دولتي العباسيين و الفاطميين .

و من المهم أن نذكر هنا أن هذا التمزق الذي تزامن مع إعداد أوروبا العدة للقيام بحملتها الصليبية الأولى على ديار الإسلام، و زاد الصراع حدة في سعي الفاطميين إلى ضم الشام لأهميتها السياسية و الدينية، فالعباسيون يريدون الحفاظ عليها، و الفاطميون يرونها منطلقا لدعوتهم الشيعية و ذرعا لدولتهم، ولذلك لم يتورعوا عن التعاون مع الصليبيين إبّان حصارهم أنطاكية، وتحالفوا معهم ضد منافسيهم من السلاجقة .

و قد مضى زمن طويل قبل أن توجد قيادة قديرة صالحة للمسلمين في بلاد الشام ممثلة **بعماد الدين زنكي** ، و ابنه **نور الدين محمود زنكي** ، ثم في **صلاح الدين الأيوبي**، حيث استعاد عماد الدين بعض المدن في سنة تسع و عشرين و خمسمئة، انتهت بمدينة الرهّا أول إمارة للصليبيين سنة تسع و ثلاثين و خمسمئة، و استعاد ولده من بعده الحصون الصليبية التابعة لأنطاكية بعد هزيمتهم في معركة **إنب** سنة أربع و أربعين و خمسمئة، و غيرها من المدن.

و كانت الدولة الفاطمية في هذه الآونة تعاني فسادا و ضعفا شديدين، و ذلك لما كان يحاك فيها من دسائس و مؤامرات على مناصب الوزارة و الحكم، فقد كان الخلفاء فيها يتولون الحكم و هم صغارا و يستبد بتدبير أمورهم الوزراء .

و كان خلفاء الفاطميين غير قادرين على حماية أنفسهم حتى من دسائس وزرائهم، فقد تقلب على حكم مصر أربعة خلفاء[1] ، و سبعة وزراء كلهم ماتوا قتلا .[2]

و قد صور الوهراني بدقة و بلاغة في مقامته البغدادية هذا الواقع الضعيف للدولة الفاطمية تصويرا صادقا فقال عنها : **((... قال: كيف أخذت من أربابها، واستنزفت من أصحابها؟ فقلت له: اعلم انه لما أحان الله حينهم ، اظهر شينهم، وألقى بأسهم بينهم، فضرب زيد عمرو، وقتل خالد بكرا، وكسر قراب السيف،واعمد في الشتاء والصيف.فما ان قشع فسادهم ،حتى فنيت آسادهم ،ولا برح عنادهم،حتى تفرقت اجنادهم،فقصرت حبال الدولة عن ربطها،وضعفت رجالها عن ضبطها، فبقيت كالجارية الحسناء التي أبرزها الحجال، وأسلمتها الرجال، لا تمتنع عن عانس ولا ترديدا من لامس فتغاير عليها الجيران، وسبق إليها رجال الفرنج فصيروها كرقعة الشطرنج يجوسون خلالها ويتفيئون ظلالها، ويأكلون حرامها وحلالها، فانف من ذلك ذوو الأحلام، وغضب لها ملوك الإسلام ..))** [3]

1-وهم حافظ ، عبد المجيد أبو الميمون (524-544) ، و الظافر ، إسماعيل أبو المنصور (544-549) ، و الفائز ، عيسى أبو القاسم ، (549-555) ، و العاضد ، عبد الله أبو محمد ، آخر خلفائهم في مصر (555-567).

2-وهم : ابن المصال ، و ابن السلار ، و عباس ، ورزيك ، و طلائع بن رزيك و ضرغام ، ثم شاور السعدي

3- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله المرجع السابق، ص 4 .

أخذ السلطان العادل نور الدين محمود زنكي يتطلع إلى مصر التي تعاني الفوضى و التمزق ، و سعى إلى توحيدها مع شقيقتها الشام ، و ذلك للوقوف في وجه الغزو الصليبي .
و قد ذكر الوهراني هذا السلطان التقي الزاهد في مقامته البغدادية و مدح جهاده للغزو الصليبي : **((... قال: فما تقول في الملك العادل نور الدين؟ فقلت: سهم للدولة سديد، وركن للخلافة شديد، وأمير زاهد وملك مجاهد، تساعده الأفلاك وتخدمه الجيوش والأملاك ..**

فلو رام ارض الصين لباه ملكه كما دانت الأملاك لاسكندر...)) 1

أرسل نور الدين قائد جنده **أسد الدين شركوه** إلى بغداد ليستأذن الخليفة بذلك، فأقره الخليفة، و جعل له إمرة مصر إذا فتحها، فوجّه إليها ثلاث حملات بقيادة **أسد الدين شركوه** و ابن أخيه **صلاح الدين** وضعت الثلاثة الحد للتدخل الصليبي فيها و قضت على تنازع الوزراء و تنافسهم على السلطة ، و قد تحقق بقتل شاور ثم بوزراء شركوه .
و بعد وفاة شركوه إختار العاضد صلاح الدين وزيرا له، الذي تغلب على الأمر كله، و أدرك ما ينتظره من مهام ضخمة في استرداد ساحل الشام من الصليبيين، و في إزالة الدولة الفاطمية و الدعوة الإسماعيلية من مصر، و هو لا يزال وزيرا للفاطميين ، فقام بتقوية مذهب السنة، و غرس في أهل البلاد العلم و الفقه و التصوف و الدين، و الناس يهرعون إليه من كل صوب و يفدون عليه من كل جانب، و هو لا يخيب قاصدا، و لا يعدم رافدا إلى سنة خمس و ستين و خمسمئة"2، و كان صلاح الدين إبّان وزارته للفاطميين يستميل المصريين إليه بما قام به من إصلاحات داخلية .
و قد عاصر الوهراني هذه الاحداث الذي جرت في دولة مصر بتقليد وزارتها الى اسد الدين شيركوه بن شاذي و من بعدها لابن اخيه، السلطان الناصر صلاح الدين بن نجم الدين بن شاذي ثم سقوط الدولة الفاطمية فذكركل هذا ضمن مقامته البغدادية قائلا: ((...**فانتدب لها من بني شاذي الأسد الهصور والملك المنصور، فرماها بهمته وقصدها برمته، فاستعانوا عليه بالأسد والأحمر والملوك من بني الأصفر، فهتك حجالهم وقتل رجالهم، ورحل عن بلادهم وقد قدح الرعب في أكبادهم (....) فلما انتهى إلى كماله، وبلغ النهاية من آمله، انتقل إلى ربه، وفاز بالرضوان من قربه ،واجمع الناس بعد موته، على تخليدها في أهل بيته ،لما يعلمون من رياستهم وحسن سياستهم، وما يجدون من سماحهم وطول رماحهم. فاتفق عظماء المحل، وأرباب العقد والحل ، بعد النظر في الأواصر والاختبار في العناصر، على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر، لما اجتمع فيه من أخلاق الملوك وتواضع الصعلوك، وما خص به من شهامة الجنان وسماحة البنان(....) فقبض على الدولة بيمينه وقابلهم باليسار في عرينه ،حتى أبادهم وقطع أكبادهم ، وتفاقم بعد ذلك أمرهم ،حتى التهب في الناس جمرهم ، فوثب عليهم وثبة الليث الكاسر ،وسطا بهم سطوة البطل**

1- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق، ص 14.
2- بهاء الدين يوسف ابن شداد ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين، تحق جمال الدين الشيال،مؤسسة الخانجي القاهرة ط 1962 ص 40-41 ،

الباسل ،حتى اخرج المفسد والمحارب، وقتل الأفاعي والعقارب ،فمهدت له شعابها، وزلت لسيفه صعابها ، فصارت القاهرة كجنة النعيم (....) و رد الناس إلى الأوطان، ففتح أبواب الجنة، ورفع بركته منار السنة ،فاحدث المدارس والمجالس، وشيد المساجد والمشاهد، وتفجرت يمينه بالنفقات حتى عم أهل الأرض بالصدقات ، وجعل قبر الأمام محمد بن إدريس، زاوية للفقيه والتدريس (....) فقويت به عرى الإسلام، واشتد به دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ثم التفت الملك الناصر بعد دللك إلى الذين فكمله، و إلى الإسلام فجمله، واتى البيت من بابه ، ورد الأمر إلى أربابه، وأمر بذكر العشرة الكرام البررة، وصرح بأسمائهم على المنابر، وأرغم بهم أنف الحسود المكابر.ثم خرج من الشك والالتباس ، ودعي لأئمة من بني العباس...)) . 1

و في سنة تسع و ستين و خمسمئة توفي سلطان الشام نور الدين زنكي، و خلف مملكة مترامية الأطراف، وخلفه في الحكم طفل صغير لم يبلغ سن الحلم، قال أبو الفداء :
"...فلما مات نور الدين، بويع من بعده بالملك لولده الصالح إسماعيل، و كان صغيرا، و جعل أتابكه الأمير ابن مقدم، فاختلفت الأمراء، و حادت الآراء و ظهرت الشرور(...) و طمعت الأعداء من كل جانب في المسلمين، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين " 2
و بعد أن ثبت صلاح الدين الأمور في مصر، اتجه إلى الشام لتوحيد القوى الإسلامية فيها و كان لا بد من دخول دمشق، و هذا ما حصل في سنة خمسمئة و سبعين، فاستقبلته طائعة3، و التفّ أهلها حوله، و اعلن صلاح الدين نفسه ملكًا على البلاد التي افتتحها بعد انتصاره على الزنكيين، وخطب له أئمة المساجد يوم الجمعة باسم "الملك الناصر"، وضُربت الدنانير الذهبية في القاهرة باسمه، وعضّد مُلكه بالزواج من أرملة نور الدين زنكي المدعوة **عصمة الدين خاتون .**
وسرعان ما أصبحت سيادة صلاح الدين على البلاد سيادة مشروعة عندما أسند الخليفة العباسي في بغداد إليه السلطة على مصر والمغرب الأدنى والنوبة والحجاز و تهامة وفلسطين وسوريا الوسطى، وخلع عليه لقب "سلطان مصر والشام" . 4
بعد أن تمّ النصر وافتتح حصن أعزاز في ذي الحجة من سنة 571هـ، حوّل صلاح الدين أنظاره ناحية حلب ، وضرب الحصار عليها كي يقتصّ من **الأميرسعد الدولة كمشتكين،** أمير المدينة وكبير قدامى الجنود الزنكيين، الذي عين وصيًا على ابن نور الدين زنكي الملك الصالح إسماعيل حتى يبلغ أشدّه، فقاومته الحامية مقاومة شديدة مرة أخرى، ففشل في اقتحام المدينة، غير أنه تمكن من فرض هدنة على سعد الدولة كمشتكين وأبرم حلفًا معهما، وسرعان ما اعترف بعد ذلك بسيادة صلاح الدين وبملكه على الشام . 5

1- منامات الوهراني و مقاماته و رسائله مصدر سابق ، ص 4 و 5 و 6 .
2- اسماعيل بن كثير ، البداية و النهاية ، مراجعة مجموعة من المؤلفين ، دار البيان العربي القاهرة ، ط 2006 جزء6 ص 666.
3- بهاء الدين يوسف ابن شداد ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين مرجع سابق ص 50
4- شفيق جحا و منير البعلبكي بهيج عثمان،المصور في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء السادس ص 92-94
5- ينظر ابن الأثير أبو الحسن علي الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبدالسلام تمدري ،ط 1 سنة 1997 ،دار الكتاب العربي، بيروت لبنان جزء 9 ص 417-418 .

و في سنة ثلاث و ثمانين و خمسمئة توجه صلاح الدين إلى الكرك و الشوبك، لأن صاحبهما نقض الهدنة باعتدائه على قافلة تجارية .
و في السنة نفسها كانت معركة حطين الخالدة التي انتصر فيها صلاح الدين على الصليبيين، فكانت هذه المعركة مفتاح الفتوح الإسلامية، و بها تيسّر فتح بيت المقدس، و بعدها توالت الفتوحات، فسقطت في يده حصونهم و قلاعهم، و هي جبيل، و اللاذقية، و صهيون، و بكاس، ثم سرمينية ، و بعد أن كلل صلاح الدين في الجهاد باسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين
، و في سنة ثلاث و ثمانين و خمسمئة للهجرة أعلن الخطبة للعباسيين، و ذلك بعد إعادة الشعائر الإسلامية إلى هذه البلاد، التي كان الصليبيون قد حوّلوا مساجدها إلى كنائس .
و قد أدت انتصارات صلاح الدين المستمرة على الصليبيين إلى حملة صليبية ثالثة بقيادة **ريتشارد قلب الأسد**، و ذلك في سنة خمسة و ثمانين و خمسمئة للهجرة، حيث حاصر عكا، و خاض المسلمون معهم معارك ضارية .
و مع شدة المعارك و قسوة الحصار صمد المحاصرون زهاء سنتين إلى ضعف سور عكا، فطلبوا الأمان على أنفسهم و أموالهم، و طلبوا مغادرة المدينة **"فلما رأى المشطوب أن صلاح الدين لا يقدر على نفع، و لا يدفع عنهم ضررا، خرج إلى الفرنج و قرر معهم تسليم البلد و خروج من فيه بأموالهم و أنفسهم، و بذل عن ذلك 200 ألف دينار، و خمس مئة أسير من المعروفين، و إعادة صليب الصلبوت، و أربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب صور، فأجابوه على ذلك و حلفوا له عليه"**.1
ثم أخلف الغزاة الوعد ، فقتلوا الأسرى **"...ثم احضروا من الأسارى المسلمين من كتب الله شهادته في ذلك و كانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم في الجبال و أوثقوهم، و حملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم صبرا و طعنا وضربا بالسيف، و اليزك الإسلامي يشاهدهم و لا يعلم ماذا يصنعون لبعدهم عنهم" .** 2

و بعد سقوط **عكا** حاول الغزاة استعادة بيت المقدس، و الإغارة على المدن الإسلامية المحررة ، و السيطرة على الساحل الفلسطيني كله ظن و في طريقهم خاض المسلمون معهم معارك ضارية أخذوا من خلالها حيفا و قيسارية.
استمر الصراع بين الفريقين طويلا إلى أن اتفق الطرفان على وضع الحرب ثلاث سنوات، و ذلك في سنة ثمان و ثمانين و خمسمئة بطلب إلى الفرنج، لرغبة ملكهم بالعودة إلى بلاده، و عاد صلاح الدين إلى دمشق، و لكن القدر لم يمهله طويلا، إذ انتقل إلى جوار ربه سنة تسع و ثمانين و خمسمئة 3 ، فطويت بذلك صفحة مشرقة من تاريخ الإسلام، و قد ظهرت أصداء هذا كله في أدب العصر الأيوبي .

1- ابن الأثير أبو الحسن علي الجزري، الكامل في التاريخ، مرجع سابق جزء 10 ص96-97 .
2- بهاء الدين يوسف ابن شداد ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين ، مرجع سابق ص 174 .
3- ينظرالمرجع نفسه ص 225 و 246 .

المطلب الثاني : البيئة الفكـــرية و الأدبــية

عاش الوهراني في عصرذهبي سلمت فيه الزعامة الفكرية لمص، لما لها أثر كبير فوق الجهود الحربية في الوضع العلمي و الأدبي ازدهرت وفقه الحركة الفكرية و الثقافية، ولا سيما في العصر الزنكي والأيوبي ازدهارا كبيرا مع انشغال الدولة بالجهاد ضد الصليبيين فكان كما وصفه أحد الدارسين : **"...عصر إحياء للفكر و الثقافة الإسلامية و العربية ، كما كان عصر إحياء سياسي"**.1

عرف الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بولعه بإنشاء المدارس المنظمة، وعمارة المساجد، حتى إنه استقدم من سنجار أحد المهندسين المهرة ليبني له المدارس الفائقة في حلب وحماة وحمص وبعلبك ، و يشرف على صيانتها، كما عرف بحبه للحديث الشريف، فأنشأ له مدارس خاصة، وأوقف عليها أوقافاً كبيرة، و ولى مشيختها أكابر المحدثين في زمانه، كالحافظ أبي القاسم علي بن عساكر .

وبذّ صلاح الدين الأيوبي سلفه نور الدين في الإنفاق على التعليم وإنشاء المدارس الكثيرة في مصر والشام، وقد حملت جميعاً اسم «المدرسة الصلاحية»، واشتهر صلاح الدين بأنه أعظم مشيد لدور العلم في العالم الإسلامي بعد نظام الملك السلجوقي، وأصبحت دمشق في عهده تدعى «مدينة المدارس»، وقد وصف الرحالة ابن جبير، في رحلته، هذه المدارس، ووجدها قصوراً أنيقة، ومن أحسن مدارس الدنيا منظراً . 2

و قد أسس مدرستين كبيرتين في الفسطاط هما المدرسة الناصرية، والمدرسة الكاملية حتى يُثبّت مذهب أهل السنة في البلاد، وكانت هاتان المدرستان تُلقنا علوم الشريعة وفق المذهبين المالكي والشافعي .

و قد كان صلاح الدين الأيوبي محبا للعلم و العلماء ، مكرما له مغدقا عليهم ، فكان طبيعيا أن يظهر إثرذلك في آداب العصر و علومه، و قد أسند إلى العلماء و الأدباء مناصب رفيعة في دولته، و اتخذ من بعضهم وزراء و مستشارين من أمثلة : **القاضي الفاضل، و العماد الأصفهاني** 3 ، و **ابن شداد** . 4

قام صلاح الدين الايوبي بتشييد المدارس و المراكز العلمية ، و صارت مصر والشام في عهده موئلا للعلماء و الأدباء و الفقهاء الذين وفدوا إلى دولة صلاح الدين من المشرق و المغرب و الأندلس، لما وجدوا فيها من التقدير و التشجيع و الإكرام، و لعل أشهر الذين

1- محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ،منشأة المعارف الاسكندرية مصر، ط سنة 1990 ص 85 .

2- بكري الشيخ أمين، محمود سالم ،الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة ،مقال في الموسوعة العربية بالانترنت مجلد 01 ص625

3-محمد بن صفي الدين ، الملقب عماد الدين الكاتب الأصفهاني (597هـ) ، تفقه في المدرسة النظامية ، وكان فقيها شافعيا أتقن الخلاف و فنون الأدب ، و كان جيد النظم ، كثير القول ، له مع القاضي الفاضل ، و هو صاحب "خريدة القصر و جريدة العصر" و "الفيح القسي في الفتح القدسي" و "البرق الشامي" ، و غيرها ، أنظر وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان:5/147-153، و طبقات الشافعية –السبكي:6/178.

4-هو أبو المحاسن ، يوسف بن رافع بن تميم الأسدي (632ه) ، فقيه شافعي و مؤرخ ، ولد بالموصل ، و اتصل بصلاح الدين و ولاه قضاء العسكر ، ثم الحكم بالقدس الشريف بعد تحريره ، و بعد وفاة السلطان اتصل بابنه الظاهر صاحب حلب ، و هو من شيوخ ابن خلكان ، و له كتاب : سيرة صلاح الدين ، المعروف بالنوادر السلطانية، أنظر وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان و أنباء الزمان:7/84-180.

قدموا إلى مصر و الشام في عهده : **العماد الأصفهاني**، و **ابن شداد**، و **الهروي**1، **و موفق الدين البغدادي**.2

و قد عرف عن صلاح الدين حرصه على مجالسة العلماء، و الذهاب إليهم مع أبنائه للسماع منهم ، و كفى بمجلس السلطان عظمة بأنه ازدان **بالقاضي الفاضل** وزيرا و مديرا و مشيرا ، و العماد الأصفهاني كاتبا و شاعرا و مؤرخا و أديبا، و القاضي بهاء الدين ابن شداد كاتبا و مشيرا ، و **ابن الأثير** 3، كاتبا و ناقدا .

و كان لموقع مصر المتميز ما بين المغرب و الأندلس و بلاد الشام و الحجاز أثر بالغ الأهمية في ازدهار الحركتين الثقافية و الفكرية، فالمارون في طريق حجهم بمصر كانوا يؤثرونها في حركتها الفكرية، و يتأثرون بما فيها، لأن أغلبهم كانوا يحرصون على لقاء المشايخ فيها، و قد يعجبهم المقام في ظل صلاح الدين، فيستقرون في مصر و الشام، و قد نشأ عن ذلك حركة علمية و فكرية نشطة، و امتزاج حضاري و ثقافي بين المشرق و المغرب .

و كان من مظاهر ذلك النشاط الفكري و الأدبي ما يعقده الشعراء من مجالس أدبية ، والحديث عن المجالس الأدبية في مصر يطول، لأننا نجد في طيات كتب التاريخ و الأدب تفصيلات ما كان يجري في تلك المجالس، و لم تكن الشام ببعيدة عن هذا الأسلوب، فلم تحل الحروب الدائرة بين الغزاة الصليبيين و صلاح الدين دون إقامة المجالس الأدبية و العلمية ، و لا سيما في بيت المقدس بعد تحريره .

و مما زاد في حدة النشاط الفكري في العصر كثرة العلماء و الأدباء، ذكر منهم على سبيل المثال : القاضي الفاضل ، و العماد الأصفهاني ، و **ابن سناء الملك** 4، و ابن الأثير و ابن شداد ، و غيرهم ، و قد ذكر العماد الأصفهاني أعدادا منهم في كتابه (**خريدة القصر و جريدة العصر**) الا انه اسقط اسماء بعضهم و لا سيما فيهم الاديب الجزائري الاصل ابن محرز الوهراني و لعله فعل ذلك متعمدا لما لاقاه منه من التهكم و السخرية بشخصه و بشخصيات القاضي الفاضل و غيرهم من العلماء و القضاة و الادباء.

و من المظاهر البارزة للحركة الفكرية في ذلك العصر شيوع الرحلة في طلب العلم من المغرب و الأندلس إلى مصر و الشام للنهل من علوم علمائها .

يقول **ابن جبير** في ذلك : **"...و اتسم اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، و نصب لهم مارستانا لعلاج من**

1-علي بن أبي بكر علي الهروي (611هـ)، ولد بالموصل و طاف البلاد، و أكثر من الزيارات ، تقدم عند الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب ، أنظر: قاموس الاعلام للزركلي دارالعلم للملايين بيروت لبنان، ط 15 سنة 2002 م جزء04 ص 266 .

2-عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي (629هـ) من فلاسفة الإسلام ، و أحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة و علم النفس و التاريخ و الطب، أنظر: قاموس الاعلام للزركلي جزء04 ص 66 .

3-أبو الفتح ، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم الشيباني (637هـ) الأديب ، صاحب (المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر)، و (الوشي المرقوم في حل المنظوم)، وزير للملك الأفضل بن صلاح الدين ، أنظر: وفيات الأعيان و أنباء الزمان: 5/389-397.

4-هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد بن سناء الملك (608هـ) ، شاعر مشهور ، و صاحب ديوان الشعر البديع و النظم الرائق ، له ديوان سماه :"دار الطراز"، قال عنه العماد :"أحرز في صناعة النثر و النظم غاية" ، أنظر: خريدة القصر و جريدة العصر(قسم شعراء مصر) :67/1 ، و أنظر وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان: 6/61-62.

مرض منهم و وكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، و تحت أيديهم خدام، يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج و غذاء".1

و لذلك حث بن جبير أبناء المغرب و الأندلس على الرحلة إلى المشرق ، حيث يجد الرحالة العلم و التشجيع و الإكرام في دولة السلطان صلاح الدين الأيوبي، و هذا ما رآه و عاينه بنفسه في أثناء مروره بمصر و الشام و بلاد الحجاز، و يتضح ذلك في قوله : **"...فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا، فليرحل إلى هذه البلاد، و يتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات الكثيرة، فأولها: فراغ البال من أمر المعيشة، فهذا المشرق أبوابه مفتوحة لذلك فادخل أيها المجتهد بسلام"**.2

و قد كان الوهراني من بين هؤلاء الغرباء الطارئين الذين ذكرهم ابن جبير في رحلته، ترك مدينته وهران و جاء الى المشرق طلبا للعلم والعمل في الكتابة و الانشاء، فكان ان عانى التهميش، ثم انه استقر به الحال بحاضرة الشام الى ان وفاه الاجل فيها .

و قد ازدهرت الحركة الفكرية في عهد الوهراني مع مواكبة الاهتمام بالتأليف و التصنيف و اقتناء المكتبات العامة و الخاصة، حيث لقيت المكتبات عناية من كبار رجال الدولة، و في مقدمتهم **القاضي الفاضل** صاحب الوهراني ،والذي امتلك مكتبة ضمت في ثناياها **100 ألف مجلد**، قال **ياقوت الحموي**: **"...كان جمّاعة للكتب حريصا عليها جدا، و لم أر مع اشتمالي على الكتب و بيعي لها، و تجارتي فيها أشد اهتماما منه بها، و لا أكثر حرصا منه على اقتنائها ، و حصل منها ما لم يحصل لأحد" .** 3

وقد أدرك السلطان صلاح الدين شغف القاضي الفاضل، و العماد الكاتب بالكتب فأهداهما معظم الكتب التي وجدها في مكتبة القصر الفاطمي .

و قد انتعش التأليف في العلوم على اختلاف مشاربها، و تنوعات أبوابها، فكثرت المؤلفات التي تعالج مختلف فنون المعرفة، في مجالات الشريعة و الفقه و أصوله و الشعر والكتابة و الانشاء و النقد الأدبي، و من أشهر الكتاب و الشعراء الذين عاصروا الوهراني: **القاضي الفاضل**، و**العماد الأصفهاني**، و **ابن الأثير**، و **ابن كسيبويه**4، و **ابن مماتي**5، و **ابن رفاعة** 6 ، و الشاعر**أحمد بن منير الطرابلسي (ت548هـ)** 7، و**الأثير بن بنان** 1 **و ابو الحجاج** 2 والامير الاديب **شمس الدين البعلبكي** 3، و **ابن قسيم الحموي**4

1-ابن جبير ابو الحسين محمد تقديم محمد مصطفى زيادة،رحلة ابن جبير،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان د ت ، ص 46.

2- المرجع نفسه ص 200.

3-ياقوت الحموي معجم الأدباء،تحقيق احمد الرفاعي مطبوعات دارالمأمون بيروت ، د ت ، جزء 15 ص 187-188.

4- القاضي المؤتمن ابن كاسيبويه ، من كتاب مصر المشهورين الذين كتبوا في الديوان الفاضلي ، كان كاتبا شاعرا ، أنظر ترجمته في كتاب الخريدة للعماد الاصفهاني، 1/54-556.

5- أبو المكارم ، أسعد ابن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا الأسعد ابن مماتي المصري الكاتب الشاعر (606هـ)، نصراني أسلم في الدولة الصلاحية ، و تولى نظر الدواوين في مصر ، و هو أحد الكتاب في الديوان الفاضلي ، و وفيات الأعيان: 1/201-213.

6- عبد الرحمان بن هبة الله بن حسن بن رفاعة المعروف بكاتب الأمير ناصر الدولة ، كتب الديوان الفاضلي ، أنظر ترجمته و أخباره في خريدة القصر و جريدة العصر (قسم شعراء مصر)

7- ابن منير الطرابلسي 473 - 548 هـ / 1080 - 1153 م أحمد بن منير بن أحمد أبو الحسين مهذب الدين ، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام، ولد بها وسكن دمشق ومدح السلطان الملك العادل محمود زنكي بأبلغ قصائده.وكان هجاءاً مرّاً حبسه صاحب دمشق على الهجاء وهمّ بقطع لسانه ثم اكتفى بنفيه منها.فرحل إلى حلب وتوفي بها له (ديوان شعر -ط)

ومنهم ايضا **ابن القيسراني**(ت548هـ) 5 **وابن عرقلة الدمشقي(ت567هـ)**6 ، و **ابن قلاقس** (ت567هـ) 7 ، و**سبط بن التعاويذي** (ت583هـ) 8 ،و **ابن المعلم**(ت592هـ) 9 ،و**ابن الساعاتي** (ت604هـ) 10 ، و الشاعر الهجاء **ابن عنين** 11 ،و غيرهم كثيـر .

و قد اشتهر من العلماء و الفقهاء و المتصوفة في عهد الوهراني :

كمال الدين الشهرزوري12، و **الهكاري**13، و **الخبوشاني**1، و **السهروردي**2، و **العراقي الخطيب**3، و **ابن الزكي**4، و **الغزنوي**5، و **ابن عساكر**6،و **ابن شداد**، و **الطريثيثي**7،

1- الأثير بن بنان : محمد بن محمد بن البنان الانباري ابو طاهر بن أبي الفضل الكاتب، من اهل مصر واصله من الانبار. قرأ الأدب وسمع الحديث، يقول الشعر الجيد ويترسل، ولد 507 هـ وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية وتنقلت به الخدم في الايام الصلاحية بتنيس وإسكندرية. وكان القاضي الفاضل يغشى أبوابه ويمدحه ويفتخر بالوصول إليه انظر قاموس الاعلام جزء7 ص 203.

2- يوسف بن محمد بن الحسين، أبو الحجاج، موفق الدين، ابن الخلال : (ت 566 ه/ 1171 م) صاحب ديوان الانشاء بمصر، في دولة الحافظ العبيدي، وأحد كبار الكتاب المترسلين، وله شعر حسن رقيق. اشتغل عليه القاضي الفاضل في الانشاء، وتخرج به. وعاش طويلا. ولم يزل في ديوان الانشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة، وعمي، فانقطع في بيته مولده ووفاته بمصر انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء8 ص 247 .

3- خطيب مصر البعلبكي مُحَمَّد بن المحسن بن الْحُسَيْن بن أبي المضاء الْخَطِيب شمس الدّين أَبُو عبد الله البعلبكي ثمَّ الْمصْريّ نَشأ بِمصْر وَقَرَأَ الْأَدَب وَسمع بِدِمَشْق من ابْن عَسَاكِر وَغَيره ورحل إِلَى بَغْدَاد وَسمع بهَا وَقَرَأَ بهَا الْفِقْه واتصل بصلاح الدّين وَهُوَ أول من خطب بِمصْر لبني الْعَبَّاس ثمَّ نفذه صَلَاح الدّين رَسُولا إِلَى بَغْدَاد وَ مَات بِدِمَشْق سنة 572 هـ انظر الوافي بالوفيات جزء04 ص276 .

4- ابن قسيم الحموي: (ت542هـ) مسلم بن الخضر بن قسيم التنوخي الحموي، شرف الدين أبو المجد.ولد في حماة ونشأ فيها ودرس الأدب على شيوخها فنبغ فيه.كان شاعرا وجدانيا، فصيح الألفاظ، سهل التراكيب له مدائح في عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود.

5- ابن القيسراني 478 - 548 هـ / 1085 - 1153 م محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي، أبو عبد الله، شرف الدين بن القيسران شاعر مجيد، له (ديوان شعر -خ) صغير. أصله من حلب، وولده بعكة، ووفاته في دمشق. تولى في دمشق إدارة الساعات التي على باب الجامع الأموي، ثم تولى في حلب خزانة الكتب. والقيسراني نسبة إلى (قيسارية) في ساحل سورية، نزل بها فنسب إليها، انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 07 ص 125 .

6- عَرقَلَةِ الاعور الكَلبِيّ 486 - 567 هـ / 1093 - 1171 م حسان بن نمير بن عجل الكلبي أبو الندى. شاعر من الندماء، كان من سكان دمشق واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي فمدحه ونادمه ووعده السلطان بأن يعطيه ألف دينار إذا استولى على الديار المصرية، فلما احتلها أعطاه ألفين فمات فجأة قبل أن ينتفع بفجأة الغنى . انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء02 ص177.

7- ابن قلاقس نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي (532 – 567 هـ = 1138 – 1172 م) ، أبو الفتوح شاعر ولد بالإسكندرية، ورحل إلى صقلية (1168)، ومدح القائد أبا القاسم بن الحجر، وألف له «زهر الباسم في أوصاف أبي القاسم». دخل اليمن (1169)، ومدح الوزير ياسر بن بلال، ومات في أثناء عودته بعيذاب، ميناء مصر الجنوبي على البحر الأحمر. كان ميالاً إلى المحسنات اللفظية، وله ديوان طبعت مختارات منه . انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 08 ص 24 و 25 .

8- محمد بن عبيد الله بن عبدالله، أبو الفتح، المعروف بابن التعاويذي أو سبط ابن التعاويذي 519 - 583 هـ / 1125 - 1187 م شاعر العراق في عصره، من أهل بغداد مولداً ووفاةً، ولي فيها الكتابة في ديوان المقاطعات، وعمي سنة 579 هـ وهو سبط الزاهد أبي محمد ابن التعاويذي، كان أبوه مولى اسمه (نُشتكين) فسمي عبيد الله . انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء06 ص 260.

9- أبو الغنائم مجد الدين محمد بن علي بن فارس المعروف بابن المعلم ولد في الهرث بالقرب من واسط في عام 501 هـ / 1107 م، وقال شعراً يمدح به صاحب البصرة (بك أبه)، وأسر بني مروان، ودبيس بن مزيد صاحب الحلة، ولبث زمنا في سجن الحلة وبغداد ،وعندما كان في الطريق إلىالموصل وقع في قبضة شيخ تركماني ،غير أنه عاش معظم وقته في (الهرث) وكان يرسل منها مدائحه إلى قصر الخليفة، وتوفى سنة 592 هـ / 1195 م. انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء06 ص 279.

10- بهاء الدين أبو الحسن المعروف بابن الساعاتي، شاعر ولد في سنة 555 هـ / 1160 م في دمشق، وتوفى سنة 604 هـ / 1207 م في القاهرة ، له ديوانان الأول (الغزل من شعره) والثاني (مقطعات النيل) انظر قاموس الاعلام للزركلي جزء04 ص 330.

11- ابن عنين (549 - 630 هـ / 1154 - 1232 م) محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عنين أبو المحاسن شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري، أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، كان يقول أن أصله من الكوفة، من الأنصار، كان هجاءً، قل من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين فطرد من دمشق ثم عاد إليها بعد وفاة صلاح الدين فمدح الملك العادل وتقرب منه، وتولى الكتابة والوزارة للملك المعظم، بدمشق في آخر دولته وانفصل عنها في أيام الملك الأشرف فلزم بيته إلى أن مات . انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 07 ص 125-126 .

12- أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري (572هـ) فقيه و قاض شافعي ولد بالموصل بشهرزور احدى اعمال اربلو هي لفظة عجمية معناها بلد زور، عين وزيرا في عهد نور الدين و استمر في عهد صلاح الدين ، و كان أدبيا و شاعرا ، انظر : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان :241/4-342.

13-عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد الهكاري (585هـ) كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية معولا عليه في الآراء و المشورات انظر :وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 497/3- 492 .

البوصيري8، و **عبد الغني المقدسي**9، و **الجمال المصري**10، و **السخاوي**11، و **ابن الصلاح**12، و ذكر الوهراني الى جانب هؤلاء في منامته العديد من العلماء و الفقهاء و القضاة الذين سخر منهم في هذا العهد لعل من ابرزهم **التاج بن ابي الصقر**13 ، و **ابن ابي عصرون** 14، و **عبدالملك بن درباس**15 و **ابن الوزير**16، و غيرهؤلاء كثير ، و قيل إن العلماء الذين نبغوا في هذا العصر من المحدثين دون غيرهم قد تجاوزوا ثلاثة مائة محدث.17

1-محمد بن الموفق بن سعيد بن عليين الحسن بن عبد الله ، الخبوشاني الشافعي (587هـ)، كان فقيها شافعيا فاضلا كثير الورع ، أحد الأئمة علما و دينا و ورعا : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 239/4.

2-يحي بن حبش بن أميريك السهررودي (587هـ) كان من علماء عصره ، فقيه شافعي و متصوف كبير متهم بعقيدته ، قتل بحلب في دولة الظاهر غازي ، له في النظم و النثر أشياء لطيفة : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 267/2-274.

3-إبراهيم بن المنصور بن المسلم ، الفقيه الشافعي المعروف بالعراقي الخطيب (596هـ) ، كان فقيها فاضلا : : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 33/1 .

4-محمد بن علي بن يحيى بن علي بن عبد العزيز ، القرشي الدمشقي ، الفقيه الشافعي (598هـ)، تولى قضاء دمشق و هو صاحب الخطبة الأولى بيت المقدس بعد فتحه سنة 583هـ : أنظر ترجمته في :وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 229/4-237.

5-أحمد بن محمد بن حمود الغزنوي (593هـ) من غزنة إحدى بلاد الهند درس الفقه على مشهوري أساتذة المذهب حتى بلغ شئوا بعيدا ، و أخذ عنه جماعة مات بحلب ، له مؤلفات عديدة غب الفقه منها (أصول الفقه) تاج التراجم : 10 ، أنظر: الحياة العقلية في العصر الحروب الصليبية مصر و الشام : 179.

6-عبد الرحمان بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الملقب فخر الدين ، المعروف بابن عساكر (620هـ) فقيه شافعي ، كان إمام وقته في علمه و دينه ، درس بالقدس زمنا و بدمشق ، و هو ابن أخي الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 135/3 ، و طبقات الشافعية ، السبكي: 177/8.

7-مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري الطريثيثي ، الفقيه الشافعي ،الملقب قطب الدين (578هـ) كان عالما صالحا جمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع ما يحتاج من أمور دينه ، و صنف كتاب (الهادي)في الفقه ، أنظر ترجمته في : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 196/5-197 ، و العبر في خبر ابن عبر: 235/4-336.

8-هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم الأنصاري الخزرجي المصري المولد (598هـ) ، له سماعات عالية و روايات تفرد بها و لم يكن في عصره في درجته مثله ، كان أديبا كاتبا ، أنظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 67/6-68 ، العبر في خبر من عبر : 306/4 .

9-عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعلي (600هـ) ، كان أوحد زمانه في علم الحديث سمع بأصفهان ، و دمشق و الإسكندرية ، أنظر بين الروضتين ص 46-47.

10-يونس بن بدران بن فيروز المصري (623هـ) ، قاضي قضاة دمشق ، درس التفسير و الفقه بالمدرسة العادلية ، اختصر كتاب (الأم)، الشافعي ، الروضتين ص148.

11-علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد الهمذاني المصري السخاوي ، المقرئ النحوي الملقب بعلم الدين (643هـ) أنظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 340/3-341.

12-عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزودي مفتي الشام (643هـ)، فقيه شافعي ، أنظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 243/3-245 .

13- محمد بن علي بن الحسن المعروف بابن أبي الصقر، كان فقيها شافعيا تفقه على ابى اسحاق الشيرازي و غلب عليه الشعر فاشتهر به انظر تاريخ البداية و النهاية لابن كثيرالمرجع السابق .

14- ابن عصرون ابوسعد عبدالله بن محمد بن هبة الله التميمي شرف الدين من اعيان فقهاء الشافعية قدم الى دمشق في عهد نورالدين زنكي سنة 549 و و لي اوقاف المساجد ثم سافر الى حلب ثم عاد الى دمشق بعد وفاة نورالدين سنة 575هـ تولى القضاء توفي سنة 585 هـ انظر قاموس الاعلام جزء 2 ص582 .

15- صدر الدين عبدالملك عيسى بن درباس الكردي الموصلي قاضي القضاة بالديار المصرية ولد سنة 516هـ و تفقه بحلب على ابى الحسن المرادي توفي بمصرسنة 605 هـ .

16- ابو علي الحسن بن مسعود بن الحسن الوزير الدمشقي الحافظ ، سافر الى اصفهان و منها الى نيسابور و مرو و بلخ و هراة و غزنة و بلاد الهند اشتغل بالفقه و الحديث ولد سنة 498 هـ و توفي سنة 543هـ انظر خريدة العصر 248/1 .

17- احمد احمد بدوي الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر و الشام،دار نهضة مصر القاهرة،ط 1972 ص 124.

و في علوم اللغة و النحو نبغت جمهرة من العلماء من أشهرهم : **المعافري**1، و **ابن ظفر**2، و **ابن بري**3 و **التاج الكندي**4 و **الزواوي**5

و قد ذكر الوهراني الى جانبهم في كتابه ايضا **الحسن بن صافي** 6 الملقب بملك النحاة و الامام **البلطـــي** 7

هذا و لم تقتصر عناية علماء العربية على فرع واحد من فروعها ، إذ أنها تناولت هذه الفروع كلها من أدب، و بلاغة، و عروض، و نقد، و غيرها، كما يتبين من كتابات **القاضي الفاضل** ، و **العماد الأصفهاني** ، و **ابن سناء الملك** ، و **ابن مماتي** ، و **ابن الأثير** صاحب **(المثل السائر)** ، و **(الوشي المرقوم)** .

و قد برع العلماء في تلك الفترة بالكيمياء ، والفلك و الطب ، والتاريخ نذكر منهم : **أسامة بن منقذ** 8 ، و **ابن شداد** ، و الفيلسوف الطبيب **موفق الدين البغدادي** و**حكيم الزمان عبد المنعم المنعم الجلياني** 9 ، و الطبيب **مهذب الدين بن النقاش** 10 الذي سخر الوهراني من مهنته في في الطب بشكل شديد .

1-عبد الجبار بن محمد بن علي المعافري المغربي كان إماما في اللغة و فنون الأدب دخل مصر ، و قرأ عليه ابن بري ، و غيره ، توفي سنة 566هـ. أنظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 215/3-216، و بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة 72/2.

2-محمد بن ظفر الصقلي المعروف بحجة الدين ، أحد الأدباء الفضلاء ، له مؤلفات كثيرة في اللغة و النحو و الأدب و التفسير و التاريخ والفقه ، مات سنة(568هـ) ، أنظر: الخريدة 49/3.

3-عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري (582هـ) كان إماما مشهورا في علم النحو و اللغة ، علامة عصره ، و حافظ وقته أنظر : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 34/2.

4- زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي ، الملقب بتاج الدين (520 هـ/ 613هـ) كان أوحد عصره في فنون الأدب ، نحوي لغوي اديب و شاعر و مقرئ و محدث ولد ونشأ ببغداد، وسافر إلى حلب سنة 563 هـ، وسكن دمشق، وقصده الناس يقرؤون عليه، وكان مختصاً بفرخ شاه ابن أخي صلاح الدين، وبولده الملك الأمجد صاحب بعلبك، وهو شيخ المؤرخ سبط ابن الجوزي، أنظر : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 339/2-342.

5-يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي النحوي (ت 628هـ) كان أحد أئمة عصره في النحو و اللغة ، أديب شاعر أنظر : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 197/6.

6- ملك النحاة أبو نزار الحسن بن أبى الحسن صافى بن عبد الله بن نزار بن أبى الحسن النحوي (489هـ - 568هـ) ولد ببغداد وتعلم فيها المذهب الشافعي، ثم رحل إلى الشام وسكن واسط مدة. قال عنه العماد الأصبهانى: «كان من الفضلاء المبرزين، وبرع في النحو حتى صار أنحى أهل زمانه، وكان فهمًا فصيحًا ذكيًا إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه، لقب نفسه ملك للنحاة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصلين والنحو، وله ديوان شعر، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدة. وتوفى بدمشق سنة 568 هـ . انظر انظر موسوعة ويكيبيديا على الانترنت http://ar.wikipedia.org/wiki/

7- البلطي: عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطي : أبو الفتح النحوي هكذا ينسبونه وهو من بلط التي تقارب الموصل ، ذكره العماد في كتاب الخريدة فقال: انتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة يتردد إلى الزبداني للتعليم، فلما فتحت مصر انتقل إليها فحظي بها ورتب له صلاح الدين يوسف ابن أيوب على جامع مصر جاريا حتى مات سنة 599 ه . وكان قد أخذ النحو عن أبي نزار وللبلطي من التصانيف كتاب العروض الكبير في نحو 300 ورقة والعروض الصغير وكتاب العظات الموقظات (معجم الأدباء141/12).

8-أسامة بن مرشد بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني (584هـ) ، له من التصانيف (الإعتبار)، و ديوان شعر و (لباب الآداب) أنظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان 195/1-199.

9- هو حكيم الزمان أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الغساني الأندلسي الجلياني . كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل (طب العيون) أتى من الأندلس وأقام بدمشق إلى حين وفاته ، وعمر طويلاً . وكانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه . وله في صلاح الدين مدائح كثيرة ، وصنف له كتباً وكان له منه الإحسان الكثير . توفي في دمشق بعد سنة ستمائة (لم يذكر في أي سنة) . وله دواوين شعر عديدة ومؤلفات كثيرة في الطب والتفسير والحديث . انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 04 ص 167 .

10- الشيخ أبو الحسن علي بن عيسى ابن هبة الله النقاش مولده ومنشؤه ببغداد ، اشتغل بصناعة الطب على الأجل أمين الدولة هبة الله صاعد بن التلميذ ولازمه مدة ، واشتغل بعلم الحديث، ولما وصل إلى دمشق بقي بها يطب ، وكان أوحد زمانه في صناعة الطب ، ثم توجه إلى الديار المصرية ، وأقام بالقاهرة مدة . ثم رجع إلى دمشق ولم يزل مقيماً بها إلى حين وفاته . وخدم بصناعة الطب الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، وخدم أيضاً في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بدمشق وبقي به سنين ،وخدم بعد ذلك للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لمّا ملك دمشق ، وحضي عنده . وكانت وفاته رحمه الله بدمشق سنة 574 هـ انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 04 ص 318 .

و الناظر في تراجم العلماء في هذا العصر يرى أنهم من العلماء الموسوعيين الذين لم يكتفوا بتحصيل علم واحد، بل كانوا يسعون إلى تحصيل معظم فنون المعرفة الشائعة في عصرهم، فكان الواحد منهم يجمع إلى علم الفقه علم الحديث، و القراءات، و اللغة، و النحو، و الكتابة، و التاريخ، والطب، و نحو ذلك من العلوم .

و مما تقدم يمكن للباحث أن يرى بوضوح أن الحياة الفكرية و الثقافية في الشام و مصر خلال هذا العصر قد شهدت ازدهارا كبيرا و نشاطا واسعا ، مع وجود الحروب المستمرة التي خاضها المسلمون مع الصليبيين، إلا أن الثقافة الدينية ، و ما يتصل بها من اللغة و النحو والادب العربي، هي الثقافة الغالبة على هذا العصر.

و قد انتعش الادب العربي في عصر الدولة الايوبية نتيجة الاستقلال واطلاق اليد في الإصلاح و إنشاء المدارس، و ما كان لولاة الأمر في هذه الدولة و وزراءها من ملكات أدبية ، و عناية به فضلا عن طبيعة مصر المشجعة على تفتق القرائح الأدبية .

ولقد كان **السلطان نور الدين زنكي** يميل إلى تقريب رجال الحديث والعلماء أكثر مما كان يميل إلى الشعراء أو يغدق عليهم الأموال، لكن **صلاح الدين** كان أكثر تذوقاً للأدب منه، وألين حجاباً، وقد روي عنه أنه كان يحفظ ديوان الحماسة لأبي تمام،ويتمثل بالشعر، ويجيز الشعراء، حتى تقاطروا إلى بلاطه، ونظموا فيه القصائد الكثيرة، و قد اتبع خلفاؤه و رجال الدولة من الوزراء هذا المنهج في الاحتفاء بالأدب و الاعتزاز به . 1

و قد اتخذ الشعراء من الحروب الصليبية موضوعا و تأثرت أساليبهم بها ، و من وحشيتها و أطماعها ما ابتلت به الشرق من محن ، و ما واجهت من بطولات صورا و أخيلة
وو لقد غلب الشعر الحماسي على شعر شعراء هذا العصر حتى أصبح طابعا عاما طغى على روحه فيكاد لا يخلو ديوان شاعر من شعراء هذه الفترة من ذلك الشعر الحماسي الذي يعكس صدى البطولات الرائعة في مقاومة الصليبيين ، و تلك الانتصارات التي أحرزها "عماد الدين زنكي" و من بعده "نور الدين" و من بعده "صلاح الدين" بل لا نغالي إذ قلنا أن هذه القصائد و أمثالها هي التي غلبت على دواوين الشعراء .

و حظي صلاح الدين بكثير من المدائح من كثير من الشعراء **كابن سناء الملك**، و ابن **الساعاتي**، و **عماد الدين الأصفهاني**، و **ابن قلاقس السكندري**، و **الأسعد بن مماتي**، و **ابن النبيه** 2 ، و الشاعر **ابن الدهان الموصلي** 3 ، الذي سجل ديوانه الشعري احداث الحروب

1- بكري الشيخ أمين، محمود سالم ،الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة ،مرجع سابق مجلد 01 ص625

2- كمال الدين ابن النبيه 560 - 619 هـ / 1164 - 1222 م علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين.شاعر منشئ من أهل مصر، مدح الأيوبيين وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى ورحل إلى نصيبين فسكنها وتوفي بها له (ديوان شعر -ط) صغير انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 04 ص 331 .

3- ابن الدهان :عبد الله بن أسعد بن علي أبو الفرج مهذب الدين الحمصي (521 - 581 هـ / 1127 - 1185 م)، شاعر و فقيه ولد في الموصل وأقام مدة بمصر ثم انتقل إلى الشام ،فولي التدريس بحمص وتوفي بها له ديوان شعر مطبوع . انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي جزء 04 ص 72 .

الحروب الصليبية التي هزت العالم الإسلامي وانتصارات صلاح الدين الأيوبي أعظم تسجيل .
و من ابلغ مدائح الشّاعر **ابن الدهان** في صلاح الدين الممجدة لبطولته، والواصفة للمعارك الّتي خاضها، وهي وصف حماسيّ عامّ ؛ كما في قوله يصف غارة شنَّها صلاح الدين على بيسان 579هـ، ويصور الدمار الّذي أصاب المدينة :

وفي يوم بيسانٍ سقيتَهمُ الرَّدى وغادرتَ أخلافَ المنيَّةِ حُفَّلا
وَطيْتَهمُ رغماً فلمْ يُغْنِ حَشدُهمْ ومن ذا يردُّ السّيلَ من حيث أقْبلا
بخيلٍ إذا أَوْليتَها النجمَ حلّقت إليه وإنْ أوطأتَها الحَزْنَ أسْهَلا
وضربٍ يقدّ البيضَ كالبيضِ عنْدَهُ وطعنٍ يُريكَ الزُّعْف بُرْداً مُهَلْهَلا
وكمْ أسمرٍ أوردتَ أوردةَ العِدا وكمْ أَجدْلٍ عافٍ قريتَ مُجَدِّلا
تولَّوا عن النَّارِ الّتي أوقِدتْ لهمْ من الحربِ علماً أنَّها ليس تُصطلا
وفاتوا القنا مُستَعظمينَ قتالهمْ من الذُّلِّ والإرغام ما كانَ أقْبلا
فإنْ لمْ يُجلّلْهمْ أسارٌ ومقتلٌ فقد ركبوا خِزيَ الفرار المجلَّلا 1

و قد اعتمد الشعراء المحترفون في هذا العصرعلى الشعر من اجل الكسب، و كثر المتكسبون به فيه لما رأوا من السلاطين و الرؤساء اقبالا، و شاعت نغمة السؤال و الاستجداء الصريح من مثل قول ابن التعاويذي :

أَتَرْضَوْنَ يا أهلَ بغدادَ لي وَعَنْكُمْ حَديثُ كلنَّدَى يُسْنَدُ
بِأَنِّي أَرْحَلُ عَنْ أَرْضِكُمْ أَجُوبُ البلادَ وأَسْتَرْفِدُ
وأُقسِمُ أنَّ رغيفاً لدَيَّ مِنْ قَوْلِكُـــمُ جَيِّداً جَيِّدُ 2

و كان الهجاء من الموضوعات التي كثرت في هذا العصر و من اشهر الهجائين **ابن عنين** الذي كان مولعا بالهجاء و السخرية و ثلب اعراض الناس و له قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق سماها **"مقراض الاعراض "** في نحو 500 بيت، و قد طرده صلاح الدين من دمشق لخبث لسانه، و لعل الوهراني كان مثيلا لابن عنين في السخرية مسلطاعلى رؤساء دمشق في عهده و لكنه نثرا و ليس شعرا .

و لعل اضطراب الحالة الاجتماعية و سوء امور الناس و فقرهم هو الذي دفع الى تلك الالوان الهجائية . 3
و قد شاع في هذا العصر الغزل المذكر او غزل الغلمانيات كما في العصر العباسي نتيجة انتشار موجة الفساد الاجتماعي و الخلاعة و المجون .

1- ابن الدهّان أبو الفرج عبد الله بن سعد ، الديوان الشعري ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968 ص43 .
2- محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ، مرجع سابق ص 316 .
3- المرجع نفسه ص 321 .

و كان الشعراء في جملتهم يتجهون إلى محاكاة الشعراء العباسيين في أساليبهم و طرائق تعبيرهم في انشاء الاشعارالتي لم تختلف موضوعاتها عن موضوعات العصور السابقة، من مدح وهجاء وفخر وغزل ورثاء و خمريات، و وصف وشكوى وما إلى ذلك، و قد بلغوا من ذلك حظا كبيرا حتى لنستطيع أن نضع بعضهم في بعض قصائده إلى جوار كبار الشعراء العباسيين، فكان الشاعر منهم يضع نصب عينيه مقولة: «**ما ترك الأوائل للآخر شيئاً**»، ولذلك كان ينهج نهج السلف تفكيراً وتعبيراً، وافتقد العصر النقاد الفنيين الذين يقومون لكل شاعر إنتاجه . 1

وكان علماء البلاغة أقدر من سواهم على أداء هذه المهمة، لكنهم انصرفوا إلى المنطق، وإلى جزئيات لا تسمن ولا تغني، فأضاعوا الغاية من البلاغة، كما أضاعوا البلاغة ذاتها ، واستعاض شاعر العصر عن الابتكار والتجديد بالمبالغات الكبيرة التي تصل إلى حد الإغراق والغلو الذي يرفضه العقل وتأباه العادة، وينكره الذوق . 2

و لكننا لا نستطيع أن نغفل ما كان في هذا العصر من اتجاه إلى الزخرف و الزينة و البديـع اللفظي يكاد يشترك فيه شعراء هذا العصر جميعهم ، يقوى بعضهم حتى لا تضعف الزينة من أسلوبه ، و حتى تبدو كأنها طبيعية غير متكلفة ، و تقوى هي على الآخر حتى تسقط شعره في تكلف ممقوت ثقيل. 3

و لم يكن النثر بأقل عزما من الشعر فقد أدى دورا إيجابيا ربما كان أشد و أعظم أثرا من الشعر ، ذلك أن الكتاب الذين ولوا أمر ديوان الإنشاء في هذه الفترة كانت أقلامهم ألسنة و كلماتهم مشهورة ، و لهم قدرة على رصف الكلام و تحبيره حتى ليهز النفوس الضعيفة .

و ها هو ذا القاضي الفاضل يقول في رسالة عن الفتوحات في عهد صلاح الدين الأيوبي :

"...فأما الفتوحات الناصرية فقد هطلت قطرا، بل جرت نهر ، بل جرت بحرا، بل درّت درا ، فما ينقضي يوم الجمعة إلا عن تخلق محاربيها، و استجابة دعوة خطيبها، و افتضاض بكر من القلاع، بعوان 4 **من الحرب يقعد لها الموت على قارعة القراع، و آخر ما تسلم دربان من الديوية** 5 **، و الفتح منها فتحان ، و يدهم في الحرب يدان، و ظهورهم لا يدحرها إلا اللعنة و صدورهم لا يملؤها إلا الطعنة، و كانوا قد اجتهدوا في القتال، و صبروا على مر النضال، و مر النصال، حتى أهمدتهم الصفاح، و أرقدتهم الجراح، فحينئذ لاذوا بالأمان، و طلبوا ذمة السلطان الإيمان فلم يجبهم إلا بقطيعة ثقلها، و عدد و غلات و أسلحة اعتقلها، فأجابوا مكرهين، و نزلوا آيسين طامعين، و كملوا القطيعة..."**6

1- بكري الشيخ أمين، محمود سالم ،الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة ،مرجع سابق مجلد 01 ص625

2- المرجع نفسه مجلد 01 ص625

3- احمد احمد بدوي ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ،دار نهظة مصرالقاهرة ،ط2 سنة 1979، ص 560 .

4- العوان: المتوسطة في العمر بين الصغر و الكبر من النساء و البهائم ، و هنا استعيرت للقلاع .

5-الديوية ، أطلقها المسلمون على جمعية فرسان المعبد **templiers** .

6- القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني رسائل الحرب و السلام ،اختيار ابن الديباجي تحق محمد نغش، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ط 2 سنة 1984 ص 49 .

و قد كان **القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت596هـ) والعماد الأصبهاني (ت597هـ)** اكبر مثالين يطبعان العصر الايوبي بطابعيهما في الكتابة النثرية، و قد تآلف هذان الرجلان في حياتهما وعقدت الصداقة بينهما أواصر المحبة، وقد تآلفا ايضا كذلك في أسلوبهما الأدبي، الذين ورثاه من العصور السابقة، ولاسيما العصر العباسي، فيما تواضع عليه أكابر الكتّاب كابن العميد والصاحب والحريري والمعري (ت449هـ) والتبريزي (ت502هـ) والحصكفي من تكلف وتصنع وتعقيد واصطياد للسجع أو الجناس أو غير ذلك من هذه الألوان البديعية، ثم زادا على ما ورثا ما أبدعته قريحة كل منهما: فبلغ الجناس المعكوس،على أيديهما، ذروته، ومالا يستحيل بالانعكاس يكثر ويتعاظم، والتلاعب اللفظي يعم ويطغى .

و إلى جانب ذلك كله كانت ترى بعض التعابير الرشيقة، والصور اللطيفة، وبعض الكتابات الخفيفة الظل، مما يشهد لهما بحسن الذوق ودقة الصناعة والقدرة على اجتذاب القارئ .

وظلت مدرسة الرجلين في الأسلوب قائمة الى **عصر المماليك** الذي صار فيه ديوان الإنشاء أكبر حافز لشداة الجاه والرزق والشهرة والوزارة والقرب من السلطان، و لعل كتاب «**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**» **للقلقشندي** خير دليل بين على هذه المواصفات و لعل اكثر فنون النثر التي كانت منتشرة في عصر ابن محرز الوهراني هي الرسائل والكتابات الديوانية الرسمية، والرسائل والمكاتبات الإخوانية، والمقامات الادبية التي اشتهر بها الوهراني كما اشتهر بالمنامات الخيالية ، و انتشرت ايضا في هذا العهد الخطب المنبرية و خاصة مع اشتداد الحروب الصليبية ودق طبول الجهاد و النصرة، كما انتشرت المؤلفات العلمية و الطبية و الفلسفية و الصوفية ويمكن القول كذلك: إن معظم الكتابات الديوانية، والرسائل الإخوانية، والمقامات الأدبية، والخطب المنبرية، طبعت بطابع العصر الذي كتبت فيه، وحملت سماته وصفاته، من كلفة وتصنع مقبول، إلى كلفة وتصنع ومبالغة في اصطياد المحسنات البديعية على حساب المعنى. 1

وقد برز في هذا العصر صوت شاذ يحارب طريقة القاضي الفاضل والعماد الكاتب وينعى على المتكلفين طريقتهم، ويقف في وجه هذه الأساليب، ذلك هو صوت **ضياء الدين بن الأثير الجزري (ت637هـ)** ولاسيما في كتابه «**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**»، وقد امتازت كتابته هو ممن ذكروا بالتجديد، وكانت أفكاره في كتابه المذكور ثورة في الإنشاء الأدبي في عصره، إذ خالف فيها الأساليب المتبعة وحمل على أصحابها، ولدى التدقيق في أسلوب ابن الأثير يتضح اعتماده في شتى كتاباته العامة والخاصة والإخوانية والديوانية الرسمية أو التأليفية على أسلوبين اثنين: أسلوب مسجع، وأسلوب مطلق. أما السجع فغلب على نثره الديواني، وهو كتاب في الديوان، وعلى نثره الإخواني، وأما المطلق فقد استخدمه في تصانيفه، ولاسيما في «**المثل السائر**»، وفيه ابتعد عن السجع واللعب بالعبارات والإكثار من المحسنات اللفظية. 2

1- بكري الشيخ أمين، محمود سالم ،الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة ،مرجع سابق مجلد 01 ص625
2- المرجع نفسه مجلد 01 ص625

لقد وظّف ابن الأثير الألفاظ في خدمة المعاني، وأتى بآراء جديدة، تكاد تكون اليوم معتمدة وأساسية لدى معظم النقاد المعاصرين، منها: أن السجع يكون مقبولاً إذا كان طبيعياً ومعتدلاً، وأن يكون فيه اللفظ تابعاً للمعنى، وأن غرائب الألفاظ تشين الكتابة الأدبية وينبغي تحاشيها، وأن الكلفة والتصنع في تأليف العبارة يوديان بقيمتها وأثرها. وفي الحق، إن ابن الأثير حاول أن يعدل بتلك الأساليب المنتشرة في ذلك العصر نحو الاتجاه السليم، لكن طغيان التقليد والتصنع جعل محاولته زوبعة في فنجان .

و قد برز اديبنا ابن محرزالوهراني في تجديد فن الكتابة قبل ابن الاثير بسنين، فلقد تميز اسلوبه في كتاباته و مناماته الخيالية الساخرة بالبساطة و العفوية و الاسترسال الذي جعله منهجا خالف فيه كتاب عصره من امثال القاضي الفاضل و العماد الاصفهاني، الذين مالوا أكثر ما مالوا إلى أسلوب **ابن العميد** و سلفهم من العباسيين اصحاب المقامات في الصنعة و التكلف و التقيد بالسجع و الايغال في استخدام المحسنات البديعية، والى اسلوب الاستطراد و الحشو و تكرار الصيغ و كثافة التفاصيل و العمل على اللغة بحد ذاتها .

و قد صرح بذلك في منامه حيث عاب أسلوب **ابن العميد** المنمق و المزخرف في الكتابة متهما إياه بالجهل و التكلف و التلوين و السجع و البديع و الزخرفة حيث أشار إلى ذلك في أحد مشاهد منامه في وصف رقعة منقمة كتبها ابن العميد و قد قرأها شاعر الشام **أبو الحسن بن منير الطرابلسي** فقال فيها : ((**هذه رقعة رجل دهان عارف بنجل الأصباغ و انزال الذهب لكنه بصناعة الكتابة ظاهر التكلف**))[1]

و قد تأثر الوهراني بعصره الايوبي و عمل في مصر لسنوات عند الاثير بن بنان في دواوين الكتابة و الانشاء من اجل الكسب والرزق والشهرة والوزارة والقرب من السلطان .
فكانت له العديد من الرسائل و المكاتبات الفكاهية الساخرة التي بعثها الى القضاة و الوزراء و الامراء من امثلة ذلك رسائله الى **القاضي الفاضل** و الامير **نجم الدين بن مصال** [2] و الامير **عز الدين موسك** ،و الامير **تقي الدين عمر** [3] و وزيره **مجد الدين بن عبدالمطلب** [4]، و لعل ابرزهم السلطان **صلاح الدين الايوبي** الذي كتب له رسالتين ضمنهما مدحه واستعطافه طمعا في العطاء .

1 - ابن محرز الوهراني . المنامات مصدر سابق ص 32-33 .

2 - ابو محمد نجم الدين بن مصال بن سليم بن محمد بن مصال اللكي من أهل لك باللام وتشديد الكاف، وهي بليدة عند برقه بليبيا ، من امراء صلاح الدين الايوبي وكان من أصدقاء العماد الأصفهاني. توفي سنة 572 هـ انظر مختصر سنا البرق الشامي للفتح بن علي البنداري ص65 وهو حفيد نجم الدين سليم بن محمد بن مصال، الذي كان من أكابر دولة العبيديين و تولى وزارة الظافر نحوا من خمسين يوما، و قد قتله الوزير ابن السلار سنة 544 هـ .

3 - المظفر الايوبي (000 - 587 ه = 000 - 1191 م) عمر بن شاهنشاه بن أيوب، تقي الدين، أمير ، كان صاحب حماة ،وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين وكان شجاعا مظفرا، له مواقف مع الافرنج ولد بالفيوم (بمصر) وولي الولايات، وناب عن عمه في الديار المصرية، ثم أعطاه حماة سنة 582 ه، فسكنها وحاصر قلعة منازكرد (من نواحي خلاط) ليأخذها، فتوفي على أبوابها، ودفن في حماة.قال أبو الفداء: كان المظفر ركنا عظيما من أركان البيت الايوبي، وكان عنده فضل وأدب، وله شعر حسن انظر قاموس الاعلام للزركلي جزء 05 ص 47 .

4 - من وزراء تقي الدين المظفر الايوبي ،ورد ذكره في حوادث سنة501 عزل برسالة من السلطان ثم اعيد الى الوزارة باذن منه و شرط عليه شروطا منها العدل و حسن السيرة و الا يستعمل احدا من اهل الذمة انظر الكامل في التاريخ لابن الاثير مرجع سابق.

و قد كتب عنه ايضا و عن ابوه نجم الدين و عمه اسد الدين شيركوه مادحا جهادهم و انتصاراتهم في منامه الخيالي الكبير متخيلا قدومهم الى النبي عليه الصلاة و السلام بشاطئ المشرعة العظمى و المقام المحمود وقد قال في ذلك :

((...وأقبل نجم الدين وأسد الدين راكبين على فرسين كالعقابين من خيل بني ربيعة، وعلى كل واحد منهما خلعتان خلعة الحج وخلعة الجهاد ، وكل خلعة منها خير من خراج الأرض كلها سبعين مرة وأسد الدين رايح يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم خلعة فتوح مصر ، ونجم الدين يقول : لا تذكره بمصر فهو موغر الصدر لأجلها(.....) وانتهى إليهما صلاح الدين فأخذاه وأوصلاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمره بتقبيل رجليه ففعل ذلك ، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسح على رأسه ودعا له بالنصر والتأييد ، وأوصاه بالضعفاء والمظلومين ، ونزلوا على المشرعة العظمى ، وأقاموا عليها ساعة زمانية ، ثم انصرفوا إلى المقام المحمود .)) [1]

1 - المنامات. مصدر سابق ص 49-50 .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الفصل الثالث :

أنواع و أساليب السخرية في أدب ابن محرز الوهراني

المبحث الأول : أنواع السخرية في أدب ابن محرز الوهراني

المطلب الأول : السخرية الاجتماعية .
المطلب الثاني : السخرية السياسية
المطلب الثالث : السخرية الدينية.
المطلب الرابع : السخرية الأدبية

المبحث الثاني : أساليب السخرية في أدب ابن محرز الوهراني

المطلب الأول : التلاعب الساخر بالالفاظ
المطلب الثاني : الاقتباس و التضمين
المطلب الثالث : الحوار الساخر
المطلب الرابع : المبالغة و التصوير الكاريكاتوري
المطلب الخامس: التعريض و الكناية
المطلب السادس: المدح بما يشبه الذم

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المبحث الأول : أنواع السخرية في أدب ابن محرز الوهراني

اتخذت طبيعة السخرية في أدب ابن محرز الوهراني اشكالا و انواعا عديدة ، اذ تجد فيها السخرية الاجتماعية و السخرية السياسية و السخرية الدينية و السخرية الادبية التي يقصد بها النقد الادبي الساخر.
و قد كانت رسائل و مقامات و منامات الوهراني بكل شخصياتها الحقيقية و الخيالية اقنعة حاجبة اختفى الوهراني من ورائها ليتكلم بكل حرية و عفوية و يطلق سهام سخرياته اللاذعة و نقده الجارح على قضايا عهده المزري الذي يعيش فيه، معرضا فيها لمظاهر المجتمع و السياسة و الدين و الاخلاق و واقع الادباء و الادب، حيث قام الوهراني بالتحصن بمناماته و قصص رسائله و مقاماته عبر غرائبية أحداثها في عالـم الخيال و الحقيقة ، و قال ما يستطيع ان يقوله بصريح العبارة في التعبير عن مواقفه السياسية و الفكرية و الاجتماعية من احداث عصره

المطلب الأول : السخريـــــة الاجتماعيـــــة

تنطوي تحت هذا النوع من السخرية اساليب الشكوى و النقد الاجتماعي و الفكاهة ، التي ينتهجها الادباء الساخرون للسخرية من المظاهر الاجتماعية الغريبة و الشاذة التي تبعث على الاضحاك و التهكم .
و قد وجد الوهراني في المجتمع الكثير من المظاهر الساخرة التي جعلها مدعاة للنقد و التهكم الساخر ، نذكر من بين تلك المظاهر:

- **01/ السخرية من الفقر و الظروف الاجتماعية :**

عاش الوهراني في احتياج للمال و فاقة و فقر و لهذا سلك طريق الهزل و السخرية في كتاباته ورسائله للسلاطين تكسبا وطلبا للمال .
وقد صور الوهراني بسخرية ضاحكة مظاهر الفقر المدقع الذي كان يعيشه الناس في ذلك الوقت، وظهر ذلك بوضوح في رسالته إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فبعد مدح وإجلال للملك صلاح الدين الأيوبي ونعته بأنه من كبار المهاجرين والأنصار، يروي الوهراني حوار فقير جائع مع الهراس، فيقول في كتابه:((.. **والمملوك يخاف أن يحكي حكاية الفقير الذي طلب الهراس لقمة، فقال: يسهل الله لك، فقال الفقير: أما الله سبحانه فقد سهل الخير الملاسي في يدك، والقدر تفور(أغرف وهات)، فيقول المولى ـ أدام الله ظله ـ: وأي هريسة قد بقت؟؟؟ قد أكلوا والله حطب الطبيخ ومستوقد النار ، وقرقشوا القدر وتملحوا في آخر الأمر بالهريسة ولو وجدوا الهراس لأكلوه...)).** [1]

1-منامات الوهراني، مصدر سابق ص 201 .

وهذا تصوير مضحك ساخرفيه مبالغة من الوهراني لشدة فاقة وجوع الناس في ذلك الوقت حتى وصل بهم الحال الى التهام حطب الطبيخ وهريسة الهراس.
وفي رسالة الوهراني إلى الأمير نجم الدين بن مصال وهو على عسكر صلاح الدين الأيوبي على حصار الكرك والشوبك تصوير ساخر لشدة حاجة الناس وفقرهم وامتناع الأمراء على انفاقهم، يقول الوهراني: **((ومن أعجب الأشياء أن المولى نجم الدين ـ أدام الله عزه ـ جالس على رأس الينبوع الذي يفجر منه نيل مصر، لا يصل إلى الناس منه إلا ما يخرج من شبابيك أصابعه، وخادمه في السياق من شدة العطش يتمنى قطرة يبل بها فؤاده ، وتبرد أكباده فلا يقدر عليها، يا سيدي قد انتقل المال من أهل الفضل والسخاء إلى الدبراء والصعاليك فلا يعطوا منه شيئا الا بعد تشبع نفوسهم الجائعة و لا تشبع نفوسهم الجائعة الا بعد ملازمة النعمة اربعين سنة، فليس لابن السبيل الى معروف من سبيل)).** [1]

ومن سخريات الوهراني الشديدة عن الفقر والظروف الاجتماعية الصعبة التي يعيشها الناس ما كتبه من رسالة لأحد المدابير إلى أمه يصف فيها حالته الاجتماعية الشديدة التي حملته حتى على سرقة أحذية المصلين، يقول فيها : **((مني إلى أمي أما بعد: فإني ما أفلحت عندك و لا هاهنا دخلت القيروان بكرة و اشتهيت أخذ الولاية ضحوة ، وأتزوج بنت السلطان عشية فلم تساعدني المقادير، فرجعت إلى سوق البز أبيع وأشتري، أبيع ثيابي وأشتري الخبز إلى أن نفذت البضاعة ، فلزمت المساجد في أوقات الصلوات أسرق لوالك المصلين وأرهنها عند اليهود الخمارين ،على النبيذ وفي المواخير...طيبي قلبك من جهتي ، وإن قيل لك عني إني مدبر فلا تصدقي والسلام)).** [2]

- **02/ السخرية من الفساد الأخلاقي والاجتماعي:**

تناول الوهراني في رسائله ومقاماته ومناماته العديد من الظواهر الاجتماعية المدانة التي كانت تعصف بالمجتمع العربي الإسلامي آنذاك حيث مال الوهراني في إبراز هذه المظاهر عن طريق الأسلوب الدارج في عصره، فلم يتورع من إيراد الألفاظ البذيئة الفاحشة من خلال الكثير من المواقف والمشاهد المليئة بالسخف والمجون، للتعبير عن التحلل الخلقي الذي انتشر في عصره و بين كبار رجال الدولة، فلم يدع الوهراني رذيلة اجتماعية ولا نقيصة وجدها في أهل زمانه إلا وكشف عنها بجرأة وصراحة نادرتين.
ففي أحد مشاهد منامه الخيالي الكبير وفي موقف شديد ومرعب من مواقف يوم القيامة يلتقي الوهراني بصاحبه المحدث **الحافظ جمال الدين العليمي** [3] ، و تقوم بينهما ملاحاة ومماحكة ،ويمر بهما في تلك اللحظة **مالك خازن النار** و يقبض عليهما ويرمي السلسلة برقبتيهما لسحبهما إلى النار لآنهما متهمان بالزنا واللواطة و القوادة فيتوسل إليه العليمي أن يطلق

1-مناامات الوهراني، مصدر سابق ص 208 . / **شرح الكلمات** : **المدابير** : ليسلها معنى في المعجم و لعلها كلمة عامية تعني المتسكعين
2-المرجع نفسه ص 207 . / **شرح الكلمات** : **سوق البز**: سوق الثياب و القماش ، **لوالك** : نوع من الاحذية ،**المواخير** : بيوت الدعارة .
3- **الحافظ العليمي** هو الذي كتب الوهراني اليه و عنه منامه الخيالي و لعله يكون المحدث العالم الرحال **أبو الخطاب عمر بن محمد بن عبد الله بن خضر بن مسافر العليمي الدمشقي السفار** ، عرف **بابن حوشكاش** ، سمع من الفقيه نصر الله المصيصي ، ونصر بن مطكود ، وأبي القاسم بن البن ، وأبي الأسعد بن القشيري ، ونصر بن المظفر البرمكي ، وعبد الله بن الفراوي ، وهبة الله الدقاق ، وعبد الله بن رفاعة ، والسلفي ، وعدد كثير بخراسان والعراق ومصر والشام . وكتب الكثير ، وكان صدوقا ، حميد السيرة ، جيد الفهم والمعرفة . مات في شوال سنة 574 هـ بدمشق ، وله أربع وخمسون سنة .انظر سير اعلام النبلاء للذهبي الطبقة الثلاثون .

سراحهما لأن الوهراني من أهل القرآن وهو من أهل الحديث و لكن مالكا يعدد عليهما أشياء كثيرة مما اقترفاه في الدنيا و يدور بينهم هذا الحوار :

((... يا سيدي هذا رجل مغربي من أهل القرآن ، و أنا رجل محدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأي جزم تأخذ قبل الوقوف قبل وقوف الرب سبحانه على حسابنا فلعله يتجاوز عنا

فيقول لك :

يا خبيث أنت كنت من المتفننين في اللياطة ومن المتبظرمين

فقلت له:

أنا !! كيف ذلك يا سيدي ؟

فقال لي :

هذا كان يفسق بأولاد المسلمين

وقال لك: كنت .... أولاد المسلمين و تثبت أسماءهم في جريدة عندك على حروف المعجم حتى لم يبق عليك منها إلا القليل و أتى علك أجلك و أنت مجتهد في تعليق بقية الحروف يا ديوث ، أليس أنت الذي أدخلت فلانا الأمرد إلى الخرابة المظلمة و ونيمته تحت ضوء الروزنة فلما لم يطابق الضوء حجره قلت له بتحنين وتلطيف يا سيدي قربها إلي بفضلك يا خنزير و أي فضل يكون لأمرد منكوح يا مرجوس أليس انت الذي أنت أخذت يحيى المطرز و قام عليك وراح عنك و أنت مغبون فلما اجتمعت به بعد ذلك بمدة طالبته بالتمام ؟ و لو عددت عليك المخازي التي رأيتها أمس في صحيفتك لضاع علي الزمان ، و أما هذا المغربي فرجل قواد لا شك فيه ، فاستشطت أنا عند ذلك غضبا و أظهرت القلق العظيم وقلت له :ألمثلي يقال هذا الحديث ؟؟ و الله لتندمن على هذا الكلام فقال لي مالك: لعلك تريد أن تهجوني بشعر مثل الذي رأيت في صحائفك اليوم أو تعمل في مقامة تذمني فيها مثل ما تفعل في بني آدم و الله لألطمنك بالفلع حتى يبول القندلاني على ساقيه ، واشتهيت أن أعلم ما سبب غيظك علي ، هل تقدر تحلف أنك ما كنت تقود على رفيقك هذا في دار الفوارة بجيرون في سنة ثلاثة وخمسين و خمسمائة من الهجرة [1]**، فلما سمعنا ذلك خرسنا و أبلسنا و علمنا أن الناقد بصير لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ....))** [2]

و مضى الوهراني على هذا الأسلوب الماجن في فضح كثير من الشخصيات المعروفة أحيانا و المغمورة في أحايين أخرى ممن عاصرهم ،فلم يسلم أحد من سلاطة لسانه وبذاءة ألفاظه ، إذ بهذه المقدمة في توجيه سهام النقد إلى نفسه وصاحبه هيأ الأجواء و فتح باب الهجوم على رجالات عصره دون أن يستثني منهم أحدا.

وتكمن المفارقة في هذا النص في اتهام أهل القرآن والحديث بمثل هذه الاتهامات الشنيعة التي تتنافى وقدسية المهام المناطة بهم في الحياة الدنيا ، فالغريب المدهش في هذا هو الجمع بين ما هو مقدس وما هو مندس .

فإذا كان يحلوا للوهراني بهذا الأسلوب الفاضح و المفارقة الساخرة أن يفضح نفسه وصاحبه فما بالنا به عندما يستدعي إلى منامه هذا مجموعة من الشخصيات يقحمها في سياقاته ومواقف

1-هذا التاريخ الذي ذكر **553** هـ و مواضع اخرى في ادب الوهراني من الادلة البارزة على ان وصول الوهراني الى المشرق كان في عهد السلطان نور الدين زنكي اي قبل عهد السلطان صلاح الدين الايوبي الذي كان حوالي سنة **576هـ**

2-منامات الوهراني، مصدر سابق ص 29-30-31 / شرح الكلمات : **يحي المطرز**: اسم لرجل في عهده مجهول **الروزنة** : الكوة غير النافذة، **الفلع** :المقرعة التي يضرب بها ، **القندلاني** : يشير الى رجل هذا لقبه ، **دار الفوارة** : قرية بجنب جبل الظهران بدمشق ، **جيرون** : من ابواب الجامع و هو بابه الشرقي و تطلق على دمشق .

تفيض بالنقد اللاذع والسخرية التي تصل إلى حد التطاول والوقوع في المحظور الشرعي أحيانا كما يستنتج من القراءة السطحية . 1

فها هو ذا يقدم شخصا آخر من شخوص أحداث منامه الخيالي المغمورين بصورة مخزية، وهو(**معن بن حسن**) الذي يبدو من كلام الوهراني أنه كان غارقا في المجون والفسق من أخمص قدميه حتى قمة رأسه، فيفضح أعماله المشينة أمام أمير المؤمنين (**الإمام علي كرم الله وجهه**) وينشر صحيفة أعماله التي لا تضم بين دفتيها سوى الفضائح والمخازي، إذ يقول على لسان أحد شخوصه سماه (**جحا**):

((...فيقول له جحا: والله يا أمير المؤمنين لتسمعن في صحيفة أعماله من الفضائح ما لم تسمع بمثلها لسواه، وأقل ما فيها أنه أخذ طفلا من أبناء الفلاحين اسمه يوسف بن بونيات ففسق به حتى التحى، ونشأ له أخ آخر اسمه علافة ففسق به حتى التحى، ونشأ له أخ آخر اسمه فضيل ففسق به حتى التحى، ونشأ له أخ آخر اسمه إسماعيل ففسق به حتى التحى، وفرغ من الصبيان فعمد إلى أختهم فعقد عليهما عقدا مفسودا وفسق بها حتى ملها، وعبرت يوما أمها فكشف الريح عن ساقيها وقطعت عجيزتها فمسكها وغصبها على نفسها، فلم يسلم منه أهل البيت إلى شيخهم الكبير بمصيره إلى التراب)). 2

- **<u>03/ السخرية من الأطباء والحرفيين:</u>**

لم يسلم من سخرية الوهراني السوداء أحد في رسائله ومقاماته، فلا شيء خارج دائرة لسانه اللاذع السليط ونقده العميق، ولهذا نجده حتى يسخر في معرض حديثه من أطباء عصره ويستدعي في مشاهد حكاياته الكثير من الحرف التقليدية القديمة الشائعة في عصره من أجل السخرية والإضحاك.

من بين تلك الحرف نذكر: **الرزاز(بائع الأرز)، الفقاعي**(بائع الفقاع وهو شراب يتخذ من الشعير يخمر حتى تعلو فقاعاته)، **البيطار، العطار، العلاف**(بائع العلف)/ **الخباز،الفراش** .....إلخ.

يقول الوهراني في سياق سخريته من كتابات **ابن العميد** المزوقة: **((لو كتب هذا الكلام الذي في رقعته على فخذ خروف سمين وألقي على الطريق لأنفت من أكله الكلاب، ثم ناولها لبعض <u>الفراشين</u> وقال: ادفعها لجارك <u>الفقاعي</u> يلصقها على عتبة دكانه يستجلب بها الزبون)).** 3

وقال أيضا في موضع اخرمن سخرياته في رسالته الى القاضي الفاضل: **((فقال له صاحبه وهو يحاوره: ويحك يا سخيف العقل أحسبتني أطبخ لك السكباج، وأفرش لك الديباج، وأطعمك اللحم السمين وألقمك باليمنى وأقد لك النور، وأعلفك مثل الثور، إن تخيلت هذا فأنت إلى <u>مكاوي البيطار</u> أحوج منك إلى نقوع <u>العطار</u>)).** 4

وقال في رقعته على لسان بغلته الى الامير عزالدين موسك **: ((وبعد هذا كله فقد راح صاحبها إلى <u>العلاف</u>، وعرض عليه مسائل الخلاف، وطلب من بيته خمس قفاف فقام إليه**

1-ينظر عبداللطيف المصدق ،منام الوهراني نموذج المسرح العربي التراثي الساخر، مدونة كلمات عابرة للاستاذ عبداللطيف المصدق على الانترنت الرابط : **http://kalimatabira.blogspot.com/2008/02/blog-post_22.html**

2-منامات الوهراني، مصدر سابق ص 43-44 .

3-المصدر نفسه ص 34-35 .

4-المصدر نفسه ص 73-74 . / **شرح الكلمات** : **السكباج** :مرق يعمل من اللحم و الخل معرب من اللفظ الفارسي **سكبا** .

بالخفاف، فخاطبه بالتقعير، وفسر له آية العير، وطلب منه ويبة شعير، فحمل على عياله ألف بعير، وأكثر له من الشخير والنخير)). 1

وقال في مقامته شمس الخلافة عن زوج العلافة : **((فقال: اعلم أنه دخل هذه المحجة محرما بحجة، يعوزه من القوت ثمن رطل من الياقوت يتمنى رفسة من رزاز أو صفعة من كف خباز وحاول معيشة فلم يقدر على حشيشة))**. 2

ومن الطبقات التي تناولها الوهراني في منامه طبقة الأطباء، حيث سلط الضوء في أحد مشاهد منامه على طبيب من أعيان القوم عرف برقة دينه وقلة خيره وخبرته في مجال مهنته و يقصد به الطبيب **مهذب الدين بن النقاش** ، و يظهر ذلك في سياق الأحداث هذا الحوار الذي دار بينه وبين **أبي المجد بن أبي الحكم** 3 الذي يبدو أنه كان طبيبا أيضا وبين جمع من القوم بينهم الراوي ومما جاء في هذا الحوار: **((...فأهج على رأسي وأعدو ملء فروجي، وأصيح بجميع حلقي دعوة مظلوم: ياكريم ! فلحقتموني أنتم وأدركتموني وقلتم لي:**

ـ أنت مجنون، تدري لمن تخاطب؟ ! فقلت: لا

فقلتم: هذا عزرائيل ملك الموت، وهو يعنى بالمهذب عناية عظيمة، وهو الذي شفع فيه وخلصه من العذاب المقيم ، فقلت لكم:

ـ من أين هذه المعرفة والمحبة بين المهذب وعزرائيل؟

فقال لي أبو المجد بن أبي الحكم :

ـ من جهة الطب، أما علمت أن المهذب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا؛ ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال، وأراح ملك الموت من التردد إليه وشم الروائح المنتنة والنظر إلى شخصه المزعج، وخلصه من الانتظار الطويل، فهو يرعاه لأجل هذا ويحبه من ذلك الزمان، وأما أنا ما أقدر أوقع عيني في عينيه، ولا يبصر لي رقعة وجه أبدا لأني كنت أضاربه على العليل مضاربة حتى أخرجه من فكه وأخلصه بعد اليأس، فلا جرم أنه ما أمهلني أتمم <u>الأرغن</u> الذي ابتدأته، ولا تركني أتملى في الدنيا بأم أبي الحكيم ساعة من الزمان.....)). 4

وتبدو خفة روح الوهراني في هذا النص المفعم بالتهكم والسخرية من أطباء زمانه ممن لا يتقنون مهنتهم الإنسانية، فيكونون سببا في موت مرضاهم لجهلهم بأمور الطب وعلومه، و عدم رعايته إياهم في إشارة منه إلى جدل العلم والجهل .

1-منامات الوهراني، مصدر سابق ص 93 ./ **شرح الكلمات** : **الويبة** : مكيال يساوي اثنان وعشرون أو أربعة وعشرون مُدًّا ،

2-المصدر نفسه ص 98 .

3-ابن أَبي الحَكَم (توفي 570 هـ / 1174 م) ، أفضل الدولة أبو المجد ابن أبي الحكم محمد بن عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي. أصله من الأندلس ، هو طبيب و عالم بالهندسة و الموسيقى ، من أهل دمشق. تولى أعمال البيمارستان الذي بناه السلطان نور الدين الزنكي بدمشق،كان من العلماء الحكماء، برع في عدة علوم، وكان من الأماثل في علم الهندسة، ويعرف الموسيقى، ويلعب بالعود، ويجيد الغناء والإيقاع والزمر، إلا أن الطبّ غلب عليه فاشتهر به، توفي بدمشق سنة 570هـ انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي.

4-منامات الوهراني، مصدر سابق ص 40-41 ./ شرح الكلمات : **الارغن** : يقصد به هنا كتابا في الطب ،و هي معربة من الكلمة **organon** التي تعني في الطب الحديث العضو البشري الا ان اصلها اليوناني القديم تعني به الأداة أو الآلة التي تستخدم في العمل .

- **04/ السخرية من الملامح الجسمية الخارجية للإنسان:**

سخر الوهراني في كتابه من الفقهاء والقضاة في كثير من المواقف التي وجد فيها عيوبهم ومظاهر قبحهم، وكانت المظاهر الجسمية أبرزها.
ولهذا نجده يسخر من اللحية والقفا والقرع ، وغير ذلك من الجوانب التي غضب فيها ويهاجم خداع قضاة عصره ونفاقهم وكذبهم وركاكة دينهم.
وقد كانت للحية نصيب كبير في سخرياته، كشف فيه استغلال القضاة وأدعياء الفقه لها لإظهار التقوى والصلاح وإيهام الناس وخداعهم .
فهذا الفقيه الحافظ العليمي يسخر الوهراني في منامه من لحيته المتسخة، ويخبره أنه لا يدخل الجنة بها وأن أهل النار سيعملون فيها الفتائل على باب جهنم .
و يقول في ذلك : **((وأقبلنا نحن نشرب ونستريح، وتقول: لي أين أنت؟ من ماء الديباج، كنت أشتهي الساعة قطعة صابون رقي، وشيئا من التراب المراغي أغسل بها لحيتي فإنها قد اتسخت من العرق والغبار، فقلت لك: ما تحتاج إلى شيء من هذه الساعة تستريح منها ، فقلت لي: وكيف ذلك؟ فقلت لك: لأنك إن كنت من أهل السعادة فما تدخل الجنة إلا أجرد أمرد، وإن كنت من أهل النار فالزبانية يعملون منها الفتايل توقد ليلة الميلاد فتيلة على باب جهنم))**. [1]
ومن تلميحاته الساخرة في القاضي الفاضل قوله: **((فخنقته العبرة شوقا الى صاحب المكان ، فلم يشعر الا و الحائط الشمالي قد انشق و خرج منه شخص عجيب الصورة ليس له رأس ولا رقبة البتة، وإنما وجهه ولحيته في بطنه مثل بعض الناس في يده اليمنى زربول و في اليسرى شمشك عتيق، فقمت له هيبة له و خوفا على نفسي ...))**. [2]
ومن شعره في هجاء القاضي ابن أبي الحكم أبيات فضح فيها بطريقة ساخرة استغلاله للحيته البيضاء الطرية في النصب والاحتيال والخداع على العامة ، يقول فيها :

ولحية غضة بيضاء تحسبها — حجر العقيق الذي يدعى ابن عندانا
كادت تشاكلها في قبح باطنها — وحسن ظاهرها سرا وإعلانا
يزهو بها إعجابا فتحسبه — قد صار كسرى وذاك الحجر إيوانا
وجرر الذيل في أرجاء ساحتها — فخلتها الصرح والغرمول هامانا
وكم نصبت عليها بالمحال كما — بات ابن أسعد تمويها وخذلانا
فاترك متابك إن القوم فطنوا — وعد إلى العيش فانهبه كما كانا [3]

ولم يقف أمر الوهراني في سخريته على اللحية فقط وإنما تعداه إلى الجوانب الجسمية الأخرى وخاصة في رسالته الفاحشة القول إلى قاضي الفاسقين بمصر التي وصفه فيها بأشنع الصفات المشينة الخليعة واستهزأ وتهكم بصلعة رأسه تهكما شديدا فيقول في ذلك: **((أطال الله قرون مولاي القاضي الأجم الفاضل الإمام العالم قاضي الفاسقين إمام اللاطة.....))**.

1-مناامات الوهراني،مصدر سابق ص 59 ./ **شرح الكلمات** : **رقي** : نسبة للرقة مدينة بالعراق ، **مراغي**: نسبة لمراغة مدينة باذربيجان
2- المصدر نفسه ص 153 ./ **شرح الكلمات** : **زربول** :نوع من الاحذية و هي كلمة يونانية، **شمشك**: نوع من الاحذية خاص بالرعاة .
3-المصدر نفسه ص 215-216 / **شرح الكلمات** : **عندان** :مدينة بالقرب من دمشق، **الصرح**: القصر العالي ،**الغرمول**: صفة للرجل الذي لم يختتن و تقطع غرلته ، **المحال** : الكيد و المكر ،**ابن اسعد**: لعله يقصد الفقيه الشاعر ابن الدهان الموصلي.

ثم يقول: **((.... ولازالت يمينه مطية لفصوص القداح وفلكا لشموس الأقداح ، ومنزلا مأهولا بالولدان معمورا بالقحاب والمردان(.....) وسحائب الصفع عن ربوع أكتافه مقلعة، ولا جعل لسلطان الدرة على قفاه سبيلا، ولا لطوارق القلع إلى رأسه دليلا ، كتبت هذه الأحرف إليه، يسر الله معاصيه وبارك الله في مخاصيه، أشكوا إليه ما عندي من الشوق إلى طلعته وصلعته، والحنين إلى قاعته ورقاعته والارتياح إلى قامته وهامته .....و حنيني اليه حنين الجعل الى الأرواث و اللايط الى شم الاخباث، و ارتياحي اليه كارتياح الارملة الى البعال، و رأسه الى مباشرة النعال...))**. 1

ويقول أيضا: **((... وأشد من ذلك يا سيدي ما حدثني به من ينتمي إلى هوى أبي بكر احتبى أن قامته وقرعته محلوقة ، كخده لما كانت له دبوقة وهذه من النعم التي يجب أن تكفر ومن الدنوب التي لا يجوز أن تغفر...))**. 2

ومن أعجب وأندر سخرياته المضحكة ما كتبه في مقامته**((شمس الخلافة))** التي ينتقد فيها احتيال الفقهاء ورجال الدين وإدعائهم التفقه بالمظاهر الخارجية الوهمية الخداعة.

يقول في وصف بطل المقامة وصفا ساخرا فيه سخرية بغلظ القفا:**((وهو كما رأيت قد جمع بين الجفا وغلظ القفا، فأبصرته العجوز على تلك الحالة فتوسمت فيه عظم الآلة فسرى خيالها وسال عليه ريالها...))**. 3

وقررت العجوز التي لقبها الوهراني في هذه المقامة **بالعلافة** أن تصنع من الشيخ فقيها فتزوجته ، والبسته لباس الفقهاء ثم سهرت على تعليمه الفقه عن طريق الاهتمام بمظهره الخارجي ليكون بمظهر الفقهاء، فكانت وصيتها له مليئة بالسخرية والمفارقة قالت فيها:

((إذا حضرت فانفخ حضنك وبطنك، وانفش بين الفقهاء ذقنك...)) 4 ، ولم يقف الأمر على تحريك هذه الأجزاء الجسمية فقط بل إنها أمرته حتى بالبصاق في وجه الشيوخ قالت في ذلك:

((خذ اللفظ بأناملك من شفتيك، وزاحم الفقهاء بمنكبيك وأبصق في وجه الشيخ ولا جناح عليك)).

وقد بينت في وصيتها حال المتفقهة في ذلك العصر من الخداع والنفاق ولهذا قالت: **((واعلم أن الفقه ليس هو شيء غير النفاق والزعاق وتلويث وجه الخصم بالبصاق))**. 5

المطلب الثـــاني : السخريـــــة السياسيـــة

لم يكن نقد الوهراني في مناماته ورسائله قاصرا على سخرياته الاجتماعية فحسب ،بل إن دائرته توسعت لتشمل مجالات السياسة والكلام في الصراعات المذهبية السياسية.

وقد انعكست صدى تداعيات الأبعاد السياسية وأحداثها وصراعاتها على امتداد طول رقعة الدولة الإسلامية في مناماته ورسائله، حيث تجلت أطروحات الوهراني السياسية والمذهبية والفكرية بوضوح في عدة مشاهد، وقد اتخذت أبعادا معينة تجسد موقفه من جهة وموقف شخصياته من بعض القضايا السياسية والمذهبية منها جدل السنة والشيعة وصراع العباسيين

1-مناامات الوهراني، مصدر سابق ص 144-145 .
2- المصدر نفسه ص 147-148 ./ **شرح الكلمات** : **الدبوقة** : الشعر المنسوج او المظفور .
3- المصدر نفسه ص 98 . / **شرح الكلمات** : **الريال** : اللعاب .
4- المصدر نفسه ص 100 .
5- المصدر نفسه ص 101 .

والأمويين والفاطميين مع الأيوبيين ومولاة آل البيت والأمويين وغيرها من الخلافات المذهبية التي ظهرت على مسرح الأحداث السياسية الإسلامية وشغلت الناس في زمانه وقبله .
ومن إشاراته السياسية التاريخية في وصف الأحداث السياسية إشارته إلى سقوط دولة الملثمين المرابطين بالمغرب على يد الموحدين حيث يردد الوهراني مع نفسه قائلا : **((هيهات يا بعدما خمدت نارهم، وبادت آثارهم وأسود ناديهم، وملكتهم أعاديهم))** 1، فسأله محدثه ابى المعالي عن **عبد المؤمن بن علي** مؤسس دولة الموحدين (ت558هـ /1162م) فرد عليه الوهراني بنبرة فيها معارضة سياسية للموحدين و لسفكهم دماء المرابطين: ((**مؤيد من السماء، خواض للدماء، مسلط على من فوق الماء، حكم سيفه في القمم، وأعمله في رقاب الأمم، حتى خضعت له التيجان، و دانت له الانس و الجان، فاغمد الحلم شفاره،و قلم العلم اظفاره،فلان مسه و هدأ حسه، و لو أن للعلم لساناً ،وللورقة إنساناً لتألمت وتظلمت و لانشدك في الملا قول ابي العلا:**

جلوا صارما و تلوا باطلا و قالوا صدقنا فقلنا نعم
ولكن السكوت على هذا الحال أرجح، ومسالمة الأفاعي أنجح .....)) 2

وقد كان الوهراني في نقده السياسي ميالا إلى ملوك الدولة الأيوبية التي كان في عهدها، ولهذا سرد الكثير من الأحداث السياسية في مقاماته و مناماته التي كشفت عن ميله إلى وحدة المسلمين ووحدة دولتهم متأثرا برجالات عصره لا سيما فيهم السلطان صلاح الدين الأيوبي وأسرته التي جاهدت الحملات الصليبية .
و يظهر انتماؤه وولاؤه السياسي للدولة الأيوبية بوضوح في مشاهد كثيرة من المنام الكبير، كالمشهد الذي ينزل فيه الملوك الأيوبيين على المشرعة العظمى من الحوض المورود يقيمون ساعة زمانية ثم ينصرفون إلى المقام المحمود وقد نالوا شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي وقفة سردية وصفية قال: **((وأقبل نجم الدين وأسد الدين راكبين على فرسين كالعقابين من خيل بني ربيعة، وعلى كل واحد منهما خلعتان: خلعة الحج و خلعة الجهاد، وكل خلعة منها خير من خراج الأرض كلها سبعين مرة)).** 3
وبعد بيان فضل ملوك الدولة الأيوبية في القضاء على الدولة الفاطمية يقول الوهراني في منامه على لسان العباس بن عبد المطلب مشيرا إلى عودة الديار المصرية إلى حصن الدولة العباسية: **((رددنا الدعوة لأولاده بعد انقطاعها عنهم مائتي سنة والسور وأصحابه التسعة، والينا من والاهم، وعادينا من عاداهم، وأقصينا مبغضيهم، ومزقناهم كل ممزق، وأمرنا بالدعاء لهم والترضي عنهم على جميع منابرالإسلام)).** 4
وتتضح رؤية الوهراني أكثر فأكثر حين تظهر صورة صلاح الدين الأيوبي الذي عاصره في أحداث منامه إذ ينهي سرده الحلمي بالقول: **((و انتهى إليهما صلاح الدين فأخذاه وأوصلاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم و أمراه بتقبيل رجليه، ففعل ذلك، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ومسح على رأسه، ودعا له بالنصر والتأييد، وأوصاه بالضعفاء والمظلومين، ونزلوا على المشرعة العظمى، وأقاموا عليها ساعة زمانية، ثم انصرفوا إلى المقام المحمود)).** 5

1-مناامات الوهراني، مصدر سابق ص 2 .
2- المصدر نفسه ص 11 .
3- المصدر نفسه ص 49 .
4- المصدر نفسه ص 50 .
5- المصدر نفسه ص 50 .

ويبدوا مرام الوهراني واضحا في هذه النصوص إذ أراد بها إضفاء صبغة دينية على ملوك بني أيوب كعادة الخلفاء العباسيين الذين أحاطوا أنفسهم بهالة دينية مقدسة يستمدون منها قوتهم في حكم البلاد والعباد.

ولعل من أبرز شخوص منام الوهراني إثارة للجدل شخصية **أبي القاسم الأعور** الذي عمد أكثر من مرة إلى تسليط الضوء عليها في مواقف متناقضة له من مسألة الصراع المذهبي والسياسي بين أهل السنة والشيعة، فاتخذ منه رمزا للنفاق السياسي، فلا غرابة أن يختار له لقب(**الأعور**) في إشارة رمزية إلى الدجال، فهو يجيد اللعب على الحبلين، فنراه تارة يميل إلى اتباع معاوية رضي الله عنه ويزيد، إذ يراه الوهراني عند الحوض الكوثر:

((وحوله جماعة من الأشراف، وهو يندفون شعر رأسه بالمزادات والدلاء ويقولون:
ـ يا خنزير، رح إلى يزيد ومعاوية يسقيك الماء)) . 1

ثم يتبين له فيما بعد أنه: **((أبو القاسم رجل فضولي، يكاشف الأشراف ويؤذيهم ويضاربهم في كل مكان)) .** 2

وعندما يسمح أمير المؤمنين ـو يقصد يقصد الإمام علي كرم الله وجهه ـ للوهراني وجماعة من أهل العلم والقرآن معه بورود الحوض، يصيح أبو القاسم الأعور من بعيد: **((ـ الله الله يا أمير المؤمنين، يتم عليك محالهم هؤلاء والله أشد كفرا ونفاقا، وأكثرهم نصبا وانحرافا من أهل بيتك، وهم عبيد يزيد ، فقلت له: يكذب والله علينا يا أمير المؤمنين، ولنا جماعة من أهل بيتك يشهدون لنا بغير ما يقول ، فقال:مثل من؟ فقلت: مثل الشريف قيفيات الذي كان ضامن القيان بدمشق، ومثل الشريف بطرس المسقف الهرات، والشريف العصيدة الذي كان رسول القاضي، والشريف زقاق الكادوم الذي يبيع اللحم في القبة، والشريف الدويدة الرواس، هؤلاء ذريتك ونسلك وهم يعرفون براءتنا من قول هذا الملعون .**
فقال أمير المؤمنين: ولا شك أنك من عبيد يزيد، ألا ترى أنك شرعت تسبنا بطريق لطيف بإلحاق هؤلاء الأراذل بي؟ هؤلاء الذين ذكرتهم من ذرية إبليس اللعين، ومن نسل الشيطان الرجيم، إن كان لكم ثقة تشهد براءتكم فهاتوه، وإلا فلا تقربوا هذا المكان.
فيقول ابن الحنفية: اغتنموا أنفسكم قبل المبادرة والإحراق ، فننصرف بين يديه ونحن لا نبصر الطريق...)) . 3

و يبدو موقف الوهراني واضحا في هذا المشهد من أهل البيت عبر تهكمه من أشرافهم واستهزائه بهم وإلحاق أراذل القوم بنسلهم وذريتهم الطاهرة ومزجه بين ما هو مقدس وما هو مدنس .

وفي المشهد التالي من المنام يلتقي الوهراني وجماعته مرة أخرى بالأعور البغدادي، فيقنعهم أن يرافقوه ليدلهم على من يسقيهم الماء من الحوض بعد أن يعتذر إليهم ويتنصل مما جناه عليهم، فيقول الراوي ـ الوهراني ـ :**((ومشينا معه مقدار أربع فراسخ، وإذا بجمع عظيم يحتوي على شيوخ وكهول وشبان، قد حف مجلسهم بالسكينة والوقار، وجلالة الملك والسيادة تلوح على وجوههم، فسألنا عنه فقيل:هؤلاء السادة والقادة من بني عبد شمس.**
فدخل أبو القاسم الأعور حتى وقف بين يدي عظيمهم فقال: يا خال المؤمنين، يا كاتب وحي رب العالمين، نحن قوم من محبيكم، وقد طردنا عن الحوض لأجلكم، ونحن هالكون من شدة

1-منامات الوهراني، مصدر سابق ص 42 ./ **شرح الكلمات** : **يندفون** : يضربون، **المزادات** : جمع **مزادة** و تعني الوعاءٌ الذي يُحْمَلُ فيه الماء والزاد في السفر .
2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
3- المصدر نفسه، ص 45- 46 .

العطش بسببكم، ولنا جماعة من ثقاة شيعتكم يشهدون لنا، فقال: ما تحتاجون إلى شهادة، أنتم عندنا من الصادقين ، فقال يزيد ابنه:ومن بينتكم؟فقال له: القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس قاضي مصر يشهد لنا)) . 1

وتكمن المفارقة في هذا المشهد عندما يؤتى بالقاضي الكردي قاضي قضاة المسلمين في العهد الأيوبي ليشهد على ادعاءات هؤلاء القوم، فيسأله يزيد:

((ـ تعرف هذا؟ وأشار إلى أبي القاسم الأعور ، فقال:نعم يا أمير المؤمنين، أعرفه حوسا. فقال له: ما الحوس؟ ، فقال:الذي يعمل النحس فيه.قال: فإنه يقول إنه يدعو لنا، ويترضى على أسلافنا، ويؤذي من يؤذينا.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، كان يفعل ذلك كله للتكسب والمعيشة، ولو أن اليهود جعلوا له على سب النبي صلى الله عليه وسلم جعلا ، لبادر إلى ذلك مسرعا، ولم يصده عن ذلك تقى ولا دين ، فيأمر به فيشرد عن تلك الرحاب.فقال يزيد:إذا كان الأمر على ذلك فيصفع صفعا جيدا ويطرد من هذه الرحاب ، فما استتم الكلام حتى اختطفت الأعور الأكف من كل ناحية ومكان ، ثم قال يزيد للقاضي: ما تقول في هؤلاء الرجال ؟

فقال: أما هذا فإنه رجل عليمي، وهو فخذ من كليب بن وبرة، من أخوال أمير المؤمنين، وأما هذا فإنه دمشقي من عبيد أمير المؤمنين ، وأما هذا فإنه رجل مغربي حضرت معه في دار الدنيا في دعوة فيها جماعة من الأعيان في دار الشهرزوري في الجوانية، وسمعته يترضى عنك ويسأل الله أن يحشره معك ،فقال:وجب حقهم علينا، وسوف نعمل معهم كل جميل)). 2

وهكذا يفضح الوهراني من خلال المواقف والمشاهد التي ذكرناها أمر **أبي القاسم الأعور المنافق**، ويعري شخصيته المنحرفة ويعبث به بأسلوبه الساخر المميز، فضلا عن أن النصوص التي استشهدنا بها للاستدلال على أن المنام الكبير للوهراني لم يكن بمنأى عن الصراعات السياسية والمذهبية، قد أفرزت جراء انتمائها لولاءات دينية متباينة تباينا في النظرة تجاه أهل السنة والشيعة، وهذا يدفعنا إلى القول بانتقائية المؤلف لمشاهد مناماته ومواقفها وموضوعاتها بما يتسق مع توجهه الفكري وموقفه ومواقف شخصياته معه من صراع الأمويين مع الشيعة والأيوبيين مع الفاطميين، الأمر الذي يجعل هذه النصوص موظفة توظيفا أمينا لخدمة التوجه السياسي و الفكري الذي ينتمي إليه المؤلف .

فالوهراني هو البطل في منامه وهو الرائي والراوي في الوقت نفسه ومن ثم يعود إليه عنصر الهيمنة في تحريك شخصياته وتوجيه الأحداث.

لم يسلم أحد من لسان الوهراني، لا ملك معظم ولا وزير مفخم ، ولا قاض محترم، فالفساد عم البلاد ولا يستثنى الأسياد ولا الأوغاد، فالمنام الكبير احتوى على حوار بين المساجد ، إن حوار المساجد يحمل معارضة سياسية ساخرة، فكل الساسة سواء بدءا من مولانا السلطان انتهاء بابن عصرون المدير.

ومن انتقاداته السياسية الساخرة للوزراء والولاة في عصره ما كتبه في رسالته عن حوار خيالي رمزي بين المساجد، حمل معارضة سياسية لأعمال الحاكم ، و لعل هذا الانتقال بالخيال من حوار الحيوانات مع عبدالله بن المقفع إلى حوار المساجد والصوامع مع الوهراني يعد قفزة هامة في الأدب العربي .

1- مناامات الوهراني،مصدر سابق ،ص 52 .

2- المصدر نفسه ص 42 .

حيث أسند بطولة الحوار إلى جامع ((**جلق**)) وهو جامع بني أمية الكبير في دمشق وتحت سلطته تنضوي بقية مساجد دمشق وقد مسه الصدع والزلزال وهدت أركانه الرطوبة والأوساخ وانعكفت مآذنه ذلا وخنوعا فلم تجد المساجد بد من رفع الظلم والشكاية لسلطان المسلمين.
فكان أن صور اللوهراني بطريقة خيالية أن المساجد قد اجتمعت عند جامع بني أمية الكبير للمشاورة والمحاورة وليدلي كل مسجد بشهادته على سوء أحواله وضياع حقوقه ثم تتوحد كلمة المساجد في خطاب واحد للقيم الوالي شؤونها سعد بن أبي عصرون، ولكنه تجاهل أمرها وأهمل شكواها وأبى أن يرفعا إلى الملك العادل نور الدين محمود الأتابكي عندئذ حاولت المساجد أن تراسل الملك والذي استطاعت أن تصل إليه بعد جهد جهيد، و أتى الفرج أخيرا على يد الملك العادل حيث قام برفع ما كان قد حل بها من إهمال وتضييع ونهب لحقوقها وأوقافها وعزل القائم بأمورها ابن عصرون . 1

المطـــلب الثالـــث : السخريـة الدينيـة

من الغرابة بمكان أن يكون الوهراني فقيها وإماما حافظا لكتاب الله تعالى، ثم تقرأ له تلك السخريات الخليعة الماجنة من شخصيات عصره الدينية.
فلقد صب عليها نقده اللاذع الفاضح لحقيقة تدين بها المخادع، ولم يستثني فيها أحدا حتى طال نفسه وهو الإمام الفقيه المحسوب على أهل القرآن، وكذلك صديقه الحافظ المحدث العليمي، إلى جانب الصوفية والكثير من فقهاء وقضاة عصره.
وقد جمع ذلك في مفارقات ساخرة مزج فيها المقدس بالمدنس وتجاوز فيها حدود اللياقة والأدب والاحترام مع مقدسات الدين الإسلامي .

- **01/ السخرية من أدعياء التصوف:**

كان عصر الوهراني عصر الصوفية والتصوف ولهذا نجد الوهراني قد وسع من دائرة سخرياته لتشمل بعض المتصوفة أو بالأحرى أدعياء التصوف، الذين انحرفوا بمبادئ التصوف الإسلامي وجوهره إلى سبل لا تمت إلى الإسلام بصلة، ففي مشهد مهيب من مشاهد منامه يظهر الرسول صلى الله عليه وسلم في موكب عظيم ، و قد أقبل من المقام المحمود والناس يضجون بالبكاء ويلوحون إليه بالأيدي ويستغيثون به من كل مكان، فلما ينتهي إلى شاطئ المشرعة، يقف عندها، فتتقدم إليه الصوفية من كل مكان **((وعلى أيديهم الأمشاط وأخلة الأسنان وقدموها بين يديه صلى الله عليه وسلم))**:
ـ من هؤلاء؟ ، فقيل له: هؤلاء قوم من أمتك، غلب العجز والكسل على طباعهم، فتركوا المعايش، وانقطعوا إلى المساجد يأكلون وينامون ، فقال :
ـ فما كانوا ينفعون الناس، ويعينون بني آدم ؟ ، فقيل له:
ـ والله ولا بشيء البتة، ولا كانوا إلا كمثل شجر الخروع في البستان، يشرب الماء ويضيق المكان فساق ولم يلتفت إليهم)). 2

1- ينظر منامات الوهراني – رقعة على لسان جامع دمشق - ص 61 ./ **شرح الكلمات** : **اخلة** : اعواد رفيعة **يتخلّل** بها ، أي يُخرج بها بقايا الطّعام مما بين الأسنان ، **الخروع** : نبات ينمو في الدمن، أي: المزابل. وهذا النبات شديد الخضرة ريان يانع، ولكنه رخو سريع الانكسار لامتلاء جوفه بالماء، حتى إن العرب استمدت منه فعل (**خرع**) للدلالة على الجبن والخور و هو لا ينفع في شئ، وحتى الدواب لا تأكله بل تعافه، وإنما هو فقط يملأ الأفق ويضيق المكان .
2- المصدر نفسه ص 48-49 .

إن إعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم وعدم التفاته إليهم لمحة دالة على رفض المسلمين لهم وانصراف الفكر الإسلامي عنهم ، والوهراني قد صور رفضا حقيقيا لهم بتشكيل منام غير مدعى، وإغلاق المشهد بتهميش الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم.
فمثل هؤلاء كمثل جسم غريب في بنية المجتمع الإسلامي، لا ينفعون الأمة في شيء، بل هم عالة على الأمة الإسلامية وعبأ ثقيلا على المجتمع، لقد كشف الوهراني في منامه عن حقيقة هؤلاء وزيف ادعاءاتهم وأدان سلوكهم وفضح أمرهم وعدهم أعضاء غير فاعلين في المجتمع، لأنهم هربوا من كد العمل ومزاولته وتعلم الحرف والمهن إلى زوايا المساجد بحجة العبادة والتنسك والانقطاع، فغلب عليهم العجز و الكسل، فما يزال أحدهم يأكل وينام إلى أن يموت من غير أن ينفع الناس بمثقال ذرة من خير.

- **02/ السخرية من الفقهاء والمحدثين:**

لعل أطرف ما كتبه الوهراني ساخرا من فقهاء عصره ما تضمنته مقامته المسماة(**شمس الخلافة)** ، و رسالته إلى صاحبه ابن الحليم الواعظ على لسان الفقهاء، ففي هذه المقامة المسجوعة حكاية طريفة عن عجوز سماها الوهراني العلافة جاء بها رجل قد جمع بين الجفا وغلظ القفا فتوسمت فيه عظيم الآلة فسرى في خيالها وسال عليه ريالها فتزوجته وأرادت أن تصنع منه فقيها بمظهر الفقهاء في ذلك العصر، فكانت تعلمه وتوصيه أن يظهر بأوصاف وأشكال متفيقهة ذلك العهد الجاهلين المتظاهرين كذبا ونفاقا بالعلم، قالت في وصيتها: **((... إذا جلست فتربع ولا تتقنع وانشر أكمامك وأظهر للناس أعلامك....))، ((فقال: أوصني رحمك الله فقالت: إذا حضرت فانفخ حضنك وبطنك وانفش بين الفقهاء ذقنك، وباكر المدرسة في الصباح وسابقهم إلى الرواح، وإن غلبوك في العلم، فلا يغلبوك في الصياح...))، ((وقالت له أيضا: خذ اللفظ بأناملك من شفتيك وزاحم الفقهاء بمنكبيك، وابصق في وجه الشيخ ولا جناح عليك))، ((** وقالت له أيضا**: اصبر على القوم فما هو إلا بياض اليوم واعلم أن الفقه ليس هو شيء غير النفاق والزعاق وتلويث وجه الخصم بالبصاق، أما سمعت ما قاله الشيخ أبو حامد الغزالي لما رأى حالهم وخبر محالهم:**

يا طالب العلم من كتاب ومن معيد ومن مفهم
بدون هذا ترى فقيها فوسع الثوب ثم عمم
والبس من الثوب طيلسانا واعقده في المنكبين وانظم
واقعد مع القوم في جلال لا بالبخاري و لا بمسلم
إلا صياحا ونقض كم وعقد لا لا وجمع لم لم [1]

ومن أبلغ وصف الوهراني الساخرو الفاضح لفقهاء عصره ما كتبه إلى الشيخ **ابن الحليم الواعظ** [2] بدمشق، في رجل فقيه يدعي نفسه من أئمة الشرع، وهو مثال صادق عن درجة النفاق والكذب التي وصل إليها الأئمة والفقهاء في عهد الوهراني .

1-منامات الوهراني،مصدر سابق ص 100-101 .

2- **الحليمي**(484 - 567 هـ = 1091 - 1171 م) محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحليمي، ويقال **ابن حليم**، العراقي، أبو المظفر: واعظ من فقهاء الحنفية.نشأ ببغداد، وسكن دمشق فبنيت له مدرسة فيها، وأقبل عليه الناس.وتوفي بها ،من كتبه (تفسير القرآن) و (شرح المقامات الحريرية) و (شرح شهاب الاخبار) للقضاعي، في الحديث.وله نظم.قال بعض مترجميه: كان فسلا في دينه خليعا كذابا !. انظر قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي ج6 ص 31 .

يقول الوهراني عنه: **((ما تقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم وأرضاهم في رجل يرى أنه من أئمة الشرع ومن أرباب الأصل و الفرع، ويعتقد أن له الدرجة المنيفة في مذهب أبي حنيفة))**، ثم يقول: **((... ذلك أنه يبيح الفروج بفروج ...ويستحل سفك الدماء على البيض الدمى، ويأخذ بأرخص الأقوال في استباحة الأموال .... إن ولى المدارس، صير العلم كالطلل الدارس، وإن دخل الجامع، صافع فيه وجامع، وإن سكن المساجد، طلب الرقص والشاهد، وإن صعد للوعظ على الأعواد، حث الحرم على الوفاء بالميعاد، ومزج لهم الهزل بالجد، فأخرجهم في الحال إلى البد،ثم إنه لركاكة دينه، وضعف يقينه، يصلي قاعدا من غير ألم، ويبول قائما على فرد قدم، وتراه يسهر على النمام والورد، وينام عن ليلة القدر، يستحل بيع القبلة بقبلة، ومكة بصكة، ولا يشتري حجة بعجة، ولا عمرة بتمرة، قد أخرج مال الفتوح والصدقات، في وزن المهور والصدقات))**. [1]

ومن كلام الوهراني الساخر من مشاهيرفقهاء و علماء عصره كابن الصابوني والفقيه الشافعي محمد بن الموفق الخبوشاني و الفقيه الشافعي بهاء الدين يوسف بن شداد قوله **:((... عشرة أشياء من أبواب البر تسخط الله وترضي الشيطان ، وهي انقطاع ابن الصابوني** [2] **إلى الله عز وجل في القرافة ، وتعصب الخبوشاني لقبر الشافعي ،وتنقل القاضي قبل صلاة الجمعة وبعدها ، وظهور سجادة في هذه الأيام على وجه السديد الطبيب للتراويح في شهر رمضان ، وبكاء الفقيه البهاء على المنبر يوم الجمعة ، وقراءة الوهراني السبع في صبيحة كل يوم ، وسماع ابن عثمان لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في جمعة واحدة وإقراؤه لذلك على رؤوس الأشهاد ، وحضور ابن مماتى لمجالس الوعظ في القرافة ، وبكاؤه عند قراءة القران، وإنكار أبي عبد الله البغدادي على المزارين خاصة ، ولا يلتفت إلى غيره من الذنوب ، وبنيان ابن ابي الحجاج لقبر آسية، وترتيب القراء في كل جمعة فيه ، ذكروا أن هذه الأعمال الصالحة لا يعبأ الله بها،وهي احب إلى إبليس من كبار الذنوب..))** . [3]

و قد تضمن منام الوهراني الكبير الكثير من السخريات و التهكمات الشديدة الاثر من العلماء و الفقهاء المشهورين في العهد الايوبي و لعل من ابرزهم القاضي و الفقيه الشافعي **كمال الدين الشهرزوري** ، و **الفقيه الشافعي ابن ابي عصرون** ، والشيخ الإمام، كبير الشافعية **مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك الواسطي .** [4]

حيث يصور الوهراني بطريقة كاريكاتورية مضحكة ثقل و كثرة صحائف اعمال القاضي الشهرزوري عند عرض الملائكة لها بين يدي الله سبحانه و تعالى ،و تملصهم من حسابها

1- منامات الوهراني،مصدرسابق ص 130-131 ./ شرح الكلمات: **عُجَّةُ** : طَعَامٌ يُتَّخذ من بيض، يُضرَب ويُقلَى بالسمن أو الزيت .

2- **ابن الصابوني** أبو الفتح محمود بن أحمد بن علي المحمودي الجعفري ابن الصابوني نسب إلى جد والدته شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني الصوفي المقرئ ، وكان يسكن بالجعفرية ببغداد، فنسب إليها ولد سنة خمسمائة تقريبا قدم أبو الفتح فزاره نور الدين زنكي ، وسأله الإقامة بدمشق، فقال: قصدي زيارة ضريح الشافعي، فجهزه سنة بضع وستين، في صحبة الأمير نجم الدين أيوب، وصار صديقا له ، فكان ولداه السلطانان صلاح الدين وسيف الدين يحترمان أبا الفتح ، ويرعيانه وبعث الشيخ عمر الملاء زاهد الموصل إلى أبي الفتح هذا يطلب منه الدعاء مات في شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة انظر سير اعلام النبلاء للذهبي جزء 21 ص 163-164 .

3- منامات الوهراني،مصدر سابق ص 232-233 .

4- **المجير** : العلامة ، الأصولي ، كبير الشافعية مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك بن علي بن المبارك ، الواسطي ، ثم البغدادي . ولد سنة 517هـ ،قدم دمشق ، فدرس ، وناظر ، وتخرج به الأصحاب ، ثم سار إلى شيراز ، فدرس بها ، وبعسكر مكرم ، وواسط ، ثم درس بالنظامية ببغداد ، وخلع عليه بطرحة ، ثم بعث رسولا إلى همذان ، فأدركه الأجل قال ابن الدبيثي برع في الفقه حتى صار أوحد زمانه ، وتفرد بمعرفة الأصول ، قرأت عليه وما رأيت أجمع لفنون العلم منه ، مع حسن العبارة . نفذ رسولا إلى خوارزمشاه ، فمات في طريقه بهمذان في ذي القعدة سنة 592هـ انظر سير اعلام النبلاء للذهبي جزء 21 ص 255-256 .

لضخامة ما فيها من التخليط ،وان الشهرزوري يحتاج الى يوم قيامة كامل يحاسب فيه لوحده، فيقوم الله عز وجل باسناد محاسبته الى الملاك جبريل عليه السلام الذي شفع فيه، فامر الله عز وجل بوضع الشهرزوري بين الجنة و النار، يقول الوهراني في ذلك :

((....فقلت لك: وأي شيء لكمال الدين أيضا من هذا الأمر في هذا اليوم، أتبعتنا أحكامه إلى هذا المكان ؟

فتقول: نعم، عرضوا اليوم صحائف أعماله بين يدي الحق سبحانه، وهي شيء عظيم مثل جبلي سنير و لبنان. فقالت الملائكة: أيْ رب !!، أشغالنا كثيرة في هذا اليوم، وقد جاء هذا الرجل بتخليط عظيم، وقد سبقه أمم من الناس وهو يريد يوم قيامة وحده، ولا يحاسب فيه سواه، وموازين برسمه لا يشركه فيها غيره ، فيقول الباري جلت قدرته: (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) [1] **، سلموه إلى الروح الأمين.. !!**

فيقول جبريل عليه السلام: هذا شيخ من شيوخ الإسلام، ومن عظماء أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وله من أعمال البر ما يُوَفي عنه مظالمَ العباد، أوقفوا أمره وصلوا عليه بالمطالبات، فدخل في زمرة الروح الأمين فما لأحد عليه من سبيل، فتغاضى الحق سبحانه عنه بكرمه ، وأوقفه بين الجنة والنار، وهو يحضر المقام المشهود، في كل يوم يعمل فيها دهليزات يتمم فيها كل ما يريد،وقد قدم لابن عصرون مقدمات ردية ما أظنه من شرها بنـــاج....)) . [2]

و لعل ابلغ سخرية للوهراني في منامه الكبير سخريته من غفران ذنوب الشيخ الفقيه الشافعي **مجير الدين الواسطي** و الطبيب مهذب الدين بن النقاش و رقص مجرمي الامة الكبار فرحا لمغفرتهما طمعا في رحمة الله عز وجل،و يصور الوهراني ذلك رفقة صديقه الحافظ العليمي في ارض المحشرفيقول: **((...وبينا أنا أجاذبه عليها ويجاذبني إذا بضجة عظيمة من جنب المحشر والناس يهرعون نحوها مستبشرين، فملنا جميعا نحوها وإذا بحلقة فسيحة عليها من الأمم ما لايحصى، كلهم يصفقون ويزهزهون، وأربعة في وسطهم يرقصون ويلعبون إلى أن تعبوا و وقعوا إلى الأرض لا ينفسون، فسألنا بعض أولائك الحاضرين عن ذلك الفرح، وعن الأربعة الذين يرقصون فقال: أما الثلاثة فعبد الرحمان بن ملجم المرادي، والشمر بن ذي الجوشن الضبابي، والحجاج بن يوسف الثقفي، والشيخ الكبير أبو مرة إبليس فجار الخلائق، وهم مجرمو هذه الأمة ، وأما الفرح الذي ألهاهم عن توقع العقاب حتى استفزهم السرور ورقصهم الطرب مع ما كانوا عليه من رجاحة العقول ونزاهة النفوس وثبات الجأش فهو الطمع في رحمة الله تعالى بعد اليأس منها لعلمهم بما اجترحوا من العظائم. وإنما قوى أطماعهم كون الباري ـ جلت قدرته ـ غفر اليوم للفقيه المجير والمهذب النقاش ، فخذوا ـ رحمكم الله – بحظكم من هذه البشرى والفرح والسرور.**

فقلت له : وأي شيء ينالنا نحن من خلاص هذين الرجلين ومن فوزهما بالنجاة والرضوان، ونحن إلى الحزن أقرب منا إلى السرور فقال: أليس تعلمون أنه لم يولد في الإسلام مولود قط أرق دينا من هذين الرجلين، ولا أقل خيرا منهما، وإذا غفر لهما فما عسى أن تكون ذنوب

1- **" مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "** (سورة لقمان آية 28) .

2- منامات الوهراني،المرجع السابق ص 27-28 . / **شرح الكلمات** : **سنير و لبنان** : جبلان في الشام

الحجاج وأصحابه في جنب ذنوب هذين، أن يكون ذلك إلا كالشعرة البيضاء في الثوب الأسود....)). [1]

و لم تقف السخرية و الاستهزاء المثير للضحك عند الوهراني عند فقهاء عصره ، و انما وصلت السخرية الى درجة الاستهزاء من احصاء الملائكة الكرام الكاتبين للحسنات و السيئات، و اختلافهم فيها ، كما حدث في حساب و صلاة و صدقات الطبيب مهذب الدين بن النقاش ، الذي كان الوهراني يدين له في الدنيا بعشرة دنانير ، فطلب من الملائكة وفاء الدين من حسناته ، و لما كانت حسناته قليلة اقترح عليهم طرح سيئاته على سيئاته، فاجابت الملائكة ان الرجل مغفور له ،ثم طلب الوهراني اقطاعه في الجنة ارضا بقيمة ذلك الدين فاجابته الملائكة ان ذلك من سلطة الحق سبحانه و تعالى و ليس من سلطتها يقول الوهراني في ذلك :

((...قلت: فما فعلت صدقاته؟ ، فقالوا: يتكلم بالهذيان في هذا المقام، ما أنت غريب من هذا الرجل ولا أنت جاهل به، جميع ما وجد في صحيفة حسناته خمس قراطيس صدقة بيدك لابن الجليس الجيروني، وهم فيها على قولين: لأن ملك الشمال قال: هي تشريح، وقال ملك اليمين: اسم الصدقة عليها مكتوب، وهي موقوفة إلى الآن .

قلت: فصلاته أي شيء فعل الله بها؟ قد كان يصلي المغرب في بعض الليالي إذا أقامت بغتة وهو في وسط الجامع ؟.

فقالوا: ووجدوا له ثمانين صلاة في ستين سنة؛ منها ثلاثون بغير وضوء، والخمسون مثبتة له خذها بارك الله لك في جميعها باثنتين وخمسين قرطيا، كل صلاة بستة فلوس.

قلت لهم: فلم يبق إذا إلا أن أحط من سيئاتي على سيئاته بقيمة عشرة دنانير.

فيقول لي ذلك الملك المهيب بحمية وغضب: الرجل مغفور له لا تناط به السيئات.

فقلت له: ياسيدي، فادفعوا لي في الجنة بالعشرة دنانير موضعا صغيرا بقدر إقطاع سعد الدولة الحموي في البشمور، فيقول الملك: ما هذا إلينا، هذا إلى الحق سبحانه، وهو الجواد الكريم؛ وأنت إما تحالله من دينك بطيبة من قلبك، وإلا فاضرب برأسك الحيطان....)) [2]

- **<u>03/ السخرية من يوم القيامة وملائكته:</u>**

كان الوهراني صاحب قلم متحرر في الكتابة الادبية الساخرة، يتنافى و يتقاطع مع القداسة الدينية التي يفترض أن تحيط بموضوع العالم الآخر المقدس أصلا، فلم يأبه بالمحظور الديني، و راح يضمن في منامه الخيالي الآيات القرآنية،و يسخرمن احداث اليوم الاخرو المحشر والملائكة والخزنة ، ويزج باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، في مواقف وسياقات قد تتجاوز حدود اللياقة، بل وتنضح احيانا بالخلاعة والمجون .

1- منامات الوهراني،مصدر سابق ص 35-36-37 و مجرموا الامة هم : عبدالرحمن بن ملجم قاتل الخليفة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، و الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، و الحجاج بن يوسف الثقافي الذي عرف بجرائمه في عهد الامويين و ابليس فجار الخلائق .

2- المصدر نفسه ص 39-40 . **شرح الكلمات** : **البشمور**: إحدى القرى المصرية .

و لعل من ابرز تصويراته المخيفة و المضحكة في نفس الوقت ، تصويره الساخرلهول القيامة و المحشر و ارتعاد الميزان ، و وصفه الساخر للملك مالك خازن جهنم و عينيه المبحلقتين و سلسلته المخيفة، يقول عن ذلك خلال حديثه لرفيقه في المنام الحافظ العليمي:

((... فقلت لك: ياكافر القلب، أما ترتدع؟ أما ترعوي؟ أما ترى السماوات تنفطر مثل فطاير المزة في الكوانين؟ أما ترى الملائكة منحدرة من السماء إلى الأرض زرافات ووحدانا؟ أما ترى الميزان يرتعد بما فيه مثل المحموم إذا أخذه النافض البلغمي يوم البحران ؟ ! أما ترى الصراط يرقص بمن عليه؟ !رقص القلوص براكب مستعجل ، أما ترى مالك خازن جهنم قد خرج من النار مُبحلق العينين في يده اليمنى مصطيجة، وفي يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن، وهو يدور في الموقف على اللاطة والقوادين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن متهمون بهذه الخلال الميشومة ؟....))[1]

و الملحة الأطرف في منامه تلك المتعلقة بلقائه بالملك" **مالك خازن جهنم**" و كيف حاول الوهراني ملاطفته و مناداته و تدليعه بترخيم و اختصار اسمه من **مالك** الى "**مال**" يقول في ذلك :**((... فبينا نحن في المحاورة وإذا نحن بمالك خازن النار قد هجم علينا وقبض على أيدينا ، و رمى السلسلة في أرقابنا وسحبنا إلى النار فارتعنا إلى ذلك ارتياعا عظيما ،وقلت لك: هذا الذي خوفتك منه قد وقعنا فيه، فقلتَ له : يـا مـال، اسمع مني كلمتين لوجه الله تعالى ، فيقول لك: كيف أسمع منك وقد حذفت ربع اسمي في النداء؟ ، فتقول: والله ما حذفته للترخيم في النداء الجائز عند جميع النحاة، وإني لفي شغل عن ذلك، وما حذفته إلا من شدة الهلع وانقطاع مادة الكلام ...)).**[2]

و من ملح و نوادر الوهراني الساخرة سخريته من ملك الموت **عزرائيل** ،حيث جعله في منامه الخيالي من المتشفعين و المهتمين بالأطباء لأنهم كانوا يسهلون عمله حين يقوم باختطاف أرواح الناس في هجاء مبطن لأطباء عصره ، يقول في ذلك اثناء سخطه من رفض الملائكة تعويض دينه الذي يدينه للطبيب المهذب بن النقاش،و حديثهم له بغفران ذنوبه **((.. فأهج على رأسي وأعدو ملء فروجي، وأصيح بجميع حلقي دعوة مظلوم: ياكريم ! فلحقتموني أنتم وأدركتموني وقلتم لي:أنت مجنون، تدري لمن تخاطب؟ !فقلت:- لا فقلتم:هذا عزرائيل ملك الموت، وهو يعنى بالمهذب عناية عظيمة، وهو الذي شفع فيه وخلصه من العذاب المقيم. فقلت لكم: من أين هذه المعرفة والمحبة بين المهذب وعزرائيل؟**

فقال لي أبو المجد بن أبي الحكم: من جهة الطب، أما علمت أن المهذب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا؛ ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال، وأراح ملك الموت من التردد إليه وشم الروائح المنتنة والنظر إلى شخصه المزعج، وخلصه من الانتظار الطويل. فهو يرعاه لأجل هذا ويحبه من ذلك الزمان(.....) فقلت لي: قم وارجع إلى

1- منامات الوهراني، مصدر سابق ص 26 . / **شرح الكلمات** : **يوم البحران** : اليوم الذي يحدث فيه التغير في حالة المريض من الامراض الحارة ، **مصطيجة** : كلمة من خيال الوهراني يقصد بها عصا و ربما أصل الكلمة **مصطيخة** وهي كلمة يونانية . **الميشومة** : كلمة عامية بمعنى المنحوسة و سيئة الطالع .

2 - المصدر نفسه ص 29 .

الملك وقبل يده، وقل له: قد تركت هذا المقدار لأجلك فافعل بمروءتك ما تريد ، فقالت الجماعة كلها: هذا هو الصواب، انهض على بركة الله ، فقمت معهم إلى الملك، وحاللت الرجل من الذي كان لي عليه، ففرح بذلك عزرائيل وقال:- ما أقدر لك اليوم على مكافأة إلا أني أبشرك أنك تعيش في الدنيا بعد المهذب عشر سنين، لكل دينار سنة ،فسررت بذلك ورضيت به، وقمت وأنا له من الشاكرين.)) [1]

- **03/ السخرية من المساجد و المشاهد :**

و قد ظهرت هذه السخرية في مقامة الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق ،التي بناها على هذا الشكل لتأتي متطابقة مع حقيقته الشخصية،و حياته في المشرق التي كانت شديدة الصلة بالمساجد والمشاهد والأضرحة ، ملاذه الأول في مرحلة الضياع والتشرد وفي مرحلة الانتعاش والاستقرار، الى ان انتبه بعض الفضلاء إلى علمه وفقهه، فأسندوا إليه الخطابة في مسجد صغير بقرية (**داريا**)، وهي ضاحية من ضواحي دمشق المدينة التاريخية الشهيرة.
وقد ساءه حاله كما ساءه حالها، وكانت غربته جزء من غربتها عندما آل أمرها هي الأخرى إلى الإهمال والضياع،إنه مظهر من مظاهر توحد الفقيه العربي عامة والمغربي خاصة بالأماكن المقدسة في جغرافية العالم الإسلامي، ولطالما كانت تلك المساجد وتلك المشاهد والأضرحة الملاذ الأخير لكثير من المنبوذين والمثقفين والمهمشين في تاريخنا القديم، فهل كانت رسالة الوهراني هذه نوعا من الوفاء بحقها تجاهه عندما رعته وآوته، في الوقت الذي تحاماه الناس وجفوه وأقصوه ؟؟!!

وقد أسند الوهراني البطولة في مقامته المسجدية بطريقة رمزية إلى جامع (**جلق**) وهو جامع بني أمية الكبير في دمشق، وتحت سلطته تنضوي بقية مساجد دمشق ومشاهدها وأضرحتها.
وقد اجتمعت كلها عند هذا المسجد الجامع الذي كان لها بمثابة الملك، للمشاورة والمحاورة، وليدلي كل طرف بشهادته، في أداء خطابي، وبطريقة تناوبية وتراتبية، على سوء أحواله وضياع حقوقه، ثم بعد ذلك تتوحد كلمة المسجد الجامع مع من تحته من الأضرحة والمشاهد في خطاب واحد شاهد على لسان حالها، ثم يرسل إلى القيم على شؤونها، وهو سعد بن أبي عصرون، لعله ينظر في أمرها ويصلح ما اختل من بنائها.
وعندما فوجئت المساجد برد ابن عصرون المخيب لآمالها اضطرت إلى رفع أمرها إلى الملك العادل نورالدين محمود زنكي الأتابكي، وعندها فقط يأتي الفرج على يد هذا الملك العادل الذي سيرفع عنها ما كان قد حل بها من إهمال ونهب لحقوقها وأوقافها، وليعزل ابن عصرون الذي اتهمه الوهراني بتعطيل مصالحها. [2]
و قد برزت سخرية الوهراني المضحكة من مظهر خراب مساجد و مشاهد دمشق التاريخية

---

1 - منامات الوهراني ص 40-41 .
2-ينظر عبداللطيف المصدق ،رسالة مقامية هزلية لركن الدين الوهراني المغربي، مدونة عبداللطيف المصدق **ادب و نقد** على الانترنت الرابط : http://adabwanaqd.blogspot.com

في وصفه الساخر على لساني جامع المزة و مشهد برزة ،يقول في ذلك : ((**..فابتدأ جامع (المُزة) المقال، وتقدم بين يدي الملك وقال:الحمد لله الذي قضى علينا بالخراب، وصير أموالنا كالسراب، وجعلنا مأوى البوم والغراب، أحمده حمد من كان فقيرا ثم استغنى، وأدرك بمال الوقوف ما تمنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده المكين، ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأكرمين.**

أما بعد: أيها الملك السعيد، ثبت الله قواعد أركانك، وشيد ما وهي من بنيانك، فإن الخراب قد استولى على المساجد، حتى خلت من الركع والساجد، فأصبحت مساجد (الغوطة) غيطان لا سقوف لها ولا حيطان، وجوامع (حوران) مخازن وأفران، ومشاهد(البقاع) صعصعا كالقاع، فكم بِنْيَةٍ لعب الجور بأثوابها، فنسج العنكبوت على بابها، وكم بيوت لله غلقت دون أصحابها، فعشعش الحمام في محرابها(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها.... [1] [2] .

ثم اتى الوهراني على ذكر حال المشاهد الدينية التاريخية القديمة بما يبعث على السخرية و الضحك و التهكم فقال في مقامته : ((**...فقال الملك: قد سمعنا كلام المساجد، فما بال المشاهد ؟ !! ، فبرز مشهد (برزة) متوكئا على مشهد (الأرزة)، وهو يصلصل ويصول، ويلطم وجهه ويقول :**

كلما حاولت أشكو قصتـي لا ألقى غير ذي قلب جريح
يتشكى مثل شكوى مِحنتي يالَقومي ما عليها مُستريـح

أما بعد، أيها الملك السعيد، أدام الله جمالك، وبلغك في عدوك آمالك، فإن مقام (إبراهيم) أصبح في كل واد يهيم، ومغارة (الدم) لا تستفيق من الذم، ومشهد (الكهف) لا يفتر من اللهف، ومشهد (هابيل) قد رمي بطير أبابيل، ومشهد (شيث) قد استأصله الخبيث، ومشهد (نوح) نبكي عليه وننوح، وقبر(جيلة) ما لنا فيه حيلة، وقبر (إلياس) قد وقع منه اليأس، فلحقت المشاهد بأربابها، وأمست رميما كأصحابها، قد محتها الغوادي، وحدا بها الحادي:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعـــاد [3]

---

1 - ((**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**.)) الاية رقم 114 سورة البقرة .

2- منامات الوهراني، ص 63-64 ./ **شرح الكلمات**: **الغوطة** و **حوران** و **بقاع الكلب** كلها اسماء مواضع في دمشق .

3- المرجع نفسه ص 64-65 ./ **شرح الكلمات**: **مقام ابراهيم :** يقع في سفح جبل قاسيون في منطقة برزة عبارة عن مسجد مصغر في داخله مغارة ضيقة وعميقة، يقال أن النبي إبراهيم الخليل اختبأ فيها أشهرا وهو في طريقه من سوريا إلى فلسطين / **مغارة الدم :** تقع في جبل قاسيون يروى ان قابيل قتل فيها اخاه هابيل ، **مشهد الكهف:** مسجد اهل الكهف في جبل مغاير شداد **مشهد هابيل :** يقع في اعالي الجبال القريبة من دمشق في سوريا و هو مدفن ومقام هابيل ، **مشهد شيث :** قبر النبي شيث بن ادم عليه السلام يقع في قرية بني شيت القريبة لبقاع الكلب **مشهد نوح :** فيه قبر نوح عليه السلام و يقع في كرك نوح شرق زحلة ، **قبر الياس عليه السلام** : يقع في قرية قب لياس جنوبي غربي شتورة .

المطلب الثالث : السخريـــــة الأدبية

لم يكن ابن محرز الوهراني في جميع سخرياته ناقدا اجتماعيا و سياسيا فحسب، و انما كان الى جانب ذلك ناقدا ادبيا بامتياز، له اسلوبه المتميز و اراؤه الخاصة في نقد الانشاء والكتاب و الشعراء المعروفين في عهده ، يدل على ذلك ما يحتويه ادبه من أشعار وحكم وأمثال كثيرة تعبر عن معرفة و المام واسع و دقيق بخفايا وبقضايا اللغة والأدب والنقد .

- **01/ نقد الكتابة و الكتاب :**

قد تأثر الوهراني بعصره الايوبي و عمل في مصر لسنوات عند الاثير بن بنان في دواوين الكتابة و الانشاء من اجل الكسب والرزق والشهرة والوزارة والقرب من الامراء و السلطان .
و قد كانت معظم الكتابات الديوانية، والرسائل الإخوانية، والمقامات الأدبية، والخطب المنبرية، مطبوعة بطابع العصر الذي كتبت فيه، حاملة لسماته وصفاته،من كلفة وتصنع ومبالغة في اصطياد المحسنات البديعية على حساب المعنى .
و قد انتقد الوهراني هذه الطريقة المتبعة في دواوين الانشاء عن طريق انتقاد سلفها الاكبر الكاتب العباسي **ابن العميد (ت360هـ)**، الذي اتهمه الوهراني بالاغراق في التصوير والتلوين والتطريز بالتزامه السجع والبديع والجنوح إلى الزخرفة اللفظية والتأنق في الكتابة، فهو على الرغم من تربعه على عرش الكتابة والإنشاء قديما، و مضرب المثل به في البلاغة، فإنه لم يسلم من شر لسان الوهراني فذكره صريحا في منامه وعاب أسلوبه في الكتابة والإنشاء على لسان شعراء عصره و أدبائه، فثمة إشارة في أحد مشاهد منامه إلى رقعة منمقة كتبها ابن العميد وقد قرأ فيها شاعر الشام المشهور أبو الحسن بن منير الطرابلسي وقال فيها: **((هذه رقعة رجل دهان عارف بجل الأصباغ وإنزال الذهب، لكنه جاهل بصناعة الكتابة ظاهر التكلف فيها، يريد أن يتمم نقص الصناعة ويستر عوراتها بالألوان المشرقة والأوراق المصبغة والتذهيب الرائق المليح، ومع هذا فلا يجوز أن يكاتب بمثل هذه الرقاع إلا القيان المعشوقات، و الظراف المساحقات، كن عاقلا و ردها على صاحبها قبل ان تلطم على باب الجنة عشرة الاف زربول)).** [1]
ولا يكتفي بهذا الحكم المجحف بل نراه يستطرد بعد هذا في نقده كتابات ابن العميد و ذكر عيوبها فيستدعي شاعرا آخرا وهو **طلائع ابن رزيك** الملقب الصالح وزير مصر ويقول:
((هذا طلائع بن رزيك مع سخافة عقله وسكره من خمر الولاية قال يوما في مجلسه لما عرض عليه الشيزري قصائد الشعراء ورقاع المكدين من أهل الشام وفي جملتها لابن العميد فيها سطر مكتوب بالأخضر اليانع، وسطر بالأصفر الفاقع، وسطر بالأبيض الناصح، وسطر بالذهب الخالص في الورق الأحمر القاني مطرزا الجوانب بالذهب الإبريز:
ـ من صاحب هذه الرقعة يا زكي؟
فقال: رجل من رؤساء دمشق ومقدميهم، أحذق الناس بالتزويق في الأوراق، والتصحيف للألفاظ، ومعرفة أصناف الفواكه و الثمار.
فقال له ابن رزيك: ما أدري ما تقول، غير أنك سلبت هذا المذكور فضل الفضلاء، ونسبته إلى الفلاحة والرعونة والمجون، ومع هذا فهي رقعة رجل مهين، وتدل على جهل قائلها

1- منامات الوهراني، ص 33 .

ومهانته، ألا ترى أن الناس توصلوا إلينا بالفضل و البلاغة، وتوصل هذا الرجل بلعب البنات وزخارف الصبيان، لو كتب هذا الكلام الذي في رقعته على فخذ خروف سمين وألقي على الطريق لأنفت من أكله الكلاب ثم ناولها لبعض الفراشين و قال: ادفعها لجارك الفقاعي يلصقها على عتبة باب دكانه يستجلب بها الزبون)). 1

ولعل هناك دوافع شخصية تكمن وراء انتقاده اللاذع واعتراضه بطريقته الساخرة التهكمية على أسلوب ابن العميد واتهامه إياه بالجهل والتكلف، فلا نستغرب منه هذا القول ولا سيما إذا عرفنا كساد بضاعته الأدبية إزاء بضاعة ابن العميد والقاضي الفاضل والعماد الأصفهاني الرائجة وعدم استطاعته منافستهم، لأنه لم يكن من طبقتهم فلا تلقى سلعته مع وجودهم رواجا وقد ألمح إلى ذلك قديما صاحب الوافي بالوفيات حين قال في ترجمته عن الوهراني: **((قدم من المغرب إلى مصر وهو يدعي الإنشاء فرأى الفاضل والعماد وتلك الحلبة فعلم أنه ليس من طبقتهم)).**

- **02/ نقد الشعــر و الشعــراء** :

انتقد الوهراني في رسائله و مقاماته وضعية الشعر في العصر الايوبي، و حكم عليها بكثرة الكساد و الفساد خاصة عند ظهور كثير من المتأدبين و المعلمين الركيكين في اشعارهم .

و قد اشار الوهراني الى ذلك في رسالته الى القاضي الفاضل التي يصف فيها نفسه و وصوله الى القاهرة بمصر ، و اجتماعه بأحد اصحابه العلماء الذين سأله عن أسعار الاشعار بها فأخبره بكسادها و فسادها ، وعزوف الامراء عن سماعها ،و وصف له الشعراء بالحراف و الانحراف ، وفي وصفه لحال الشعرقال:**((.. كل كلام مسجوع، لا يسمن ولا يغني من جوع، وصاحب القصيد، كالباسط ذراعيه بالوصيد، وما عند الأمراء، أخس من ذقون الشعراء، فلو بشر أحدهم بشار، وهنأه ابن هاني، وقصده أبو العلاء، ونزل به صريع الدلاء، ومدحه الدؤلي بداليته، والطائي بطائيته، والواوا بواويته، لما أجازه على ذلك بجوزة، ولا أثابه على ذلك بثوب خليع، ورد أمس الذاهب أهون عليه من أخذ ذهبه، وخلع الأكتاف أهون عليه من خلعه، وحنوط الغاسل أقرب من حنطته، والشعري العبور أقرب من شعيره، وقرط مارية أسهل من قرطه، والتين عنده مثل التبر، يعلم عليه بالمداد والحبر، ويقيس بالشبرفليس لابن سبيل على ماله سبيل...)) .** 2

و ينصح الوهراني بطريقة مضحكة ساخرة احد المتأدبين الشاميين الواصلين الى مصر المريضين بالركة و الفتور في اشعارهم بالحمية و الامتناع عن قول الشعر و مدح امراء مصر لكساد الشعر، يقول في ذلك :**((.. وعرفه أن جيد الشاعر كاسد ، الرديء منه يردى بقائله ، ولا يحصل منه إلا على الحرمان بعد التعب الشديد ، فأمسك الرجل عن القول وأحجم عن الإقدام ، فاحتقنت في جسمه تلك الفضلات التي أراد أن يقذفها في سبال الممدوحين ، فأصابه منها داء يقال له إيلاوس وهو القولنج المستعاذ منه، فأشرف على الهلاك ، فعاتب الخادم على نصيحته...))** 3 ، ثم استأنف قائلا : **((.. وتعصبت له جماعة من المتأدبين فأنزلوه عند أبخلهم ، وأكثروا عليه في إلزامه بالحمية..))** 4 ،فاخذته الجماعة الى هذا البخيل الذي الزمه

1- منامات الوهراني، ص 33-34 -35.

2- المصدر نفسه ص 115 .

3- المصدر نفسه ص 72 . / **شرح الكلمات : القُولَنْجُ** : مرضٌ مِعَويّ مؤلمٌ يصعب معه خروج الِبراز والريح ، وسببه التهاب القولون.

4- المصدر نفسه ص 73 .

الحمية، فلم يقدر المتأدب الشامي عليها فصرخ قائلا في وجه هذا البخيل الذي يعالجه:((**أنا بالله وبمنكر ونكير، أنا عبد لمالك خازن الجحيم، يا قوم ارموني على المزابل ، وادفنوني بالحياة ولا تتركوني عند هذا الكافر اللئيم...))** 1 ، ثم نصحه البخيل قائلا :**((.. الزم الحمية فإنها من الحمية ، واعلم أن الطبيب لا يداويك بشعر حبيب ،ولا يأخذ منك في العقار الطيب مذهبات شعر أبي الطيب ، ولو أنك المعري عراك من ثيابك ، وزهد في ثوابك ، ولا يعطيك المعجون بالمجون ولا الشراب بالضراب ولا المحمودة بالحمد ولا السكر بالشكر ، ولا يأخذ في هذه العروض مستفعلات العروض ، ولا يسهل لك مجالس النحو بمعرفتك بالنحو والهجو ، فلو أن الحرارة الغريزية أمك تؤمل أن تورثك قوى الاستقصات الأربع لما أمهلتك أكثر من أسبوع اللهم إلا أن تتعلق بالفاضل من أذيال القاضي الفاضل ، وتسأله أن يزكيك عند أصحاب الزكاة ليعود عليك من بركاته ويسعدك بحركاته ، فربما توقف أمرك وطال بسعادته عمرك..))** 2

و لعل ابلغ سخريات الوهراني من شعراء عصره ، ما كتبه من نقد شديد ممزوج بالخلاعة و المجون والفكاهة في رسائله الى صديقه الطبيب الاديب الشاعر**ابواليمن تاج الدين زيد بن سعيد الحميري الكندي(520هـ/613هـ)** ،حيث ينعي عليه في رقعته استعمال لفظة **"ما تفتأ "** ، و التي حكم الوهراني عليها بثقل الحركة و قلة الاستعمال، يقول في ذلك:**((.. في أول لفظة فيه وهي قوله: "ما تفتأ" فإنها وإن كانت فصيحة عربية نطق بها الكتاب العزيز، فإنها ثقيلة الحركة قليلة الاستعمال، لم يأت له بعدها من وحشي اللفظ ما يناسبها، كأنها من حديث سكان نجد وتهامة ،عليها روايح الشيح والقيصوم، فلو أن الشنفرى يخاطب عمرو بن براق بها ما فهمها إلا بعد جهد، ألا ترى أنها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منها الفك؟ مع ما فيها من التدقنصرم، والرقاعة المعجونة بالتبضرم، فلأجل ذلك جاوبتها الألسن بألوان من الضراط...)).** 3

ثم يتهكم الوهراني في نفس الرسالة على النسب و الاصل الكندي الحضرمي لصديقه **تاج الدين** ، بتهكمه على ابني عمه الشاعرين الكبيرين امرئ القيس الكندي و ابى الطيب المتنبي الجعفي الكندي ، يقول في امرئ القيس متهكما:**((.. وكيف يجوز للوهراني أن يطلب بقيارا جديدا من رجل بغدادي الحسب، تاجر المكسب، شاعر المذهب، كندي الأصل، والنسب، وهذه الخلال لم تجتمع في كريم قط ؟ ألا ترى أن أكثر من اجتمع فيه ، أكثرها ملك كندة امرؤ القيس بن حجر، وهو القائل يوم دارة جلجل لما نحر ناقة تساوي ثلاثة دنانير لنساء فيهن محبوبته:**

ويوم عقرت للعذاري مطيتي فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذاري يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

فلو كانت محبوبته عاقلة لشخمت وجوه العذاري بلحمها ...)) . 4

ثم يقول في ابي الطيب المتنبي ساخرا من شدة حرصه على المال:**((..وهذا أبو الطيب المتنبي، شاعر مفلق، كندي، لما أفرغت بين يديه جائزة القصيدة المشهورة وأمر بردها إلى كيسها، تعلقت قطعة منها بخلال الحصير فجعل يعالجها وينشد:**

1- منامات الوهراني، ص 73 .

2- المصدر نفسه ص 74 ./ **شرح الكلمات** : **المحمودة** :هي **السقمونيا** و هي عبارة عن اعشاب يستخرج من جذورها الراتينج المُسْهل.

3- المصدر نفسه ص 132-133 ./ **شرح الكلمات** : **القيصوم** : نبات طيب الرائحة موجود في البادية .

4- المصدر نفسه ص 136 ./ **شرح الكلمات** : **البقيار** : نوع من العمائم الكبيرة يلبسه الوزراء و الكتاب ،**هداب** : أطراف الثوب التي لم تنسج، **الدمقس** : الحرير، **المفتل** : المفتول

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولما خاف عتب الجماعة الحاضرين، قال: لا يحقروها فإنها تخضر المائدة، فكان عذره أقبح من ذنبه . 1

و لم تقف سخرية الوهراني من صديقه الاديب الشاعر تاج الدين الكندي عند هذا الحد بل وصلت الى حد الخلاعة والمجون في نقده لقصيدة ميمية من بحر الطويل للكندي، فخر فيها بنفسه كان مطلعها :

قدمتُ فلم أترك لذي قدمٍ حُكما كذلك عادي في العدى والندى قِدما

فيحكم الوهراني في البداية على قصيدة الكندي فيقول:**((...وأما دليله على قلة فضله ؛ فهو ما صدر منه في هذه القصيدة من الألفاظ اللغوية الغثة، والقوافي القلقة ، والمعاني الباردة التي تشهد بظلم حسه ورداءة طبعه ونحسه...))** 2

ثم يعلق على ركة عجزمطلع القصيدة: **"كذلك عادي في العدى والندى قِدما"** فيقول **:**

((..فانه في غاية الركة والفتور لدخول لفظة عادى فيه الذي ، لو ذكرها الحطيئة لصفع عليها بالنعال، ثم هذا الاتفاق النحس الذي وقع له في هذا القسم من تكرير حرف الدال في كل كلمة منه حتى كأنه قد بايع على ذلك برهن ثقيل ،ألا ترى أنه لا ينطق به اللسان حتى تصطك له الأسنان ؟ ، وقد قال ابن رشيق في العمدة : إنه من أكبرالعيوب في الشعر، ومع هذا كله فإن القسم الثاني لا يناسب القسم الأول ؛ لأنه لم يتقدم لنا في القصيدة ذكر قتل عدى ولا بذل ندى فيكون قوله :"كذلك عادى في العدى والندى قدما"، إذا تأملته لم تجد بينهما نسبة إلا شيئا ضعيفا يحتاج معه إلى الحضور في كل وقت ليبين ما أراده في ذلك للناس، وإنما كان يحسن الثاني لو قال في النصف الأول :" قدمت فأفنيت العدى والندى حزما" ....)) . 3

ثم يستأنف معلقا على مطلع القصيدة ساخرا من الكندي:**((جوابا لذلك ، ومع هذا فلا ينبغي أن يبتدئ بمثل هذا البدأة إلا مصعب بن الزبير أو يزيد بن المهلب ، أو قتيبة بن مسلم وعمر بن معدى كرب الذين جمعوا بين الشجاعة والكرم، وأما أنت إذا قلت هذا الكلام فما تجاوب إلا بمكاوي البيطار في اليافوخ والأصداغ....))** 4

و يمر الوهراني بعد ذلك للتعليق على البيت الثاني من القصيدة الذي قال فيه:

إذا وطىء الضرغام أرضاً تضايقت خطا وحشها عنه فيوسعُها هَزما

1- منامات الوهراني، ص 137 .
2- المصدر نفسه ص 223 .
3- المصدر نفسه ص 225 .
4- المصدر نفسه ص 225-226 ./ **شرح الكلمات** : **اليافوخ** : أَعْلَى الرَّأْسِ ، وَهُوَ مُلْتَقَى عَظْمِ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ

فيعلق عليه مستهزئا ضاحكا بنوع من المجون:**((.. فإنه وإن كان من الشعر الذي تمجه الأسماع وتشنؤه النفوس فما لـه عندي جواب ،إلا بالضراط المغربي الصلب، يصفى في جوف لحية قائلة من مكان قريب ...)) .** [1]

و يختم الوهراني تعليقاته على أبيات قصيدة التاج الكندي بالتعليق على البيت الثامن الذي قال فيه :

فما منصفٌ ممن ترقَّت به العلا يرى أنه من أخمصي فوقه وصما

فيعلق عليه قائلا بسخرية شديدة وصلت الى حد اختراع الكلمات الغريبة: **((..وهذا البيت والله من الشعر النحس ؛ الذي لو بقي في بطنه لأخذه القولنج ، زائدا على ما فيه من التدقنصرم ، والرعونة المعجونة بالتبضرم، والقحة والاستخفاف بلحية الممدوح...)) .** [2]

1- مناامات الوهراني، ص 226-227 .

2- المصدر نفسه ص 229 ./ **شرح الكلمات** : **وصم** : التنقص من القدر ، **التدقنصرم و التبضرم و القحة**: كلمات مشتقة من خيال الوهراني الساخر .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

المبحث الثاني : أساليب السخرية في أدب ابن محرز الوهراني

لكل أديب طريقته التي يسلكها للتعبير عن أفكاره و آرائه،و هي ما يسمى بالأسلوب ، فكل أديب أسلوبه في معالجته لأفكاره التي يريد طرحها .
يستخدم الأديب الساخر و سائل و أساليب متعددة في سخريته، تتداخل كل منها ، بحيث لا يمكن إحصاؤها أو عدها، وهي معرضة دائما لابتكار العقول المبتكرة بحيث لا يمكن للبلاغي حصرها في اصطلاحات ضيقة، فمثلها كحروف الهجاء في أية لغة من اللغات ، يمكن للإنسان اشتقاق آلاف من من الألفاظ منها ، و التعبير بها عن ألاف من الأحاسيس فتكون طيعة في يده و يستخدمها كيف يشاء.[1]

و يؤكد الدكتور الجزائري محمد بن قاسم ناصر بوحجام انه ليست هناك ضوابط تضبط أنواع الأساليب الساخرة ، او شكلها فالسخرية لا تخضع لمذهب معين ، و لا لانفعال معين، إنما هي خاضعة للحرية التي يمكننا بها ان تناول من أمور الحياة الخاصة و العامة ما نشاء بالأسلوب الذي نختاره.[2]

سنحاول في هذا المبحث تتبع و استكشاف و استقصاء أهم أساليب السخرية المميزة التي أفرزتها الكتابة الإبداعية لدى أديبنا الوهراني و إعطاء نماذج حية عن كل أسلوب.

المطلب الأول : التلاعب الساخر بالألفاظ

الناظر بتمعن في مقامات و رسائل الوهراني الأدبية يتعجب اشد العجب من علو كعب أديبنا الوهراني في البلاغة العربية و قدرته الفائقة على التحكم في استعمال الألفاظ إلى حد التلاعب فيها و إخراجها من دلالاتها الحقيقية إلى دلالاتها المجازية الساخرة .
لقد قادت الطاقة الإبداعية للوهراني في التلاعب بالألفاظ إلى اختراع و صناعة الألفاظ الغريبة الباعثة على الاستهزاء و الضحك ، و استعمال الكلمات البذيئة الفاحشة بإفراط كبير جعل أدب الوهراني يدخل ضمن الأدب الهامشي المتهم بالخلاعة و المجون بل لجأ الوهراني حتى إلى التحرر من اللغة الفصيحة باستعمال الألفاظ العامية الدارجة الشعبية الشائعة في عصره عند السوقة و العامة من الناس .
لقد استطاع الوهراني بمهارته اللغوية العظيمة و إلمامه الكبير بفنون البديع اللفظي ان يرسم لنا في أحداث قصص مناماته و مقاماته فسيفساء جميلة من الألفاظ التي ساعدته على التهكم و السخرية من شخصيات عصره .
ففي هذه الفسيفساء المزركشة أكثر الوهراني من استعمال السجع و الجناس و الطباق و غيرها من أساليب البديع اللفظي مؤثرا بذلك في نصوصه و مساهما في بلاغة السخرية و الضحك .

1- نعمان محمد طه ، السخرية في الأدب العربي،مرجع سابق ص 47 .
2-محمد بن ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث،مرجع سابق ص 209 .

01/ الألفاظ الغريبة

يقرر البلاغيون أن من شروط فصاحة الكلمة ، خلوصها من تنافر الحروف و الغرابة ، و التنافر ما تكون الكلمة منه متناهية في الثقل ، عسرة في النطق بها ، كما روي ان أعرابيا سئل عن ناقته ، فقال ((**تركتها ترعى العخـــع**)).[1]

اما الغرابة ان تكون الكلمة وحشية غير مأنوسة عند العرب الخلص فلا يظهر معناها و يحتاج في معرفته الى ان ينفر عنه في كتب اللغة المبسوطة ، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي انه سقط عن حماره فاجتمع عليه الناس ، فقال : ((**مالكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني**)) .[2]

و قد يستغل الأدباء الموهوبون ذوي الحس اللغوي اليقظ و الروح الساخرة مثل هذه الألفاظ الغريبة برنينها و أصواتها المتنافرة ليوظفوها في النيل من خصومهم و مهجويهم و السخرية منهم و العبث بهم .

و قد كان الوهراني من نخبة هؤلاء الأدباء في استعمال الألفاظ الغريبة و التلاعب فيها بل و حتى اختراع بعض الألفاظ الدالة على السخرية و الإضحاك .

و الجدول التالي يوضح مختلف الألفاظ الغريبة العسرة في النطق و المصطنعة التي استخدمها الوهراني في أدبه الساخر و وظفها من اجل التهكم و الإضحاك.

الكلمات / العبارات الغريبة	المعـــنى والموقـــع
مصطيجة	عصا مالك خازن جهنم في منام الوهراني و اصلها الصحيح مصطيخة ، و هي اسم يوناني لشجر ينبت في سواحل الشام يستخرج منه صمغ طيب الرائحة .(المنامات ص26)
الفلع و القندلاني	**"و الله لالطمنك بالفلع حتى يبول القندلاني على ساقيه"** و **الفلع** : المقرعة التي يضرب بها ،أما **القندلاني** : الاصل القندلاوي و هو يعني الفقيه يوسف بن دوناس بن عيسى ابو الحجاج المالكي الشامي (ت 543هـ) (المنامات ص31)
زربول	**"قبل ان تلطم على باب الجنة عشرة آلاف زربول"** أصلها زربون كلمة يونانية و هو نوع من الأحذية (المنامات ص33)
يزهزهون	" يصفقون و يزهزهون" الزهزهة كلمة ذات اصول فارسية و يقولها **الفرس** عند استحسان الأمر: **زهازه**(المنامات ص35)
طلطماج	أكلة شعبية شامية مصنوعة من العجين واللبن والنعناع و الثوم و السمن و اللحم (المنامات ص42)
جلاوزة	**"ابعث معي رجلا من جلاوزتك"** جمع جلواز و هو الشرطي (المنامات ص 53)
الحوس	**" و ما الحوس؟ فقال : الذي يعمل النحس منه "** كلمة مصطنعة من الوهراني للسخرية (المنامات ص 56)
السكباج	لفظ فارسي معرب يعني اسم طعامٌ يُعْمَلُ من اللّحم والخَلِّ مع التوابلَ (المنامات ص 68 و 73) " احسبتني اطبخ لك السكباج و افرش لك الديباج "

1- عبد المتعالي الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،مكتبة الآداب مصر ، د ت، جزء01 ، ص 12 .
2- المرجع نفسه جزء 01 ، ص 14 .

السكنجبين	**"وان ذكر السكنجبين سكنت جبينه بالقدم"** معرب من لفظة سركا انجبين الفارسية و سمى ايضا كحل السودان(المنامات ص73)
الهماليج/ الاباليج	**"يضيق مربطه بالهماليج، و يزهو مطبخه بالاباليج"** الهماليج مفرد هملاج وهو الخيل غير العربية ،الاباليج:نوع من الاطعمة(المنامات ص75)
اللاذ	"عمائم **اللاذ"** ثوب الحريرالاحمر، لفظ فارسي (المنامات ص76)
عقابيل	جمع عقبول ، معناها الشدائد و بقايا العلة (المنامات ص78)
بزر البقلة / قرص الطباشير	**"حرارة لا يبردا بزر البقلة و لا قرص الطباشير"** اللفظ الأول اسم نبات طبي اما الثاني فعبارة عن مادة بيضاء للتداوي تستخرج من جوف نبات الغاب الهندي (المنامات ص86).
الطرارين	اللصوص النشالين (المنامات ص88).
الأكاديش	الخيل الأقل من الأصيلة (المنامات ص93).
ساقه القلفندر	كلمة مصطنعة من الوهراني للسخرية(المنامات ص98).
الجندار/ التركاش	**" و استخدم الجندار و السلاح دار و استعمل التركاش و الحوائج كاش"** الفظ الاول فارسي معرب بمعنى حارس ذات الملك اما الثاني التركاش او التركش :لفظ فارسي بمعنى الكنانة أو الجعبة التي يوضع فيها النشاب و هو لفظ عامّي (المنامات ص102).
خمشتني قطيطتي	وصف لانواع الثياب(المنامات ص104).
قراقيش /الخشكنان	**"كف قراقيش من كف قراقوش و لا الخشكنان من بنان ابن بنان"** قراقيش مفرد قرقوش الذي تعني العظام الرقيقة من العجين اليابس المقلي ،أما قراقوش فاسم تركي معناه - النسر الأسود- وهو اسم الأمير بهاء الدين قراقوش بن عبدالله الاسدي نائب صلاح الدين الأيوبي بمصر (ت597هـ) كان أميرا كريما مسعودا ذا همة،أما **الخشكنان** :فلفظ فارسي يعني الخبزالمصنوع من خالص دقيق الحِنْطة المملوء بالسُّكَّر واللَّوز، **ابن بنان:** القاضي الأثير بن بنان الذي أكل الوهراني في ماله (المنامات ص122/121 و ص 233).
لــت / جرخ قنطارية / جعموس	**" لت** الشريعة **جرخ** الفقهاء..**قنطارية** العلماء...وأنت لا شك..**جعموس** عظيم.. في ذقون المبتدعة" اللفظ الأول معناه القدم أو الفأس الكبيرة، أما الثاني فهو كلمة فارسية تعني نوع من القوس الرامي ترمى عنه النشاب ، اما الثالث فلفظ يوناني يعني نوعا من الرماح، و أما اللفظ الرابع بمعنى النجاسة (المنامات ص 128) .
التدقنصرم التبضرم	**" مع ما فيها التدقنصرم و الرقاعة المعجونة بالتبضرم "** كلمات مصطنعة من الوهراني للسخرية (المنامات ص 133 وص229)
شمشك	زي من ملابس الرعاة وصف به أبو خطرش(المنامات ص 153) .
الدردبيس	الداهية أوالشيخُ والعجوزُ الفانيان (المنامات ص 154) .
الأجاريش	رجل جريش أي صارم نافذ (المنامات ص 179) .
النكاريش	مفرد نكريش بمعنى الملتحي (المنامات ص 179) .
القفداوية	يقال قفد فلانا اي صفعه بباطن يده (المنامات ص 180) .
النغانغية	النغنغة : المرأة الحمقاء (المنامات ص 180) .
الهزاهز	الفتن يهتز فيها الناس(المنامات ص 192) .
الشقشقة/ البقبقة	**"غير انه عظيم الشقشقة كثير البقبقة بسيفه على الخصمين و لو أنهما ملكين"**الشِّقْشِقة: صوت الخطيب أو صوت هيجان الجمل أما البقبقة فهي كثرة الكلام غير المهم (المنامات ص 219) .

أبو يأخذ	" و أي رجل أغبى و اخسر صفقة من رجل كندي يكدى من الذي لقبه **أبو يأخذ** " لفظ مصطنع مركب من الوهراني لقب به احد أعيان عصره ، ساخرا فيه من بخله و حرصه على المال (المنامات ص 138) .

02/ استخدام الألفاظ البذيئة و الألفاظ العامية

لعل ابرز ظاهرة شائعة في لغة الوهراني الساخرة استخدامه المفرط للكثير من الألفاظ الماجنة الفاحشة ذات التأثير الأخلاقي عبر الحوار بين الشخصيات من خلال سرده للمقدمات التي سيقت على لسان معاصريه، حيث يستخدم التلاعب اللفظي وسيلة لكشف قدراته السردية ومناماته الحلمية كقوله: **((..فبينا نحن بمالك خازن النار قد هجم علينا وقبض على أيدينا (...) فتقول يا سيدي هذا رجل مغربي من أهل القرآن و انا رجل محدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (...) فيقول لك: ياخبيث أنت كنت من المتفننين في اللياطة، ومن المتبظرمين، فقلت له انا كيف ذلك يا سيدي ؟ فقال لي: هذا كان يفسق بأولاد المسلمين وقال لك: (...) وأتى عليك أجلك و أنت مجتهد في تعليق بقية الحروف يا ديوث أليس انت الذي أدخلت فلانا الأمرد إلى الخرابة المظلمة ونيمته تحت ضوء الروزنة (...) و أما هذا المغربي فرجل قواد لا شك فيه...))** [1]

كما يشير إلى هوية الرسائل وعلاقتها بمهن أصحابها معرجا على النساء المساحقات، فيقول: **((..هذه رقعة رجل دهان عارف بحيل الاصباغ وإنزال الذهب، لكنه جاهل بصناعة الكتابة ظاهر التكلف فيها يريد ان يتمم قصص الصناعة ويستر عوارها بالألوان المشرقة والأوراق المصبغة والتذهيب الرائق المليح ومع هذا افلا يجوز ان يكاتب بمثل هذه الرقاع إلا القيان المعشوقات والظراف المساحقات..))** . [2]

وفي رقعة أخرى يقول: **وصلت رقعتك اصلحك الله كأنها ضربة موتور او نفثة مصدور، فتخلط فيها الهزل بالحد و(...) حتى لقبوك بسوق الفسوق وميدان المروق ورحاب القحاب...))** . [3]

وفي رسالة إلى أبي الثناء محمود بن يحيى بن افلح اللخمي يقول :

((...الحمد لله الذي تجاوز عن كل غي (...) شهادة توصلني الى وصل الولدان، وتجمعني في الجنة مع المردان، (...) ابقاه الله للقيادة يلتو ضعفها ويصطفي تمعنها، واللياطة يفصح علوقها ويفتح مغلوقها (...) لكن اللياقة وزنادُها، جمال الفسقة وعينُها، شرف الزناة وزينتها، أبو الثناء محمود يحيى بن افلح اللخمي. أدام الله لك السرور، ومتعك بالغفلة والغرور، ولازالت همتك مصروفة للمحاب، واكتشافك معطبة كتاف القحاب (...) أطال الله قرونك، وأدام في الخمور رهونك)) . [4]

اذ تبدو روح السخرية، وفزعة المفارقة والنقد واضحة في سرده الذي يتفجر بشكل مباشرة بالألفاظ الصارخة، كقولة: **((...فاجعل خراك في سياله، وحمل الكلب على عياله واحكم**

1- مناامات الوهراني ، ص 29-30 .
2- المصدر نفسه ، ص 33 .
3- المصدر نفسه ، ص 69 .
4- المصدر نفسه ، ص 177 .

مجالس الشرب بهواك)) [1] ، حتى يتحول باتجاه النساء المساحقات والمتعاشقات، ويتجه نحو النقد البذيء مستخدماً بيتاً ينسبه الى النابغة الذبياني يقول:
((..أبن الخرا يزفُ لبن الخَرا بدف...)) [2]

و من الواضح أن الوهراني استخدم الألفاظ البذيئة لتسويق الجانب المسكوت عنه، الذي يمثل أدب الطبقات السوقية والدنيا، ومفردات حياتها اليومية عبر سرد نثري، فيه اختيار خاص للألفاظ، والمناسبات التي تثير السخرية .
و لعل إكثار الوهراني المفرط في استخدام هذه الكلمات البذيئة و الفاحشة في مواقف و مشاهد تعج بالسخف والمجون كان تعبيرا عن التحلل الخلقي في عصره، مما أسهم مباشرة في وضع أدبه في دائرة الأدب المهمش (الهامشي) ، حيث أقصى في زاوية الكتب الخليعة و الماجنة ، و لهذا قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الوهراني في كتابه تبصير المنتبه بتحرير المشتبه :((**... والركن الوهراني صاحب ذاك المنام والخلاعة..**) [3]، و قال عنه الزبيدي أيضا في تاج العروس : ((... **والرُّكْنُ الوَهْرانيّ صاحبُ الخَلاعة...**)) . [4]

و لم يكتف الوهراني باستخدام الألفاظ البذيئة و إنما تعداها إلى التحرر من اللغة الفصيحة إلى استخدام الألفاظ العامية الدارجة التي كانت سائدة في عصره و التي لا يمكن تتبع معانيها لعدم وجود معاجم لغوية تتناول اللهجات السائدة في تلك الفترة .
نذكر من بين هذه الألفاظ مثلا: **الشكاير**: جمع شكارة التي تعني الكيس بالعامية، **البسيسة** : و هي اسم عامي لأكلة شعبية،**الشويات**: جمع شوية و هي كلمة عامية تعني القلة **الميشومة** : صفة عامية أصلها الفصيح المشؤومة ، **ايشم** استخدمها في قوله:**((بايشم أحاديث))**،**ايش** التي تستخدم في الاستفسار مثل قول الوهراني في منامه:((**ايش حاجة الوهراني الزنديق**))، **رايح** استخدمها في قوله:**((ها انا رايح أهيج عليهم قبائل العراق)) ،لا حس و لا خبر** و هي عبارة عامية مصرية . [5]

ولعل جنوح الوهراني الى التحرر من الأدب الرسمي و اللغة الفصيحة الرسمية باستخدام الألفاظ الخليعة و العامية السوقية على سبيل التهكم والسخرية، إنما كان تعبيرا منه عن وسط الشخصيات المهمشة التي تمثل قاع المدينة وحياتها، و وصفا بليغا منه لانتشار موجة الفساد في المجتمع من خلال ذكره للغلمانيات، أو النساء السحاقيات، مما يعني أن فن المقامات عند الوهراني أدب يمثل الطبقات الشعبية ،و يصور طبيعة الشخصيات السلبية في المجتمع وهي تستسلم للواقع، مستخدمة المقاومة السلمية، والركون إلى الصمت والسكينة والانطواء ولهذا

1- منامات الوهراني ، ص 178 .
2- المصدر نفسه ، ص 190 .
3- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت،د ت ، جزء04 ، ص 1485 .
4- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت ، ط 1966 ،جزء 14 ص 386 .
5- ينظر منامات الوهراني ، الصفحات رقم 26-58-81-168-171-187- 218.

فان حكايات المقامات تقترب ـ أحيانا ـ من أدب الكدية والذي يستقي مادته وصوره الحية المتحركة وأنماطه الأدبية ونماذجه البشرية من فن الكدية .[1]

3/ البديع اللفظـــي :

من الملامح الواضحة في أسلوب الوهراني الاستطراد و الحشو و تكرار الصيغ و كثافة التفاصيل و العمل على اللغة بحد ذاتها و التضمين و الاقتباس و الاستشهاد بالأشعار.
إلا أن أكثر ملمح مميز للوهراني استخدامه النثر المرسل غير المعقد في منامه الكبير و معظم رسائله الأدبية، متحررا في ذلك من صنعة الهمذاني و القاضي الفاضل و مائلا نحو دائرة المحاججة والإقناع .
إلا انه و رغم ذلك فان طاقة الوهراني الشديدة على التلاعب بالألفاظ ، جعلت الجناس و الطباق و السجع والتوازي و غيرها من فنون البديع اللفظي تستحوذ على مكانة معتبرة في مقامته البغدادية و الصقلية ومقامة رقعة جامع دمشق و مقامة شمس الخلافة ، و بعض من رسائله الأدبية إلى القاضي الفاضل و الأمير عز الدين موسك و الفقيه ابن الحليم الواعظ و الأمير شمس الدولة بن منقذ و القاضي الأثير بن بنان ، و هذا لغرض خلق نوع من الإيقاع الداخلي و الاتساق الجمالي الذي يمنح الكلام موسيقاه التي لها صلة بالمقام و المجلس ، و يخدم معاني السخرية المثيرة للضحك و الإمتاع للقارئ .
و يأتي **الجناس** التام و الناقص على رأس أكثر الفنون البديعية التي افتتن بها الوهراني متأثرا فيها بذوق عصره الأدبي الغارق في فن التجنيس والصناعة اللفظية.
و لم يقتصر الوهراني على الجناس و ترديد الكلمات المتقاربة بل تجاوز ذلك إلى فن **السجع المتوازي** الذي خص به الجمل و اكسبها تساويا عدديا و اتفاقا منسجما في الوزن و التقفية .
و قد التزم الوهراني الى جانب التجنيس **بلُزُومَ مَا لَا يَلْزَمُ** في السجع،و لعل أكثر ألفاظه المسجوعة والمتجانسة تجدها مقيدة بحَرْفٌ أَوْ حَرْفَانِ فَصَاعِدًا قَبْلَ الرَّوِيِّ و هذا دليل واضح على علو كعب الوهراني في التلاعب بالألفاظ .
و يمكننا أن نذكر هنا بعض الأمثلة و النماذج الساخرة التي أبرزت قدرة الوهراني في البديع اللفظي، و ساهمت في لفت انتباه القارئ و خلق المتعة و الضحك و الطرافة .
يقول الوهراني في مقاماته البغدادية عند سخريته من الدولة الفاطمية المصرية :
((**....قال: فما تقول في الدولة المصرية، والخلفاء العلوية؟ فقلت: عجوز محتالة، وطفلة مختالة، و كاعب فتانة،و غادة مجانة.....رباها السلطان في الحجور، بين الفسق و الفجور، حتى إذا هرمت سعودها، وذوى عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد.**)) [2]

و في مقامته عن مساجد دمشق يقول:((**فإن الخراب قد استولى على المساجد، حتى خلت من الراكع والساجد ، فأصبحت مساجد الغوطة غيطان ، لا سقوف ولا حيطان ، وجوامع حوران مخازن وأفران ، ومشاهد البقاع صعصعا كالقاع ، فكم بنية لعب الجور بأثوابها ،**

1- ينظر محمد رجب النجار،حكايات الشطار و العيارين في التراث العربي، عالم المعرفة ، الكويت،ط 1981، ص410 .
2- منامات الوهراني، ص4 .

فنسج العنكبوت على بابها ، وكم بيوت الله غلقت دون أصحابها ؟ فعشش الحمام في محرابها...)) [1]

و لعل من أبدع و أطرف رسائل الوهراني الساخرة المليئة بفنون التجنيس و السجع المتوازي و اللزوميات و الطباق رسالته إلى الأمير عز الدين موسك على لسان بغلته الذي سماها **ريحانة** و وضع على رأسها الرسالة يقول في بدايتها **:((المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين، حسام أمير المؤمنين، نجاه الله من حر السعير، وعظم بذكره قوافل العير،ورزقه من القرط والتبن والشعير، ما وسق مائة ألف بعير، واستجاب فيه صالح أدعية الجم الغفير، من الخيل والبغال والحمير..))** [2]

ثم يقول**:((وتنهى إليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام، وسوء القيام، والتعب بالليل والدواب نيام ،قد أشرفت مملوكته على التلف، وصاحبها لا يحتمل الكلف، ولا يوقن بالحلف،ولا يحل به البلاء العظيم ،إلا في حاجتي القضيم لأنه في بيته مثل المسك والعنبر، و الإطريفل الأكبر، أقل من الأمانة في الأنباط، والعقل في رأس قاضي سنباط ، فشعيره أبعده من الشعرى العبور، لا وصول إليه ولا عثور، وقرطه أعز من قرط مارية لا تخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية، والتبن أحب إليه من الابن، والجلبان عنده أعز من دهن البان....))**. [3]

ثم يستأنف الوهراني واصفا عزوف بغلته و سائر البهائم عن العلوم و اشتهاءها للكلأ و الشعير و غير ذلك يقول في ذلك :**(ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم، ولا تعيش بسماع العلوم، و لا تطرب إلا شعر أبي تمام، ولا تعرف الحارث بن همام، ولا سيما البغال التي تشتغل في جميع الأشغال، شبكة من القصيل أحب إليها من كتاب التحصيل، وقفة من الدريس أشهى إليها من فقه محمد ابن إدريس، ولو أكل البغل كتاب المقامات مات، وإن لم يجد إلا كتاب الرضاع ضاع، ولو قيل له أنت هالك إن لم تأكل موطأ مالك ما قبل ذلك، وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات الجمل، وحزمة من الكلا، أحب إليه من شعر أبي العلا، وليس عنده طيب شعر أبي الطيب، وأما الخيل فما تطرب إلا سماع الكيل، وإذا أكلت كتاب الذيل ماتت في النهار قبل الليل، والويل لها ثم الويل، ولا تستغنى الأكاديش عن أكل الحشيش بكل ما في الحماسة من شعر أبي الحريش، وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار، وأصبح منفوخا كالطبل على باب الاصطبل، وبعد هذا كله فقد راح صاحبها إلى العلاف، وعرض عليه مسائل الخلاف، وطلب من بيته خمس قفاف، فقام إليه بالخفاف، فخاطبه بالتقعير وفسر له آية العير، وطلب منه ويبة شعير، فحمل على عياله ألف بعير، وأكثر له من الشخير والنخير، فانصرف الشيخ منكسر القلب، مغتاظا من الثلب، وهو انحس من الكلب، فالتف إلى المسكينة، وقد سلبه الغيظ ثوب السكينة، وقال لها : إن شئت أن تكدى فكدي، لا ذقت شعيرا ما دمت عندي، فبقيت المملوكة حائرة لا قائمة و لا**

1- منامات الوهراني ، ص 63- 64 .

2- المصدر نفسه ، ص 90 / **شرح الكلمات** : **وسق** : حمل على البعير.

3- المصدر نفسه ، ص 90- 91 / **شرح الكلمات** : **تنهى** : أنهى إليه الأمر أي أعلمه به ، **الاطريفل**: من الأدوية المركبة جليلة النفع ، **سنباط** : يقال سنبوطة، بلدة في جزيرة قويسنا من نواحي مصر ، **الشعرى**: اسم نجم ، **قرط مارية** : اصلها من المثل القائل " ولو بقرطى مارية "،و مارية هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ومعنى الكلام أي بالشئ العزيز الذي لا يقدر عليه ولا يوصل إليه .

سائرة، فقال لها العلاف : لا تجزعي من حياله، ولا تلتفتي إلى سباله، ولا تنظري إلى نفقته ولا يكون عندك أخس من عنفقته...)) 1

و الأمثلة عن الإفراط في البديع اللفظي في مقامات و رسائله كثيرة لا سيما منها مقامته شمس الخلافة و رسائله الى ابن الحليم الواعظ والقاضي الفاضل و الأمير شمس الدولة بن منقذ ،هذا الأخير الذي وصف كرمه و سعة جفنته للضيوف ،ثم عرج بعدها الى وصف ساخر مضحك لبخل الأمير ابن ورشكين و ضيق جفانه بطريقة سجعية تجنيسية بديعة يقول في ذلك :**(...وإنما يجب ان يخوف بمثل ذلك الشيخ الأمير ابن الورشكين ، الذي جفانه أضيق من أجفانه، و قدره أصغر من قدره، وليس في بيته للطارق غير السماء والطارق، ولا يقدم للمنتاب، غير التقريع والعتاب، ولا يمد للتنزيل، غير العرض الهزيل، وإذا أفلح قدم من تصحيف الخبز ملء زجاجة، ومدية يذبح بها ألف دجاجة، وملأ له الخوان من لحوم الإخوان، وإذا طلب الأكل بالإدام، أطعمه من الذي في الأقدام..))**2

و في المقامة الصقلية وصف ساخر من الوهراني مزدان بالجناسات و اللزوميات لفقهاء مدينة صقلية و أعيانها يقول في ذلك:

((.. فقلنا له: ما تقول في القاضي ابن رجاء ؟ قال مصباح دجى، وشيخ علم و حجى، وهو بيت القضا، وكلمة حكم وعدل و رضا، نزه نفسه عن الرشا والولائم، فلا تأخذه في الله لومة لائم ، غير انه عظيم الشقشقة كثير البقبقة بسيفه على الخصمين، ولو أنهما ملكين، ويضيع مواقيت الصلاة، ويمنع بواقيت الصلات (....) قلنا : فما تقول في الكاتب يوسف ؟ فقال : الرجلة والشهامة والتقدمة والزعامة، غير أن في أسفله داء أسأل الله منه السلامة، قلنا فما تقول في ولده أبي علي ؟ قال : هشاش بشاش ، وإن مازحته ففحاش، وإن نازعته فأخلاق جده أبى دكاش ، حلو اللسان بعيد الإحسان ....قلنا : فما تقول في أخيه أبى الفتوح ؟ فقال : القرض من القرض ، وذرية بعضها من بعض ، حذوك النعل بالنعل ...)) .3

1- منامات الوهراني، ، ص 92- 93- 94 / **شرح الكلمات** : **التحصيل** : كتاب في أصول الفقه للامام أبي منصور عبد القاهر البغدادي الفقيه الشافعي المتوفي سنة 329هـ ، **كتاب المقامات** : يقصد مقامات الحريري ، **كتاب الرضاع** : وهو باب من أبواب الفقه . **أبيات الجمل** : لعله يريد كتاب الجمل الكبير للزجاجي النحوي توفي 339 هـ ، **الأكاديش**: وهي الخيل أقل رتبة من الاصيلة **أبي الحريش:** هو الحريش بن هلال القريعي، **عنفقته** : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن شعرها خفيف .

2- المصدر نفسه ، ص 173 ./ **شرح الكلمات** : ابن الورشكين : الكلمة فيها تصحيف و لعله يقصد به الأمير سعد الدولة كمشتكين، أمير الشام وكبير قدامى الجنود الزنكيين في عهد نور الدين زنكي و الله اعلم .

3- المصدر نفسه ، ص 219- 220-221 .

المطلب الثاني : الاقتباس و التضمين الساخر

يلجأ الكثير من الأدباء إلى أسلوب الاقتباس و التضمين في التعبير عن السخرية و التهكم من خصومهم عن طريق اقتباس شيئ من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو تضمين أبيات من الشعر و الأمثال و الحكم أو غير ذلك من النصوص المؤثرة المتنوعة التي يوظفوها لغرض السخرية استعانة لما لها من شهرة و وقع و اثر في النفوس .
و الاقتباس من القران الكريم على قسمين ، مردود و مقبول ، فما كان في معنى الهزل و السخرية و المجون او نحو ذلك فهو مردود ، و ما كان غير ذلك مما لا يتنافى مع جلال القران الكريم و السنة المطهرة و قدسيتهما فهو مقبول .
و من الملامح البارزة في أسلوب الوهراني الساخر إتباعه نهج كتاب الرسائل و المقامات في الاقتباس و التضمين من الآثار الأدبية والدينية المعروفة في عهده على اختلافها، مثل القرآن الكريم، والأشعار، والأمثال و غير ذلك من الآثار .
غير أن الوهراني تميز عن غيره من الأدباء بالذكاء و الحذاقة في الاقتباس و التضمين بما يخدم غرضه الخفي المتمثل في إمتاع القارئ المتلقي و إضحاكه و السخرية السوداء من شخصيات عهده المختلفة .
و الواقع أننا عندما نقرأ منام الوهراني و مقاماته و رسائله المتنوعة يتأكد لنا بما يدع مجالا للشك أن أديبنا الوهراني كان إماما من أهل القران الكريم حافظا له، شديد التهكم كثير الاقتباس من آياته الكريمة للسخرية من خصومه ، إلا أن العجيب في ذلك وصول الاقتباس القرآني أحيانا إلى حد المحظور التي يتنافى مع قدسية وجلالة القران الكريم .
و الجدول التالي يبين أهم الشواهد المختارة لاقتباساته القرآنية في معرض السخرية :

شواهـــــد الاقتباس	رقم الآيــة و السورة المقتبس منهــا
" فقتلهم و كسرهم ...و لم يزل فيها بين الطارق و المنتاب ...إلى أن **طواها طي السجل للكتاب** "(المنامات ص 5)	104/ الأنبياء
" فطلعت روحه **الى التراق و قيل من راق** ، فمد يده إلى الماء ليبرد كبده فوجده أحر من زبل الحمام "(المنامات ص 19)	25 – 26/ القيامة
" فكم بنية لعب الجور على أبوابها **فنسج العنكبوت على بابها** " " فمن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه و سعى في خرابها" (المنامات ص 64)	113 / البقرة
" و مشهد هابيل قد رمي **بطير أبابيل** "(المنامات ص65).	03 / الفيــل
"فلما وصل الكتاب اليه ...**فكر و قدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس ثم أدبر و استكبر**، ثم لعن المساجد و بانيها "(المنامات ص 68).	18-19-20-21-22/ المدثر
"ما يكون جوابك يوم النشور **اذا بعثر ما في القبور**"(المنامات ص70).	09/ العاديات
" و لا اقبل منك جميلا و لا كفيلا ...فتقول : **يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ...ليتني لم اتخذ فلانا خليلا** "(المنامات ص71).	27 و 28 / الفرقان
" **و أسرها يوسف في نفسه و لم يبدها لهم** ..ثم نظر إلى ابن أبي عصرون فانزله و اعتزله "(المنامات ص71).	77 / يوسف .

" و ينام في الليل مع الحور بين الترائب و النحور...**في طلح منظود و ظل من السعادة ممدود و فاكهة و كوب** "(المنامات ص75).	30-31 / الواقعة 31 / عبس .
" اعرفه صغيرا و كبيرا، و **إن شئت فاسأل به خبيرا** "(المنامات ص98).	59 / الفرقان
" و صاحب القصيد **كالباسط ذراعيه بالوصيد** " (المنامات ص115).	18 / الكهف
" فاذا كان الرئيس لا يعصي مرؤوسه لا من هذا النقد، **فأمه هـاوية و ما أدراك ماهية نار حامية** "(المنامات ص 120).	07-08-09-10/القارعة
"و لا حشرني الله مع يزيد إذا قالت النار : **هل من مـزيد** " (المنامات ص 141) .	30 / ق
"**فأقسم له بالغصن اذا استوى ، و الحقف إذا التوى و الصدغ إذا التوى**"(المنامات ص 145) .	15-16-17-18/ التكوير 16-17-18/الانشقاق
" **فأقسمت يا سيدي بمداسك و راسك، و حق النعل اذا طن ، و الدن إذا رن، و الركب اذا عرش ،و العلق اذا شرش** "(المنامات ص 147)	15-16-17-18/ التكوير 16-17-18/الانشقاق
"و لو علم ان الأمر يجري على هذا لجعلها آخر **موءودة سئلت بأي ذنب قتلت** "(المنامات ص 195)	08/ التكوير
قال في تعليقه على بيت شعري للتاج الكندي: **"فلو أن لي به قوة أو آوي الى ركن شديد** لكتبت هذا البيت بالخرا" (المنامات ص 227)	80 / هود

و قد غلب على الوهراني في جميع سخرياته أسلوب الاقتباس البلاغي الذي اقتصر فيه على مصدر القرآن الكريم و لم يتعداه إلى الحديث النبوي الشريف ، إلا أن من يتفحص نصوص أدب الوهراني الساخرة يجدها متناصة و متداخلة مع نصوص قديمة أخرى ، وتستقي من منابع و أصول مختلفة ، و لعل هذا يؤكد جنوح الوهراني إلى أسلوب آخر من أساليبه الفنية الساخرة ، هو فن **التضمين** من مصادر الشعر العربي القديم و الأمثال و الحكم الشعبية السائرة في ذلك العهد .

و يمكننا أن نلخص شيئا من تضمينات الوهراني البارزة في هذا الجدول الآتي :

شواهد التضميـن	نوع و أصل التضمين
"فاشدد من عقالك و تأيد في مقالك ...فما كل شكل يذم شكله و لا كل طائر يحل أكله، **و ما كل بيضاء شحمة و لا كل سوداء فحمة** "(المنامات ص 69)	مثل عربي يقال في معنى اخذ الحيطة و الحذر وجوب التثبت و يشبهه المثل القائل **ليس كل ما يلمع ذهبا .**
" و قرطه اعز من **قرط مارية** لا تخرجه صدقة و لا هبة و لا عارية " (المنامات ص 91)	يقول المثل العربي : و لو بقرطي مارية و هي مارية بنت ظالم الكندية و المثل يضرب بالشيئ العزيز النفيس الذي لا يقدر أن يوصل إليه .
"أنا **جهينة أخباره**، و أحذق الناس بأدباره" (المنامات ص 98)	مثل يضرب لمن يعرف أن الخبر الأكيد عنده وليس عند غيره و أصل المثل هذا بيت الاخنس الذي قال فيه : **تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ * وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ .**
"و يظن الخادم انه فيما يتلوه عليه من هذه الأساطير **كجالب التمر الى هجر**" (المنامات ص 135)	مثل عربي يقال للشخص الذي يأتي بالشئ الى غير موضعه و "**هجر**" منطقة سعودية اشتهرت بكثرة تمرها، وبزيادته عن حاجة أهلها .

" فالعود أطيب من ثراه ، و الكلام أحسن ممن افتراه، و **لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه"** (المنامات ص 214)	مثل عربي يضرب لمن يفوق خبره مظهره ، و أول من قاله المنذر بن ماء السماء الذي كان يسمع بمشقة بن ضمرة المعيدي و يعجبه فلما رآه و عرف انه كريه المنظر قال هذا المثل .
" مأوى المغاني و مأوى كل زانية ** يلقون درسهم شدوا و ألحانا (....) **يسلبن ذا اللب حتى لا حراك به ** و هن اضعف خلق الله أركانا "**(المنامات ص 215)	تضمين بيت من قصيدة للشاعرالأموي جرير بن عطية قال في مطلعها: **بَانَ الخَليطُ، وَلَوْ طُوِّعْتُ ما بَانَا ** و قطعوا منْ حبالِ الوصلِ أقرانا**
" حذوك النعل بالنعل ...**كما قسم الترب المفايل باليد"** (المنامات ص 221)	تضمين عجز بيت من معلقة طرفة بن العبد يشق **يشق حباب الماء حيزومها بها ** كما قسم الترب المفايل باليد** .

المطلب الثالث : الحوار الساخـر

يعتبر الحوار من أكثر الأساليب التي استطاع الوهراني أن يطوعها لتكون نوعا من مراكبه التي أبحر بها في محيط سخرياته الشاسعة من الواقع المعاش و من شخصيات عصره المتناقضة في سلوكاتها .

استطاع الوهراني عبر تلك الحوارات و الأحاديث الدائرة بين شخصياته الساخرة المتنوعة الخيالية و الواقعية أن يكشف المستور، و ينقد حالة المجتمع من خلال فضح خداع الفقهاء و القضاة و نفاقهم و إهمالهم لمسؤولياتهم و انتشار المحسوبية و الرشوة في أوساطهم .

و لم يسند الوهراني الحوار في مقاماته و رسائله للشخصيات الماضية و الحاضرة في وقته فحسب ، و إنما تعدى ذلك إلى استدعاء العالم الأخر والملائكة و إبليس والحيوانات و الجمادات من المساجد و المشاهد ، بل و حتى الشخصيات الخرافية المنسوجة من خياله كشخصية " أبو خطرش" الغريبة التي انشقت له من جدار حمام بمصر و قد رمز بها لصاحبه القاضي الفاضل ، إلا أن ما يميز الحوار مع هذه الشخصية الخيالية الغريبة الأطوار انه كان شعرا و ليس نثرا و هذه ميزة جديدة في تنوع أشكال أساليب الوهراني الساخرة .

و لعل أعظم إبداع أدبي فني برز فيه أسلوب الحوار الساخر بكل محركاته و عناصره عند أديبنا الوهراني هو منامه الكبير الذي نهج فيه نهجا جديدا في المعالجة الأدبية و السرد و لو كان يعيش بين ظهرانينا اليوم لأدرج ضمن أعظم الكتاب المسرحيين .

و إن غياب مفهوم كلمة المسرح في تراثنا العربي النقدي من الناحية النظرية لا ينفي حضور المسرح كتصور بكر وخصب مجسد من خلال كثير من المتون والنصوص من الناحية العملية الإبداعية، ولو اعتبر ذلك الحضور كحد أدنى من المسرح، كمسرح بالمفهوم المعاصر، أو حتى كمجرد إرهاصات أو محاولات تجريبية أولية في حقل الإبداع الفني المتميز.1

1 - ينظر عبد اللطيف المصدق، موقع الأدب و النقد ، المرجع السابق .

و يلاحظ على مسرحية المنام الكبير للوهراني إن جاز لنا التعبير أنها تحتوي أكثر من 18 ثمانية عشر مشهدا مسرحيا غلب على معظمها عنصر الحوار بهذا العنصر الذي يعد عصب فن المسرحية .

و لقد كانت السخرية و التهكم بإعتبارها موجها للسرد هي المتحكمة في الحوار داخل منام الوهراني ، بحيث لا يرد إلا ضمنها و لايستقل الحوار عن السرد ، و يعلل أحد الباحثين هذا المزج بأنها إحدى نتائج الإبداع الساخر الذي يعتمد على الحوار لإدراكه ، فيجبر على استعمال الربط السريع بين أجزائه .1

فالحوار في المنام الكبير للوهراني أسهم بشكل واضح في تطوير الأحداث و السعي به نحو حلقات جديدة بل و إن الوهراني اتخذه وسيلة كشف بها عن شخصياته الساخرة و المضحكة .

و لأن السجع هو الركيزة الأولى في فن المقامات الأدبية فقد وشح الوهراني أسلوبه بأسجاع لم يلتزمها دائما و انما جاءت عباراته مراوحة بين السجع و الترسل . 2

و الحوار الداخلي او المونولوج المسرحي له أهميته في الكشف عن شخصية الكاتب و نواحيه النفسية و الشعورية الباطنية ، و لم يظهر في منام الوهراني إلا على شكل ومضات سريعة أثرت المشاهد كقول البطل في مشهد يوم الحشر : **" فقلت في نفسي هذا اليوم العبوس القمطرير و أنا رجل ضعيف النفس خوار الطباع لا صبر لي على معاينة الدواهي ، كنت أشتهي على الله الكريم في هذه الساعة و في هذا المكان رغيفا عقيبيا و زبدية طباهجة ناشفة ، و جبن سناري ... و الحافظ العليمي ينادمني بأخبار خوارزم..."**3

و قد مهد هنا بهذا الأسلوب الاستبطاني للتعريف بشخصية جديدة و إدخالها في السرد .4

و إلى جانب المونولوج نجد تقنية التوزيع التي نجد لها أثر فعال في تنشيط الحوار الساخر الذي تزخر به مشاهد المنام الكبير و يظهر ذلك بوضوح في توزيع الوهراني للحوارات بين شخصياته و التنظيم المحكم للمستويات السردية و لا سيما السخرية التي تعتبر من أهم الظواهر البارزة في أسلوب الوهراني .

يتعين في هذا التوزيع بفعل " قال " أو " قلت " يتخذه أداة توزيعية لإسناد الأدوار إلى بعض شخصياته و إلى نفسه أو إلى شيخه العليمي .

استخدم الراوي الوهراني تقنية الحوارات لنقل المشاهد و الأحداث التي يريد التكلم عنها ، حيث تجري الحوارات بينه و بين الشخصية المختارة أو تجري بين شخصيتين و يكون دور الراوي هو الاستماع و من ثم نقل الحوار للقارئ و هذه الحوارات تتداخل أحيانا فيما بينها بحيث يخلق الحوار الأول مناسبة معينة للدخول إلى الحوار التالي و أحيانا تنقطع و يبدوا حوار آخر لا علاقة بما سبقه .5

---

1 - محمد رشيد ثابت ، البنية القصصية و مدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام- دار العربية للكتاب- ليبيا، ط 1975 ص 87.

2 - سعدلي سليم، تشكلات السرد الساخر و مقاصده في المنام الكبير للوهراني، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزوسنة 2012 ص 58 .

3 - منامات الوهراني. ص24.

4 - سعدلي سليم، تشكلات السرد الساخر و مقاصده في المنام الكبير للوهراني، المرجع السابق ص 59.

5 - المرجع نفسه ص 62.

و يلاحظ أن معظم هذه الحوارات ممسرحة تثبت بحق الطابع المسرحي لمنام الوهراني فهي مبنية على طريقة الحوار المسرحي ، فنفس الوهراني قريبة من الكتابة المسرحية الحديثة من حيث توظيف الرمز و السخرية ، و من حيث البساطة و الارتجال ، و من حيث الجرأة و الصراحة و من حيث الاعتماد في الغالب على أسلوب الحوار و تعدد المشاهد و اللوحات و الخلفيات التاريخية .1

و هذه التقنية تقنية الحوارات الممسرحة تحول القارئ إلى مشاهد فعال و منتج فبمعنى أنه عليه أن يتخيل فضاء النص في تلك اللحظة و انفعالات الشخصيات المتحاورة ، فالقارئ يتحول إلى مخرج للمشهد حسب قراءته للحوار .

و كتوضيح على ذلك نختار الحوار التالي من المنام :

".... و حانت مني إلتفاتة فأرى أبي المجد بن أبي الحكم عابرا و في يده ورقة مذهبة حمراء ، و هو رايح يهرول فسلمنا عليه و سألنا عن حاله ...."2

و هنا تنتهي مقدمة الحوار التي توصي للقارئ صورة أولية لفضاء المشاهد بدون تفاصيل أخرى .

" فقال : لو لا ملازمة الصلاة بين المقصورتين لكنت من الهالكين

فقلنا له : إلى أين تريد ؟؟

فقال : أرد الرقعة على مابها

فقلنا و أي شيء في الرقعة و من حاجها ؟؟

فقال : هذه ورقة المؤيد بن العميد بعثها معي إلى رضوان خازن الجنة يطلب منه تطعيم كمثري عتابي و رمان كابلي لأنهما لا يوجدان إلا في الجنة ..."3

و يلاحظ هنا أن هذا الحوار لا يتخلله وصف للشخصية أو المكان بل هو حوار مسترسل و هذا ما نجده في تعاريف السخرية كونها " **كلام مسترسل ، أو خبر أو أقصوصة صغيرة ترمز إلى عيب من العيوب (...)و قد لا تعتمد السخرية على الكلمة بل تعتمد على التمثيل المبالغ فيه و يستخدمها المسرح التمثيلي كفن ساخر قائم بذاته**".

فالراوي الوهراني في حواراته الممسرحة لا يجعل القارئ لها يشعر بأنها مختلفة أو مصطنعة بل إنه يحاول أن يوظف بذكاء شديد معرفته بالشخصية ليبتكر لها خطابا يوحي بأنه صادر عنها فعلا .

و هكذا يكون الوهراني قد أضاف شيئا إلى رحلته الخيالية ، بأن جعلها و هي بعيدة عن عالمه الواقعي مسرحا لرؤاه و أحلامه التي لم تتحقق في الدنيا .4

و من ظواهر الحوار الساخرة عند الوهراني في مجمل كتاباته و بالخصوص في منامه الخيالي المسرحي المتميز استعانته فيه بتقنيات الاستفهام و النداء و الأمر و التعجب الإنشائية التي تضمنت معاني التهكم بل حتى وصلت إلى حد دلالات السب و الشتم .

1 - ينظر عبد اللطيف المصدق، موقع الأدب و النقد ، المرجع السابق .

2 - منامات الوهراني، ص32.

3 - المصدر نفسه ص33/23

4 - ينظر سعدلي سليم ، تشكلات السرد الساخر و مقاصده في المنام الكبير للوهراني ، المرجع السابق ، ص 65-66-67 .

و يمكننا أن نذكر من النداءات الساخرة التي ظهر فيها السباب و الشتم قول الوهراني : **((..يا عدو الله ...يا خبيث ...يا كافر القلب ...يا ديوث...يا خنزير..يا مرجوس...يا خنزير...يا بقر الشام يا عبيد الطلقاء...))** . 1

و من نداء الوهراني الساخر المتهكم بشخصية **الملاك مالك خازن النار** ترخيمه لاسمه في النداء على سبيل تدليعه و ترضيته و استعطافه و طلب العفو و الصفح منه يقول الوهراني في حواره رفقة صاحبه الحافظ العليمي :**((.. فبينا نحن في المحاورة وإذا نحن بمالك خازن النار قد هجم علينا وقبض على أيدينا ورمى السلسلة في أرقابنا وسحبنا إلى النار فارتعنا إلى ذلك ارتياعا عظيما.**

وقلت لك: هذا الذي خوفتك منه قد وقعنا فيه.

فقلتَ له: يا مـــال ، اسمع مني كلمتين لوجه الله تعالى

فيقول لك: كيف أسمع منك وقد حذفت ربع اسمي في النداء؟.

فتقول:والله ما حذفته للترخيم في النداء الجائز عند جميع النحاة، وإني لفي شغل عن ذلك، وما حذفته إلا من شدة الهلع وانقطاع مادة الكلام.....)) 2

و من صور الأمر الدال على السخرية من الكتاب الأدباء المشهورين في حوارات منام الوهراني أمر الشاعر **طلائع بن رزيك** لبعض بائعي الأفرشة بدفع رقعة **ابن العميد الكاتب** الكثيرة الصنعة و التزويق و التصحيف في الألفاظ إلى جاره الفقاعي بائع الخمر الكثيرة الفقاعات لتعليقها على عتبة دكانه استجلابا للزبون يقول عن ذلك:**((ثم ناولها لبعض الفراشين و قال: ادفعها لجارك الفقاعي يلصقها على عتبة باب دكانه يستجلب بها الزبون...))**3 ، و هذا تهكم واضح من الوهراني على طحريقة ابن العميد في الكتابة و الإنشاء.

أما تقنيات الاستفهام و التعجب في حوارات الوهراني فقد كانت من أكبر دلائـــل السخرية خاصة في تصوير أهوال المحشر و صفة مالك خازن جهنم ، يقول الوهراني عن ذلك برفقة العليمي : **((...فقلت لك يا كافر القلب أما ترتدع ؟ أما ترعوي ؟ أما ترى السموات تنفطر مثل فطاير المزة في الكوانين ؟ أما ترى الملائكة منحدرة من السماء الى الارض زرافات و وحدانا؟؟ أما ترى الميزان يرتعد بما فيه ...أما ترى مالك خازن جهنم قد خرج من النار مبحلق العينين في يده اليمنى مصطيجة و في يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن ؟؟ ..))** . 4

لقد كانت السخرية المفعمة بحوارات شخصيات الوهراني دافعا لصنع رحلة خيالية يصور فيها رؤيته للجنة و النار و يعبر فيها عن سخطه من قضايا عديدة موجودة في واقعه و محيطه المعاش ، كفساد القضاء و القيم و انتشار المحسوبية، و الفوارق الطبقية و انتشار الأمراض الاجتماعية و الأخلاقية ، و الزنا و اللواط خاصة عند أصحاب اللحى الطويلة الذين يتسترون وراء مظاهر خداعة بينما الواقع أنهم على الانحراف و الفسق.

---

1 - منامات الوهراني، ص 26-29-30-42-59 .
2 - المصدر نفسه ، ص 29
3 - المصدر نفسه ، ص 35
4 - المصدر نفسه ، ص 26

و قضايا أدب مخاطبة السادة و الأعيان و قضايا الخلافة و السياسة في موقفه من بني أمية و الشيعة و المتصوفة و الفاطميين و الأيوبيين و غير ذلك من القضايا التي يمكن أن يستنتجها كل قارئ لبيب لمنام الوهراني الكبير.1

المطلب الرابع : المبالغة و التصوير الكاريكاتوري الساخر

عرف الإمام أبو هلال العسكري المبالغة بقوله :
"المبالغة أن تبلغ المعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة على أدنى منازله وأقرب مراتبه " 2
و المبالغة الساخرة ، هي التي يعتمد فيها الأديب على الإفراط في الوصف الساخر عن طريق التجسيم والتفخيم للأشياء، حتى تبدو في صورة مبالغ فيها فتثير في نفس السامع الضحك و التندر ومثال ذلك قول البحتري واصفا شخصا يقال له **الخثعمي** كان كبير الأنف :

رأيت الخثعمي يُقل أنفا يضيق بعرضه البلد الفضاء
سما صعداً فقصر كل سام لهيبته وغص به الهواء
هو الجبل الذي لولا ذراه إذا وقعت على الأرض السماء

و لعل عبارة **"يقل أنفا"** تعطي مقدار الثقل الذي يعانيه هذا الرجل ، والمعاناة التي يتكبدها في حمل هذا الأنف ، ليصل إلى قمة تلك المبالغة عندما يشبه ذلك الأنف بالجبل الذي ترتكز عليه السماء، لكي لا تقع على الأرض اوا ليس هذا الوصف ؟ هو قمة المبالغة الساخرة .
افليس هذا هو التصوير الهزلي الكاريكاتوري الشائع في عهدنا ؟؟ اذ هو المرادف الحديث لفن المبالغة في بلاغتنا العربية القديمة ، و قد أحسن الأستاذ فتحي ابوعيسى في كتابه الفكاهة في الأدب العربي في تعريفه فقال: **((هو أسلوب يعمد من خلاله إلى المبالغة في عرض المسخور منه و إشارته و حركاته الظاهرة و تصرفاته اللافتة للنظر، و في تشخيص ملامحه الخُلُقية و الخلقية، بحيث يقف عند جوانب الضعف في جسد شخص أو في وجهه، ويكبرها كأنما يريد ان ينمي الضعف أو العيب الذي يكمن فيه إلى أقصاه))** 3

و لا ريب أن فن المبالغة و التصوير الكاريكاتوري كان من أكثر الأساليب اعتمادا من أديبنا ابن محرز الوهراني ، تفجرت فيه مخيلته الخلاقة ، فرسمت لوحات منامه الخيالي الكبير و شخصياته الخرافية المصطنعة و رموزه ، و أنطقت حتى الحيوانات و الجماد بغرض الفكاهة و التهكم و الضحك .

1 - ينظر سعدلي سليم ، تشكلات السرد الساخر و مقاصده في المنام الكبير للوهراني ، مرجع سابق ، ص 67.
2- أبو هلال العسكري،الصناعتين، المرجع السابق ص 373 - 379 .
3- فتحي محمد معوض أبو عيسى ، الفكاهة في الأدب العربي، مرجع سابق ص 36

و قد وظف الوهراني في جميع مبالغاته الساخرة ألوانا عدة من الصور البيانية تمثلت في التشبيه و الاستعارة و المجاز و الكناية ، و لم يقف الأمر عند حد البلاغة العربية بل استعان الوهراني في تصويره بمصطلحات الفقه و النجوم و الفلك و الطب و الأعشاب و الحيوانات المعروفة في عصره .

و الأمثلة على فن المبالغة كثيرة في أدب الوهراني يمكننا أن نذكر من بينها بعض النماذج الحية ضمن هذا الجدول الموضح :

الشواهد	موضوع المبالغة
"أما ترى الميزان **يرتعد بما فيه مثل المحموم اذا أخذه النافض البلغمي يوم البحران** (المنامات ص 26)	وصف تشبيهي بالغ السخرية لارتعاد الميزان يوم القيامة باستعمال المصطلحات الطبية حيث شبهه بالمريض المحموم الذي يصيبه الرعدة و الرعشة في أصعب أيام مرضه بالحرارة و هو يوم البحران.
" عرضوا اليوم صحائف اعماله بين يدي الحق سبحانه و **هي شيئ عظيم مثل جبلي سنير فلبنان فقالت الملائكة اشغالنا كثيرة**....و قد جاء هذا الرجل **بتخليط عظيم و هو يريد يوم قيامة وحده**..." (المنامات ص 28/27)	تصوير بالغ السخرية لشدة ذنوب الفقيه ابن الشهرزوري و عدم قدرة الملائكة على حسابها و وزنها
" وإذا بحلقة فسيحة عليها من الأمم ما لا يحصى ، كلهم يصفقون ويزهزهون ، **وأربعة في وسطهم يرقصون يلعبون ... فسألنا بعض أولائك عن ذلك الفرح ، وعن الأربعة الذين يرقصون فقال : أما الثلاثة فعبد الرحمن بن ملجم المرادى ، والشمر بن ذي الجوشن الضبابي، والحجاج بن يوسف الثقفي ، والشيخ الكبير أبو مرة ابليس فجار الخلائق وهم مجرمو هذه الأمة** ...وأما الفرح الذي ألهاهم عن توقع العقاب فهو الطمع في رحمة الله...وإنما قوى أطماعهم كون الباري جلت قدرته غفر اليوم للفقيه المجير والمهذب النقاش"(المنامات ص 35 /36)	تصوير كاريكاتوري خيالي ساخر لشدة ذنوب الفقيه مجير الدين و الطبيب المهذب بن النقاش وعن طريق تصوير فرح و رقص مجرمي الأمة العظام لغفران ذنوبهما تفاؤلا بان تشملهم الرحمة الإلهية ، و هم أربعة شخصيات : الخارجي عبد الرحمن بن ملجم قاتل الأمام علي بن أبي طالب، والشمر بن ذي الجوشن، قاتل ولده الحسين وصحبه، والحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق الدموي في عهد بني أمية، والشيخ أبو مرة " إبليس"
"فلما انتهى إلى شاطئ المشرعة ... عندها . فتقدمت إليه الصوفية من مكان ، وعلى **أيديهم الأمشاط وأخلة الاسنان** ، وقدموها بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم : من هؤلاء ؟ فقيل له : هؤلاء قوم من أمتك ، غلب العجز والكسل على طباعهم فتركوا المعايش وانقطعوا إلى المساجد ، يأكلون وينامون ، فقال : فماذا كانوا ينفعون الناس ، ويعينون بني آدم ، فقيل له : والله ولا بشيء ألبته ولا **كانوا كمثل شجر الخروع في البستان ، يشرب الماء ويضيق المكان** فساق ولم يلتفت إليهم"(المنامات ص 48)	تصوير كاريكاتوري بالغ التهكم لأدعياء التصوف في عهد الوهراني عند قدومهم للنبي عليه الصلاة و السلام عند المشرعة العظمى، وهم يخللون أسنانهم و يمشطون شعورهم ، وهذا دلالة على انهماكهم في الأكل و النوم ، فهم لا يفيدون المجتمع بأي شيئ . وقد شبههم الوهراني بنبات (**الخروع**)، وهو نبات ينمو في الدمن، أي : المزابل، و هو نبات شديد الخضرة ريان يانع، ولكنه رخو سريع الانكسار لامتلاء جوفه بالماء، حتى إن العرب استمدت منه فعل (خرع) للدلالة على الجبن والخور . وفوق كل هذا فإنه لا ينفع في شئ، وحتى الدواب لا تأكله بل تعافه، وإنما هو فقط يملأ الأفق ويضيق المكان

" فإنهم لما سمعوا ذلك هاجوا و ماجوا و صاحوا و باحوا و زعقوا و نعقوا و قفزا إلى السماء و نزلوا إلى الأرض، و ضربوا بأرجلهم حتى **انخسف الموضع الذي كانوا فيه فنبشوا من تحت الردم أمواتا فغسلوا و كفنوا و دفنوا و بعضهم يرقص لا يعلم** "(المنامات ص 107)	مبالغة شديدة في تصوير فرحة الصوفية في دعوة ابن زين التجار ليلة عيد الأضحى و غناء مرتضى المغني لهم ، حيث وصل رقصهم إلى حد خسفهم و زلزلتهم لمكان الحفل ، و نبش الأموات تحتهم و تغسيلهم و كفنهم
"لقد صبحت الخوارج في وهران في سبعين الف مقاتل .....و صاحوا كلهم في هدوء السحر صيحة واحدة...**فما شك احد في انه النفخ في الصور،فزل كل فؤاد عن مستقره، و أسقطت كل حامل من النساء و الحيوان**"(المنامات ص 124/ 125)	مبالغة في تصوير هلع الناس و الحوامل من النساء و الحيوانات من صيحة جنود الوهراني، حيث وصل الهلع إلى درجة إسقاط الحوامل لأجنتها .
" فتتناوله تلك الجماعة المحبون له **فيصيروا أعضاءه مدققة و يبقى لحمه بينهم أطيب من لحم الدجاج حتى إذا صيروه عظاما بيضا.**" (المنامات ص 167)	تصوير لغيبة أحباء الوهراني و تقطيعهم له في أحاديثهم حتى جعلوه بينهم كلحم الدجاج و صارت من ذلك عظامه بيضاء مدققة و هذا تشبيه كاريكاتوري بليغ .
" و أي رجل أغبى و اخسر صفقة من رجل كندي يكدى من الذي لقبه أبو يأخذ و يترك المولى عز الدين و لقبه أبو المواهب و هل في ذلك إلا **كرجل ورد على هذا النيل فتركه ناحية و حفر الى جانبه في أرض صلبة سبخة كبريتية لعله يخرج منها ماءا ملحا زعاقا و يترك العذب الزلال بغير كلفة** " (المنامات ص 138)	تصوير كاريكاتوري مضحك بالغ التهكم لغباء التاج الكندي و خسارته في صفقاته و اختياره للأمراء البخلاء الذين استنفذوا حياته بدون مال طائل ، و تركه للامير ابوالمواهب عز الدين موسك المعروف بالكرم و بذل العطاء الوافر، حيث شبهه الوهراني في ترك الأمير عز الدين بترك ماء النيل العذب الوافر و الحفر بجانبه في الأرض المالحة الصلبة لاستخراج الماء المالح القليل .
" فلم يشعر إلا والحائط الشمالي قد انشق **وخرج منه شخص عجيب الصورة ليس له رأس ولا رقبة البتة وإنما وجهه في صدره ولحيته في بطنه مثل بعض الناس في يده اليمنى زربول، وفي اليسرى شمشك** .... وقلت له: من أنت يرحمك الله ؟ فقال: أنا **أبو خطرش**، من بني الدردبيس، الساكن في هرم ميدوم عتيق"(المنامات ص 153 / 154)	تصوير كاريكاتوري رمزي لشخصية القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني بمصرالذي كان في حقيقته رجلا احدبا قصيرا قبيح الصورة ، و قد أعطاه اسما غريبا أبو خطرش و جعله من الشخصيات الخيالية التي خرجت من جدار حمام من حمامات الفيوم بمصر،و هذه سخرية رمزية من الوهراني لصديقه القاضي الفاضل الذي كانت له أفضال كثيرة عليه .
" فما له عندي من جواب **الا بالضراط المغربي الصلب يصفى في جوف لحيته من مكان قريب**"(المنامات ص 227)	تصوير كاريكاتوري مضحك في سماع الوهراني لبيت شعري ركيك ثقيل الصوت من قصيدة التاج الكندي.

"فتلقاه بيده و وضعه على كبده **فسمع له صلصلة الدنانير، و شم عليه رائحة الشواء في التنانير"**(المنامات ص 217)	وصف استعاري بليغ لشدة فرح الوهراني بقدوم جواب ابن المطلب وعطاء الأمير تقي الدين المتمثل في عشرة دنانير و عشرة خراف .
" ويكون المولى أدام الله عزه **كمن نجاه من الموت واصطنعه من القتل ، وخلصه من الشنق، واعتقه من العبودية ، واستنقذه من ماضغي الأسد ، وانتزعه من فك التمساح ، وقلعه من شدق التنين ، ونجاه من الحريق ، وخلصه من الغرق ، وأطلقه من الهوة ، وأدخله الجنة** ، ونجاه **من النار"**(المنامات ص 83)	تكرار و حشد ساخر مبالغ فيه لأوصاف و طرق الإنقاذ المختلفة من الوهراني استشفاعا من الأمير نجم الدين بن مصال لدى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي لجعله على ديوان الزكاة ، بعد ان أكل ماله (المئتي دينار) من القاضي الأثير بن بنان الذي كان يعمل عنده .
"فيقول: يا غلام اغسل حلوق القوم من ذكر الوهراني بشيئ من **الكمثري الغيلاني و السكري و العثماني و السمرقندي و الحلاني و العربي و البيطاري** ...الخ.....و بشيئ من **التفاح النبطي و البطيخي و البديري و الصيفي و الخشخاشي** .....الخ ..." (المنامات ص 170 / 171)	تكرار و حشد ساخر مبالغ فيه لأنواع الكمثري و التفاح حسب المدن المنسوبة إليها ، حيث حشد في وصفه قرابة الواحد و الثلاثين نوعا من الأنواع المختلفة .
" احترق نيل مصر في هذه السنة إلى حد ما انتهى قط إليه، حتى **ظهرت آثار المجلس الذي كان يجلس فيه فرعون يوم الزينة. ويقول: "أنا ربكم الأعلى وهذه الأنهار تجري من تحتي"**(المنامات ص 186)	تصوير بالغ ساخر لنقصان ماء النيل إلى حد الجفاف الذي اظهر أثار مجلس فرعون موسى عليه السلام يوم الزينة .
" فعمل وليمة عظيمة لم يعمل قط مثلها ...**ذبح فيها سبعمائة رأس غنم و ثمانين قنطار حلاوة منها أربع قصور و ثمانين صورة كبار و البقية صحون و عشرة أفراس .."** (المنامات ص 194)	مبالغة ساخرة في تصوير وليمة الأمير عز الدين موسك الذي فاقت كل التصورات في عدد الذبائح و مقدار الحلويات.
" كلما ذكر الخادم تلك المائدة الخصيبة ... إذا ذكر ما يأتي بعدها **من القيام و القعود و الركوع و السجود** علم أن أجرة ما يأكله في تلك الوليمة نحوا من **عشرين تسليمة** ... وما تحصل له الشبعة إلا **بأربعين ركعة** فتكون الدعوة عليه لا له و الحضور في الشرطة أحب إليه منها له .... " (المنامات ص 212)	مبالغة ساخرة في تصوير الوهراني لمائدة افطارالأثير بن بنان في رمضان و لوصفه لكثرة القيام و الصلاة بعدها .
" و إن رد هذا الرأي و لم يقبل المشورة و لعن وهران و كل من جاء منها...فيؤخذ على بركة الله **اهليلج كابلي** و **اسود** من كل واحد درهمين **أفتيمون اقريطش** عشرون درهما **بسفايح** و **سنامكي** من كل واحد عشرة دراهم	تصوير كاريكاتوري بإعطاء وصفة طبية للمولى تقي الدين على سبيل التهكم باستعمال أسماء الأعشاب الطبية المعروفة في ذلك العصر **فالهليلج الكابلي** اسم شجرة و **الأسود** اسم نبات طبي و **الافتيمون اقريطش** نبات يوناني معناه دواء الجنون ، و **البسفايح** و

يشرب الجميع آخر الليل و يقطعه بعد العصر **بأسفيدياج** نافع ان شاء الله .." (المنامات ص 109 / 110)	**السنامكي** أسماء أعشاب طبية ، أما الاسفيدياج او السبيداج فهو اسم لمرهم من المراهم الطبية المعروفة ،و للوهراني أيضا وصفة أخرى في شراب أهل الهوى(المنامات ص 151/150)
"فوصف **زحل** بثبات المولى وأناته، ونسب (إلى **المشتري** دياناته) وأمانته، واستعار (**للمريخ** عزمه وحزمه)، .. ومدح **الزهرة** ببشره ونشره، وذكر **عطارد** ببراعته وبلاغته، وأثنى على **القمر** بإنجازه ونجازه لخلعوا عليه غلائل **المجرة**، وكللوه بنجوم **الإكليل**، وأنزلوه في مضارب **سعد** الأخبية، وأسرجوا له **الكواكب** مراكب، نصبوا له **الفراقد** مراقد، وأنعشوا له جماعة **بنات نعش**، .... وأمروا سعد الذابح أن يذبح له **الجدي**، ويملأ له **الدلو**، ويقلي له **الحوت**، ويشوي له **الحمل**، وأن يطبخ له **الثور** كله سكباجا وأن يحمل له خبز **السنبلة**، وثمرة **الجوزاء**، ما يضعف ميزان **الفلك** عن حملهن ووكلوا السماك الرامح أن يرعاه برمحهن من دبيب **السرطان** ومن شوكة **العقرب**، ومن ذراع **الأسد** ومن سهام **القوس.."** (المنامات ص 112)	تصوير ساخر بديع في مدح مكارم أخلاق القاضي الفاضل عن طريق استعمال مسميات النجوم و الكواكب الفلكية المعروفة
"ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم.... ولا سيما البغال التي تشتغل في جميع الأشغال، شبكة من **القصيل** أحب إليها من كتاب التحصيل، وقفة من **الدريس** أشهى إليها من فقه محمد ابن إدريس، ولو أكل البغل كتاب المقامات مات، وإن لم يجد إلا كتاب الرضاع ضاع، ولو قيل له أنت هالك إن لم تأكل موطأ مالك ما قبل ذلك، وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات الجمل، وحزمة من **الكلا**، أحب إليه من شعر أبي العلا، وليس عنده طيب شعر أبي الطيب، وأما الخيل فما تطرب إلا سماع **الكيل**، وإذا أكلت كتاب الذيل ماتت في النهار قبل الليل، والويل لها ثم الويل، ولا تستغنى الأكاديش عن أكل **الحشيش** بكل ما في الحماسة من شعر أبي الحريش، وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار، وأصبح منفوخا كالطبل على باب **الاصطبل** "(المنامات ص 93/92)	تصويركاريكاتوري مضحك لصفة كره البهائم للعلوم و هذا باستعمال مسميات الاعلاف الى جانب مسميات الكتب الفقهية و الأدبية و النحوية و اسماء الفقهاء و الشعراء

المطلب الثالث : التعريض و الكناية الساخرة

اختلف علماء البلاغة حول الكناية و التعريض ، فذهب بعضهم الى أنهما شيء واحد ،و منهم من جعل التعريض قسما من الكناية ، و ذهب آخرون إلى أن الكناية تختلف عن التعريض .

فالكناية هي الستر و هي أن تعبر باللفظ و تريد لازم معناه ، فهناك صلة بين المكنى به و المعنى المكنى عنه حيث ينتقل الفكر من الملزوم الى اللازم .

اما التعريض فهو إمالة الكلام الى عرض (و هو الجانب و الناحية) مثل (عرضت بفلان) و ذلك إذا قلت قولا لغيره و أنت تعنيه هو فالتعريض إذا أن تذكر جملة من القول تريد بها شيئا أخر ، و لكن هذا الشيء لا يفهم بطريق اللزوم كما رأينا في الكناية و انما يفهم في السياق . 1

ومن أمثلة التعريض قول الشاعر:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بالصحراء الضمير القوافيا

وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا بني عمنا لو كان أمرا مدانيا 2

فالمعنى الظاهر من البيت الأول، هو نهي الشاعر أبناء عمومته عن تذكر الشعر، والمعنى الخفي هو التذكير بهزيمتهم في تلك الموقعة، التي دارت بينهما، وكانت الهزيمة من نصيب أبناء عمومته، ولا تلازم بين المعنيين، لأن المعنى الثاني لا يفهم إلا من خلال السياق والموقف.

وفي كتاب العقد حكاية تعريضية بليغة المعنى تروي أن امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان ، قال: ما أحسن هذه الكناية! املأوا لها بيتها خبزا ولحما وسمنا، و هذا تعريض منها عن جوعها الشديد . 3

ومن أسلوب التعريض ما جاء قوله الحق سبحانه و تعالى فيما يحكيه في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ((**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**)) 4

فقول إبراهيم عليه السلام (**بل فعله كبيرهم**) نوع من التعريض بقومه لأنه لا يقصد حقيقة، أن كبير الأصنام هو الذي حطمها، ولكنه يشير من طرف خفي إلى أنه (إبراهيم عليه السلام) هو الفاعل، وفي هذا نوع من السخرية بهم، والتهكم بمعتقداتهم الزائفة، حيث عبدوا أحجارا لا تستطيع الدفاع عن نفسها فضلا عن أن تضر أو تنفع .

ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون في أمر بعض أصحابه، وهو: ((**أما بعد، فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول في إلحاقه بنظرائه من الخاصة، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين، وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته**))، فوقع المأمون في ظهر كتابه: قد عرفت تصريحك وتعريضك لنفسك، وقد أجبناك إليهما . 5

1- فهد خليل زايد ، البلاغة بين البيان و البديع، دار يافا عمان الأردن ، ط سنة 2007 ص 129 .

2- يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا شرح ديوان الحماسة لأبي تمام دار القلم – بيروت -د ت ،جزء01 ص 31 .

3- أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ،مرجع سابق جزء01 ص 216 .

4- سورة الأنبياء الآية 62 – 63 .

5- فهد خليل زايد ، البلاغة بين البيان و البديع، المرجع السابق ص 130 .

و التعريض يختلف عن الكناية في نواحي ، فهو يأتي و يختص باللفظ المركب ، في حين تأتي الكناية مفردة و مركبة و التعريض لا يفهم من جهة الحقيقة و المجاز ،و إنما يفهم من جهة التلويح و الإشارة .
و السخرية إنما تقوى و تشتد بلاغتها بأساليب الكناية و التعريض دون الكشف و التصريح، فالمعنى المخفي تتعلق النفس به ، و تبحث عن معرفته و تطلب حقيقته على خلاف المعاني الصريحة المطروحة في الطريق ،بل إن السخرية الرمزية الكنائية التعريضية أوقع في نفس الخصم لان في الإظهار تحديدا للمراد و قصرا للغاية، و في الإطلاق اتساعا للخيال و سعة في التحليق و الظن .
و قد كان الوهراني من أولئك الأدباء الرمزيين الساخرين الذين انطقوا الجمادات و الحيوانات ، و حلقوا في خيالهم الواسع بحثا عن الكنايات و الصور الرمزية المعبرة عن نقدهم لسلوكات المجتمع الذين يعيشون فيه و أخلاقيات الساسة و القضاة و الفقهاء الغريبة .

و من بين تلك الكنايات الكثيرة نذكر كناية الوهراني في مقامته البغدادية عن كثرة الفتن الخلافات في الدولة الفاطمية بالأفاعي و العقارب التي قضى عليها الناصر صلاح الدين الأيوبي يقول الوهراني عنه: ((**فقبض على الدولة بيمينه وقابلهم باليسار في عرينه ،حتى أبادهم وقطع أكبادهم ، وتفاقم بعد ذلك أمرهم ،حتى التهب في الناس جمرهم ، فوثب عليهم وثبة الليث الكاسر ،وسطا بهم سطوة البطل الباسل ،حتى اخرج المفسد والمحارب، وقتل الأفاعي والعقارب ،فمهدت له شعابها، وزلت لسيفه صعابها**)) . 1
و لعل اشد كناية ساخرة عند الوهراني وصفه لأدعياء الصوفية بحمل الأمشاط و أخلة الأسنان و هي كناية عن إسرافهم في الكسل و النوم و الأكل ((..**فلما انتهى إلى شاطئ المشرعة ... عندها . فتقدمت إليه الصوفية من مكان ، وعلى أيديهم الأمشاط و أخلة الأسنان ، وقدموها بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم : من هؤلاء ؟ فقيل له : هؤلاء قوم من أمتك ، غلب العجز والكسل على طباعهم فتركوا المعايش وانقطعوا إلى المساجد ، يأكلون وينامون** ...)) . 2
و من كنايات الوهراني البليغة كنايته عن إيقاد الفتنة في وصفه الساخر لرحلة الأمير سيف الدين الأيوبي للصيد و الفرجة بالإسكندرية المبالغ في اصطحابه للجند ، حيث خرج منهم ثلاثمائة جندي إلى ناحية المغرب كادوا أن يوقدوا فتيل الفتنة فيه بتحريكهم عش الزنابير يقول في ذلك : ((**... فهرب من الجند الذين كانوا معه نحو من ثلاثمائة فارس إلى ناحية برقة و المغرب ، يحركون عش الزنابير...**)) . 3
و في مقامته الصقلية كناية ساخرة للوهراني عن صغر العمر و قلة النفع و الفائدة للقاضي ابن رجاء من مدينة صقلية يقول فيها : ((**...فما تقول في ولده؟ قال : ابن لبون لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب ..**)) . 4
و إذا تحدثنا عن فن التعريض فللوهراني يد كبرى فيه ، ولا أدل على ذلك من كثرة تلميحاته البعيدة في تهكماته و عبثه السخيف من السلاطين والأمراء و الأدباء و الفقهاء و القضاة في

1- منامات الوهراني ص 13 .
2- المصدر نفسه ص 48 .
3- المصدر نفسه ص 188 .
4- المصدر نفسه ص 220 .

عهده ، خاصة منهم الذين تحاشوه أو أبعدوه عن الوصول إلى بلاطاتهم وأخذ صلاتهم، فكان أن صب عليهم جام غضبه وعلى أعوانهم بل و حتى على الحياة التي ألجأته إلى تجرع مرارة الإخفاق والحرمان، وقذفته إلى الهامش .

و لم يكن الوهراني يخشى انتقام وزير أو سطوة أمير في فضحه للعورات النفسية والجسمية والعقلية لكثير من شخوصه ، بل لم يتورع عن ذلك حتى عند مخاطبته لكبار زعماء عصره، كنور الدين محمود الشهيد زنكي الأتابكي، وخلفه صلاح الدين الأيوبي، رغم ما عرف عنهما من سداد وصلاح، ثم بقية وزرائهما وأعوانهما الكبار من قبيل القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني والعماد الكاتب الأصبهاني، فما بالك بمن هم دون ذلك، أو من هم على شاكلته من الكتاب والفقهاء والعلماء والأدباء العاديين الذين كان يحلو له دائما أن يلهو بهم ويعبث بسيرتهم تارة بالتصريح، وتارة بالرمز و التعريض و التلميح .

و من اجل تعريضات الوهراني المضحكة في رسالته إلى الوزير **مجد الدين بن عبد المطلب** بمصر تعريضه الرمزي بصديقه القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي الذي كان في حقيقته احدبا قصيرا قبيح الشكل من خلال قوله :

((... فلم يشعر إلا والحائط الشمالي قد انشق وخرج منه شخص عجيب الصورة ليس له رأس ولا رقبة البتة وإنما وجهه في صدره ولحيته في بطنه مثل بعض الناس ، في يده اليمنى زربول، وفي اليسرى شمشك (....) وقلت له: من أنت يرحمك الله ؟ فقال: أنا أبو خطرش، من بني الدردبيس، الساكن في هرم ميدوم عتيق..)) .1

و من تعريضاته بالأمراء تعريضه بالأمير **سيف الدين الأيوبي (ت 593هـ)** شقيق صلاح الدين الأيوبي بالبخل و عدم العطاء عن طريق وصف شدة إسرافه و تبذيره للمال يقول في ذلك : **((..الملك المعظم – أدام الله أيامه – كما تعلم ينهب الأيام نهبا، ويقطع الأوقات إلى اللذات وثبا، أنفق بعد وصوله إلى ديار مصر نحوا من مائة وسبعين ألف دينار كأنما وقعت في بئر، لم يظهر لها حس ولا خبر إلا على المساخر والقوادين..))** .2

المطلب الثالث : تأكيد الذم يشبه المدح

يعد الذم أو الهجاء بما يشبه المدح من الأنواع البديعية الشائعة في البلاغة العربية التي استخدمها الأدباء أسلوبا خفيا و فعالا للتعبير عن السخرية ، حيث يأتي عبره الأديب بألفاظ ظاهرها المدح إلا أن في باطنها الحقيقي الهجاء والقدح ، و من ذلك قول دعبل الخزاعي في قوم استضافوه فلم يطعموه حتى غلبه النوم :

هناكم أنكم قوم كرام و أن النوم بينكم طعام
أتاكم زائر فأجعتموه فلما نام أشبعه المنام

و من يسمع هذا الكلام يظن و يتوهم أن دعبلا يمدح القوم، فإذا ما دقق النظر تبين انه تهكم و سخرية بهؤلاء اللئام الذين أجاعوا ضيفهم و أشبعوه نوما .

1- منامات الوهراني ص 153-154 .
2- المصدر نفسه ص 187 .

و قد كان الوهراني على شاكلة هؤلاء الأدباء الأذكياء الذين احتالوا على القضاة و الأمراء فأوهموهم المدح و هم يضمرون الذم ، و لعل أكبر خصلة ذمها هذا الأديب في أمراء عهده هي البخل و عدم الإنفاق على المحتاجين ، يقول في رسالته إلى صاحبه الأمير نجم الدين بن مصال مادحا متعجبا منه :

((..يا سيدى الجاه زكاة الشرف وأنت قارون العنايات والخادم ابن السبيل والملك الناصر لا يطرب إلا عند سماع الطالبين، ولا يهتز مثل السيف الصقيل إلا عند السؤال ، ومن أعجب الأشياء أن المولى نجم الدين – أدام الله عزه – جالس على رأس الينبوع الذي يتفجر منه نيل مصر ، لا يصل إلى الناس منه إلا ما يخرج من شبابيك أصابعه ، وخادمه في السياق من شدة العطش يتمنى قطرة يبل بها فؤاده..)) .1

و لم يقتصر المدح بغرض الذم على الأمراء بل طال أيضا صديقه القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي الذي تناسى الوهراني في غمرة أشغاله و مهماته في الدولة فكتب اليه معاتبا قائلا : ((.. **مجلس مولانا القاضي الأجل الفاضل- أطال الله بقاءه- مجلس قضاء وتنفيذ ، وموضعه موضع إبرام وتحليل (...) ومنه يتفجر ينابيع الأرزاق ، وفيه مشابهة من اللوح المحفوظ ، فلأجل ذلك ساعاته مترعة بالأشغال ، وأوقاته ملآنة بمهمات الدولة ، متدفقة بحوائج الناس ليس فيه فضلة لمستفيد علم، ولا لمبتغي انس وتذكار ، فكسدت عنه بضاعة الخادم وبارت بضائع البطالين..))** . 2

و من أجمل تعابير الوهراني في مقامته المسجدية تصويره الساخر لثناء جامع المزة و حمده و شكره لله عز وجل على الخراب و هذا مدح ظاهر بغرض الذم الخفي يقول الوهراني : **((..فابتدأ جامع المزة المقال ، وتقدم بين يدي الملك وقال : الحمد لله الذي قضى علينا بالخراب ، وصير أموالنا كالسراب ، وجعلنا مأوى البوم والغراب ، أحمده حمد من كان فقيرا ثم استغنى ، وأدرك بمال الوقوف ما تمنى..))** . 3

و في مقامته الصقلية مدح بصيغة الذم ، يقول فيه عن احد الكتاب المشاهير في صقلية :

((.... قلنا : فما تقول في الكاتب يوسف ؟ فقال : الرجلة والشهامة والتقدمة والزعامة، غير أن في أسفله داء أسأل الله منه السلامة....)) . 4

و من أخفى نعوت الوهراني للذم الساخر نعت أصحابه له **ببرصيص العابد** في قوله : **((...و أردت الانصراف فقال ارجع فأنت برصيص العابد ايش حاجتك ؟..))** . 5

و هو نعت يوهم بالمدح إلا أن الأصل في قصته الهجاء و السخرية الشديدة ، فبرصيص اسم راهب ظل يتعبد ستين سنة ثم وقع على امرأة فحملت منه فقتلها ليخفي خطيئته، و قيل انه لما ظهرت جثتها أخذ الراهب و حكم عليه بالموت، و عندئذ ظهر الشيطان ، و قال له انه هو الذي زين له تلك الفعلة و وعده انه سينجيه إذا سجد له فسجد له الراهب و توارى الشيطان .

1- منامات الوهراني ص 208 .
2- المصدر نفسه ص 211 .
3- المصدر نفسه ص 63 .
4- المصدر نفسه ص 220 .
5- المصدر نفسه ص 81-82 .

و تجدر الإشارة هنا إلى أقوى لوحات الوهراني عبثية و رمزية و نقدا لمجتمعه الإنساني المعاصر، تلكم اللوحة الغريبة المعبرة التي مدح فيها الكلاب فجعلهم من الأجواد المشاهير في عهده ، و ليس في هذا الأسلوب إلا المدح الذي يأتي من ورائه الذم الساخر لفساد البشر الأخلاقي الذي شعرت به حتى الحيوانات ،فتبادلت الكلاب الرسائل بينها فقالت :

((.. كتب كلب إلى كلب أما بعد يا أخي - أدام الله حراستك – فإن بنى آدم قد تسافلوا إلى حد ما عليه من مزيد ، حتى بقيت أنا وأنت بالإضافة إليهم كمعن بن زائدة وطلحة الطلحات [1] **فارتع في المجازر و نم في المزابل وارفع ساقك وبل على من لقيت منهم والسلام..))** [2]

و قد يعكس أسلوب السخرية في تأكيد الذم بما يشبه المدح فينصرف إلى طريقة المدح بما يشبه الذم ، و من أمثلة ذلك رسالة الوهراني إلى أبى القاسم الأعور الملقب بالعون و التي مدح فيها إمامته و فقهه و دفاعه عن السنة من أهل الرفض و التشبيه ، و لكن بأوصاف ساخرة مفعمة بالاستهزاء و الضحك فيها ذم شديد و لكنه بغرض المدح يقول الوهراني :

((...يا مولاي الشيخ الإمام الزاهد ، دبوس الإسلام ، لت الشريعة ، جرخ الفقهاء، قنطارية العلماء ، تافروت الأئمة، طبل باز السنة نصر الله خاطرك وستر باطلك أنت تعلم أن الله تعالى ما خلقك إلا قلعة، ولا تصلح أن تكون إلا قلعة ولكن في رقاب الرافضة والملحدين، وما صورك إلا لالكة ولا يجوز أن تكون إلا لالكة ولكن في رؤوس المشبهة والزائغين ،وأنت لا شك ولا مرية جعموس عظيم كبير ، ولكن في ذقون المبتدعة والمضلين ، فنسأل الباري جلت قدرته أن ينفعك بالإيمان والإسلام ، وأن لا يوقعك يوم القيامة في يد علي بن أبي طالب عليه السلام. وأن يستنقذك من أمك الهاوية بشفاعة أمير المؤمنين معاوية...)) . [3]

1- **معن بن زائدة** : بن عبدالله بن مطر الشيباني من اشهر اجواد العرب و احد الشجعان الفصحاء ادرك العصرين الاموي و العباسي اكرمه ولاه الخليفة المنصور اليمن قتل ايام الهاشمية و ثورة اهل خراسان بتاريخ 151هـ انظر قاموس الاعلام للزركلي جزء 07 ص273 .

طلحة الطلحات : (28ق هـ -36هـ /596-656 م)هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة و من الاجواد الكرماء لقبه النبي صلى الله عليه و سلم لذلك بطلحة الخير و طلحة الجود و طلحة الفياض شهد كل المشاهد مع النبي قتل يوم الجمل و هو بجانب عائشة رضي الله عنها انظر قاموس الاعلام للزركلي جزء03 ص 223 .

2- منامات الوهراني ص 208-209 .

3- المصدر نفسه ص 128 .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الخاتمة

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الخاتـــمـــــة:

بعد أن قمنا برحلة جميلة طويلة الأمد، استكشفنا في جنباتها مفهوم السخرية و نشأتها صورها المتنوعة، ثم عرجنا منها لاستكشاف حياة أديبنا الجزائري ابن محرز الوهراني صاحب المنامات الخيالية ورائد المقامات في الأدب الجزائري والفن الساخر والنقد اللاذع ذلك الأديب المغمور في طي النسيان.

و لم يقف الأمر عند ذلك بل غصنا في بحر أدب الوهراني العميق الزاخر بالغرائب و العجائب، ليتبين لنا بما يدع مجالا للشك رسوخ قدم هذا الأديب اللامع في القرآن الكريم و البلاغة و الشعر، بل و أيضا فرط ذكائه واتساع خياله و خصوبته مما يجعله فريدا من نوعه

و لكن الشيء الذي يحز في النفس أن يكون جزاء هذا الأديب من عصره و بعد عصره أن يرمى بأدبه الفكاهي الرائع في ركن الأدب الهامشي المتهم بالخلاعة و المجون، بالرغم من شهادته التاريخية على نفسه بأنه ليس وسخ اللسان، و إنما كان قصده في مزج أدبه بالألفاظ و الأوصاف الخليعة الماجنة قول الحقيقة و الصدق والصراحة، و بعث الضحك و الفرحة على وجوه قرائه الذين ملوا من أدب الرسميات و من أدباء البلاط والملوك ممن كان دأبهم التزويق و التصنع في كتاباتهم والنفاق الظاهر .
كان الوهراني شيخ فن السخرية في عصره، و إذا كان الدكتور عبد الملك مرتاض يرى بان بديع الزمان الهمذاني يجب أن يكون اسخر كاتب بعد الجاحظ، فإننا نرى بأن الوهراني يستحق أن يكون اسخر كاتب في الأدب العربي بعد الهمذاني لتفرده عن أقرانه الكتاب في القرنين الخامس و السادس في الموضوعات التي تناولها في منامه و مقاماته و رسائله و الطريقة المتميزة التي قدمها للقراء، و التي تنم عن خفة روحه و كمال ظرفه و رقة حاشيته إلى جانب قدرته الكبيرة على جذب القارئ و تشويقه في متابعة منامه الخيالي و أدبه العجائبي البديع .

و لم يفرق الوهراني في هذه السخرية السوداء بين الحاكم و المحكوم، أو بين العالم و الجاهل ،أو بين الإنسان و الحيوان و الجماد ، فسخريته مست الجميع ، فلم يترك فقيها و لا قاضيا و و لا طبيبا و لا شاعرا و لا كاتبا في ديوان الإنشاء و لا أميرا و لا وزيرا ، إلا و نقده و عرى سوءاته، و فضح نفاقه و زيفه بالتلميح أحيانا وبالتصريح أحيانا أخرى، مستخدما في ذلك فنيات و أساليب خاصة ، بل وصل الأمر في السخرية حتى من الملائكة و الشياطين و المساجد و المقامات و المشاهد و طائر الخفاش و البغال و الكلاب .

و لعل رحلتنا الاستكشافية في تلمس أساليب الوهراني المتميزة في فن السخرية من عصره و خصومه كانت صعبة بقدر صعوبة استخراجها لتداخلها وكثرتها ، بحيث لا يمكن إحصاؤها أو عدها ، حيث قادتنا هذه الرحلة إلى استنباط جملة من النتائج نلخصها في النقاط التالية :

01- أبدع الوهراني في مقاماته و رسائله و خاصة منامه الكبير حيث سلك فيه مسلك من سبقه كأبي العلاء المعري و ابن شهيد من حيث موضوع المنام الذي هو رحلة خيالية إلى العالم الآخر، بيد أن الوهراني في منامه الكبير تميز عن هؤلاء بأن نهج في مناماته منهجا و أسلوبا جديدا في المعالجة الأدبية الساخرة، إذ جاء بمنطق الحكي و السرد أشد إحكاما و تعقيدا ، وجرت أحداثه في فضاء عجائبي و غرائبي أدرجه بقوة ضمن دائرة الأدب العجائبي.

02- استدعى الوهراني في مقاماته و رسائله و منامه الكبير شخصيات مختلفة صنف منها فيه العلماء و الفقهاء و المحدثين و المتصوفة و صنف آخر فيه الشخصيات الإسلامية و التاريخية و السياسية ، و صنف أخر فيه الشخصيات الخيالية و الرمزية كالمساجد و الملائكة و إبليس و الحيوانات، و الجديد فيها أن أغلب شخصياته الحقيقية و الرمزية معاصرة له ، و لذلك تبين أن إختياره لها كان انفعالا بأحداث عصره و قضاياه الفقهية و السياسية ، على خلاف المعري الذي كانت شخصياته في رسالة الغفران لغوية و فكرية و فلسفية ، و كذلك ابن شهيد الذي كانت شخصياته نقدية و بيانية .

03- صاغ الوهراني أحداث قصص مقاماته و رسائله الساخرة في شكل حكايات سردت بوعي فني خطابي متميز قدمت فيها الأحداث تقديما بانوراميا على شكل مشاهد ، لوحات متعددة معتمدا فيها على عنصر الانتقال السريع و المفاجئ بين المشاهد .

04- استخدم الوهراني " الحوار " كأسلوب ساخر متميز في بناء قصصه خاصة منامه الكبير، وقد كان اللبنة الرئيسية التي هيمنة على مجمل مفاصله، و لعل هذه الهيمنة و الغلبة هي التي جعلت أحد الباحثين يعد منام الوهراني أنموذجا جديدا للمسرح العربي التراثي الساخر.
و لقد كان أسلوب الوهراني الحواري في منامه قريب كل القرب من الأساليب الدرامية المسرحية الحديثة، و بالأخص مسرحيات الملهاة الفكاهية الساخرة ، و يظهر ذلك من خلال توظيف الوهراني للمزاح و السخرية الشديدة، و من حيث البساطة و الارتجال، و من حيث استعمال الجرأة و الصراحة إلى حد الفحش و تعدد المشاهد و اللوحات و الخلفيات .

05- تميز أسلوب الوهراني في هذا منامه، و بعض من رسائله بالبساطة و العفوية و الاسترسال التي جعلها منهجا لكتاباته، مخالفا فيها كتاب عصره الذين مالوا أكثر مالوا إلى أسلوب الصنعة و التكلف و التقيد بالسجع ، و المبالغة في استخدام

المحسنات البديعية ، و قد صرح بذلك في منامه حيث عاب أسلوب ابن العميد المنمق و المزخرف في الكتابة متهما إياه بالجهل و التكلف .

06- كانت مقامات و رسائل و بالأخص منام الوهراني الكبير مسرحيات، جعل الوهراني كل شخصياتها الحقيقية و الخيالية أقنعة حاجبة اختفى الوهراني من ورائها ليتكلم بكل حرية و عفوية ، و يطلق سهام سخرياته اللاذعة و نقده الجارح على قضايا عهده المزري الذي يعيش فيه، معرضا فيها لمظاهر المجتمع و السياسة و الدين و الأخلاق كإنتشار موجة اللهو و المجون و الفحش بين العوام و الخواص، و سوء سلوكات المتصوفة و الأطباء و القضاة و العلماء و واقع الأدباء و الأدب المزري، حيث قام الوهراني بالتحصن بمناماته و قصص رسائله و مقاماته عبر غرائبية أحداثها في عالـم الخيال و الحقيقة، و قال ما يستطيع أن يقوله بصريح العبارة في التعبير عن مواقفه السياسية و الفكرية و الاجتماعية من أحداث عصره مستخدما في ذلك أسلوبه التهكمي الساخر الخاص الذي لم يسلم منه أحد مقدسا كان أم مدنسا .

07- تأثر الأديب الجزائري ابن محرز الوهراني بالبيئات والموجات السياسية و الفكرية و الأدبية التي صاحبها في مسيرته الإبداعية خلال العهد الأيوبي، و لا أدل على ذلك من أدبه الذي يقرأه الواحد منا فيجده مرآة عاكسة لواقع عصره السياسي و الفكري و قاموسا جغرافيا و اجتماعيا مليئا بمسميات المناطق الجغرافية و الأطعمة و الألبسة و الصنائع ، بل و حتى قاموسا للهجات العامية الشائعة في ذلك العهد .

08- علو كعب أديبنا الوهراني في البلاغة العربية و قدرته الفائقة على التحكم في استعمال الألفاظ إلى حد التلاعب فيها و إخراجها من دلالاتها الحقيقية إلى دلالاتها المجازية الساخرة بل حتى اختراع بعض الألفاظ المصطنعة الدالة على السخرية و الإضحاك ، إلى جانب التحرر من اللغة الفصيحة و استعمال الألفاظ العامية الدارجة في عصره، وكذلك العبارات و الكلمات الخليعة الماجنة المعبرة عن ادب والشارع والفئات الهامشية ، وغيرها من الجوانب المسكوت عنها .

09- إتباع الوهراني نهج كتاب الرسائل و المقامات في الاقتباس و التضمين من الآثار الأدبية والدينية المعروفة في عهده على اختلافها، مثل القرآن الكريم، والأشعار، والأمثال و غير ذلك من الآثار ، حيث تميز عن غيره من الأدباء بالذكاء و الحذاقة في الاقتباس و التضمين بما يخدم غرضه الخفي المتمثل في إمتاع القارئ المتلقي و إضحاكه و السخرية السوداء من شخصيات عهده المختلفة ، والعجيب في ذلك وصول الاقتباس القرآني أحيانا إلى حد المحظور التي يتنافى مع قدسية وجلالة القران الكريم .

10- سعة و خصوبة خيال الوهراني من خلال فن المبالغة و التصوير الكاريكاتوري الذي كان من أكثر أساليبه، تفجرت فيه مخيلته الخلاقة، فرسمت لوحات منامه

الخيالي الكبير و شخصياته الخرافية المصطنعة و رموزه ، و أنطقت حتى الحيوانات و الجماد بغرض الفكاهة و التهكم و الضحك ، حيث وظف الوهراني في جميع مبالغاته الساخرة ألوانا عدة من الصور البيانية تمثلت في التشبيه و الاستعارة و المجاز و الكناية و التعريض، و لم يقف الأمر عند حد البلاغة العربية بل استعمل مصطلحات الفقه و النجوم و الفلك و الطب و الأعشاب و الحيوانات المعروفة في عصره .

11- شيوع ميزة الترميز و الحيلة و الذكاء في أدب ابن محرز الوهراني الساخر، حيث يظهر ذلك في إنطاقه للجمادات و الحيوانات، بحثا عن الكنايات و الصور الرمزية المعبرة عن نقده لسلوكات المجتمع الذي يعيش فيه و أخلاقيات الساسة و القضاة و الفقهاء الغريبة، إلى جانب حيلته و ذكائه في استعمال أسلوب المدح بما يشبه الذم اتجاه القضاة و الأمراء في عصره، الذين ذم فيهم خصلة البخل و عدم الإنفاق على المحتاجين .

وإننا نرجو من الله عز وجل أن قد وفقنا في كتابة هذه المذكرة المتواضعة المستكشفة لأنواع و أساليب السخرية عند هذا الأديب الجزائري المغمور، و هذه المذكرة لابد أن يعتريها حتما النقص والتقصير فالكمال لله وحده ، كما أننا نأمل أن نكون قد قدمنا من خلالها ولو نزرا قليلا من الفائدة والعون لكل من هم قادمون بعدنا من طلبة العلم المهتمين بدراسة الأدب الجزائري و العربي الساخر .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

قائمة المصادر و المراجع

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

قائمـــة المصادر و المـــراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .**

أ- قائمة المصـــادر والمراجـع العربية :

01/ المصـــــادر:

1) ابن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، تحقيق ابراهيم شعلان و محمد نغش، منشورات الجمل كولونيا، ألمانيا.ط1 ، 1998م .
2) صلاح الدين المنجد ، الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي،دمشق ط 1965م .

02 / المراجـــــع:

3) ابراهيم عبد القادر المازني ، حصاد الهشيم ، مطابع دار الشعب، مصر، دت .
4) ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، تحقيق حنفي محمد شرف،لجنة إحياء التراث الإسلامي،الجمهورية المتحدة ،د ت
5) ابن الأثير أبو الحسن علي الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تمدري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، ط 1 سنة 1997 م.
6) ابن الدهّان أبو الفرج عبد الله بن سعد ، الديوان الشعري ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968م .
7) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبدالقادر الارناؤوط ،دار ابن كثير دمشق، ط 01 سنة 1986 .
8) ابن جبير أبو الحسين محمد تقديم محمد مصطفى زيادة،رحلة ابن جبير،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان د ت ،
9) ابن حجة، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، دار ومكتبة الهلال-بيروت ط 2004 م .
10) ابن حجر العسقلاني ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت،د ت
11) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت .
12) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن.تحقيق أحمد صقر.دار إحياء الكتب.مصر،د ت .
13) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ،ط 6، (د.ت) .

14) أبو الحسين احمد بن فارس الرازي، الصاحبي، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة،د ت .
15) أبو السعود محمد بن محمد العمادي،تفسير القران المسمى إرشاد العقل إلى مزايا القران الكريم،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت .
16) أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحي الوشاء، الموشي أو الظرف و الظرفاء، تحقيق كرم البستاني،دار صادر بيروت لبنان، ط 1965م .
17) أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب بيروت ط01 سنة 1989م .
18) أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر،تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 3 سنة 1978 م .
19) أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف،مطبعة بير فونتانة الجزائر ط سنة 1906 .
20) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط 1998.
21) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة ط 05 سنة 1984م .
22) أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ،دار الكتب العلمية بيروت ط01 سنة 1984م .
23) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1 ،1982م .
24) أبو منصور الثعالبي ،فقه اللغة، تحقيق مصطفى السقا و و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة، ط 1972م .
25) أبو نصر إسماعيل بن حمادة الجوهري، تاج اللغة و صحاح العربية، راجعه واعتنى به الدكتور محمد محمد التامر و أنس محمد الشامي و زكريا جابر احمد ، دار الحديث القاهرة، ط 2009 م .
26) أبو نواس الحسن بن هاني ،الديوان الشعري، دار صادر بيروت لبنان ط 1962
27) أبو هلال العسكري ،ديوان المعاني، تحقيق احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت ط1سنة1994م .
28) أبو هلال العسكري، الصناعتين،تحقيق مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية بيروت،ط 02 سنة 1983م .
29) احمد احمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر القاهرة، ط2 سنة 1964م .
30) احمد احمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ،دار نهضة مصر القاهرة ،ط2 سنة 1979م .
31) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ،معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ، ط 1979
32) احمد حسن بسج، شرح ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية بيروت ط1، ،ط 1994 .
33) إسماعيل بن كثير أبو الفداء ، البداية و النهاية ، مراجعة مجموعة من المؤلفين ، دار البيان العربي القاهرة ، ط 2006 م .

34) اسماعيل بن محمد امين الباباني البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، دت .

35) الأغا بن عودة المزاري أبو إسماعيل ،طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر،تقيق يحي بوعزيز،دار الغرب الاسلامي بريوت لبنان،ط 1990 .

36) الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر، تحق يحي بوعزيز، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، ط 1990م .

37) برجسون هنري، الضحك، ترجمة سامي الدروبي و عبدالله الدايم، الهيئة المصرية للكتاب ، ط2 سنة 1997 م .

38) بهاء الدين يوسف ابن شداد ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين، تحق جمال الدين الشيال،مؤسسة الخانجي القاهرة ط 1962م .

39) التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام دار القلم – بيروت - د ت .

40) الجاحظ : البخلاء مراجعة و شرح ، كرم البستاني ،ط1، دار صادر بيروت ،ط 1998م .

41) جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت لبنان،ط 1991م .

42) جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ، دار المعرفة بيروت د ت .

43) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت لبنان،ط 1979م .

44) جميل جبر ، نوادر الجاحظ ، بقلم الجاحظ ، سلسلة عالم الفكاهة ، د ط، دار الحضارة ، الجزائر، دت .

45) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط 3 سنة 1986 م .

46) حامد عبده الهوال،السخرية في ادب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1987

47) الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تحق محمد قرقزان دار المعرفة بيروت 1987م.

48) حسن جلاب، الدولة الموحدية ،منشورات الجامعة ،المغرب،ط2 سنة 1985م .

49) خليل شرف الدين، ابن الرومي، الموسوعة الأدبية المسيرة ، منشورات دار مكتبة الهلال للطباعة و النشر ، بيروت، ط 1996 م

50) خير الدين الزركلي، معجم الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط 15 سنة 2002 م

51) زيد بن عبد الله ، أبو الخير الهاشمي، الأمثال ، دار سعد الدين، دمشق ط 01، 2003 .

52) سعيد علوش ،معجم المصطلحات الأدبية و المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان ط 1985م .

53) سليمان محمد الشبانة ، الرسوم الساخرة في الصحافة (الكاريكاتور) دراسة تحليلية شركة العبيكان ،الرياض السعودية ، د ت .

54) شفيق جحا و منيرالبعلبكي بهيج عثمان،المصور في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 06 سنة 1999 م .

55) شلوميت رومين كنعان ، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة ، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1995**م .**
56) شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط 03 سنة 1985 م .
57) شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي،العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت سنة 1984 .
58) شهاب الدين الحلبي ،حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة بغداد 1982**م .**
59) شوقي ضيف، في الشعر و الفكاهة في مصر.، دار المعارف القاهرة مصر، ط 1999.
60) شوقي محمد المعاملي، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط 1987م .
61) الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك ، الوافي بالوفيات ،تح احمد الارناؤوط و تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،ط1 سنة 2000 **م .**
62) ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر،القاهرة د ت .
63) طاش كبري زاده ،مفتاح السعادة و مصباح السيادة، دارالكتب الحديثية القاهرة د ت .
64) عادل نويهض ،معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت،ط02 سنة 1980م.
65) عباس بيومي عجلان،الهجاء الجاهلي صوره و أساليبه الفنية،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، **د ت .**
66) عباس مصطفى الصالحي ، فن المقامة بين الأصالة العربية و التطور القصصي ، دائرة الشؤون الثقافية و النشر بغداد، ط 1984 **م .**
67) عبد الأمير مهدي الطائي المقامات أصالة وفناً و تراثاً، دراسة و تحقيق، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 2001 م **.**
68) عبد الحليم حنفي ،أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1987 **م .**
69) عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية ليبيا،ط1 سنة 1988م .
70) عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، تحق خليل شحادة دار الفكر بيروت ط 2 سنة 1988**م .**
71) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1980م .
72) عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،ط3، بيروت ، 1983**م .**
73) عبد العزيزعتيق،الأدب العربي في الأندلس،دار النهضة المصرية، بيروت ،د ت .
74) عبد الغني العطري ،أدبنا الضاحك ، دار البشائر دمشق ط 2 سنة 1991
75) عبد الله بن المعتز، البديع ، دار المسيرة ، بيروت لبنان، ط3 سنة 1981**م .**

76) عبد المتعالي الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،مكتبة الآداب مصر ، د ت .
77) عبد الملك مرتاض، مقامات السيوطي، اتحاد الكتاب العرب دمشق،ط 1996م .
78) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة ط01 سنة 1991م .
79) عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق،ط 1989م .
80) على مصطفى المصراتي، مجمع الجهلة ، مجموعة قصصية ، ط 2، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلام ، ليبيا ،ط 1999م .
81) علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، تحقيق محمد أبو الفضل و علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي ط 1966م .
82) علي فاعور، شرح ديوان أبي نواس،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1994
83) عمر بن قينة ، فن المقامات في الأدب العربي الجزائري ، دار المعرفة، الجزائر، ط سنة 2007 م .
84) العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2005 م .
85) فاعور ياسين، السخرية في أدب إميل حبيبي ، دار المعارف للطباعة و النشر ، سوسة ، تونس، ، د.ت .
86) فتحي محمد معوض أبوعيسى،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط 1970م .
87) فهد خليل زايد ، البلاغة بين البيان و البديع، دار يافا عمان الأردن ، ط سنة 2007
88) القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، رسائل الحرب و السلام ،اختيار ابن الدياجي ، تحق محمد نغش، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ، ط 02 سنة 1984
89) قحطان رشيد التميمي، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري،دار المسيرة بيروت لبنان، دت .
90) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط 2 سنة 1992م .
91) مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب،مكتبة لبنان بيروت، ط2 سنة1984 م .
92) مجيد طراد ، شرح ديوان الأخطل ،ط1، دار الجبل ، بيروت ،ط 1995،
93) محفوظ كحوال ، أروع قصائد أحمد مطر ، سلسلة الشعر العربي المعاصر ، أكثر من 230 قصيدة ، مكتبة نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، د ت .
94) محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، مضافا إليه تفسيرات العالم اللغوي أبي جعفر محمد بن حبيب ، ج1،د ط، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دت .
95) محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ، مطبعة جمعية التراث غرداية ، (د .ط) ، 2004
96) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي البوعبدلي،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط 1979م .

97) محمد رجب النجار،حكايات الشطار و العيارين في التراث العربي، عالم المعرفة ، الكويت،ط 1981م .
98) محمد رشيد ثابت ، البنية القصصية و مدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام- دار العربية للكتاب- ليبيا، ط 1975م .
99) محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ،منشأة المعارف الإسكندرية مصر، ط سنة 1990 م.
100) محمد محمد حسين ،الهجاء و الهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية بيروت ط 3 سنة 1969م .
101) محمود شكري الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القران و السبع المثاني، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 4 ،1984 م.
102) محمود مصطفى، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،ط سنة 1967م .
103) مرتضى الزَّبيدي ،أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت ، ط 1966م .
104) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، تحقيق قاسم الشماعي، دار القلم بيروت لبنان ط 1 1987م .
105) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ،المفضليات، تحقيق و شرح احمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف مصر، ط 1962م .
106) نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز أو تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الاسكندرية
107) نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية بالأزهر،ط 1978م .
108) ياقوت الحموي معجم الأدباء،تحقيق احمد الرفاعي مطبوعات دار المأمون بيروت، د ت
109) يحي بن حمزة العلوي،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز،دار الكتب العلمية بيروت ط سنة 1982 م .
110) يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبدالحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر، د ت .
111) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الاسلامي بيروت ط1 سنة 1995م .
112) يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار البصائر الجزائر، ط سنة 2009 م .
113) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر، 2008 م .

ب- المجلات و الدوريات:

114) مجلة المقتبس ، أصدرها محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي، العدد1،المجلد 1، تاريخ 1906/02/24 دمشق سوريا

115) نعمات أحمد فؤاد ، المازني الساخر، سلسلة أبحاث و مؤتمرات ، إشراف :أ.د جابر عصفور ، أبحاث المؤتمر : إبراهيم المازني إبداع متجدد، المجلس الأعلى للثقافة ، 28-30 يونيو 1999، مصر .

116) مجلة علامات ، الدار البيضاء المغرب، العدد 6.سنة.1996 .مقال مترجم لجان كوهن بعنوان: الهزلي والشعري.ترجمة محمد العمري .

ج- المذكرات الجامعية :

117) سليم سعدلي ، تشكلات السرد الساخر و مقاصده في المنام الكبير للوهراني، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزوسنة 2012 م .

د- قائمة مراجع الانترنت :

118) بكري الشيخ أمين، محمود سالم ،الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة ،مقال في الموسوعة العربية الرابط: www.arab-ency.com

119) تاريخ وهران على موسوعة ويكيبيديا الرابط : http://ar.wikipedia.org/wiki/

120) جمعية القلعة لرعاية التراث " الأخبار" شخصيات من التراث ، الفكاهة و الهزل في القص العربي العربي القديم الرابط : http://www.khanfort.com/?cat=13

121) رياض نعسان أغا : السخرية و التهكم في أدب حسيب كيالي ، مجلة دروب الالكترونية الإمارات الرابط http://www.doroob.com/?p=27544

122) عبد اللطيف المصدق ،منام الوهراني نموذج المسرح العربي التراثي الساخر، مدونة كلمات عابرة للأستاذ عبد اللطيف المصدق على الانترنت الرابط :
http://kalimatabira.blogspot.com/2008/02/blog-post_22.html

123) عبد اللطيف المصدق ،رسالة مقامية هزلية لركن الدين الوهراني المغربي، مدونة عبداللطيف المصدق **أدب و نقد** على الانترنت الرابط :
http://adabwanaqd.blogspot.com

124) علي كرزازي، إستراتيجية الموقف السخري عند أبي نواس، مجلة فكر و نقد الالكترونية الرابط : http://www.aljabriabed.net/n14_11karzazi.htm

125) محمد حسين الدباء ، مقدمة موجزة في الأدب الساخر ،صحيفة الأيام الاكترونية اليمن الرابط : http://al-ayyam.info .
126) الموسوعة العربية العالمية الرابط: http://www.mawsoah.net .

ه- قائمة المصادر والمراجع الأجنبية :

127)- MUECKE D. C . Analyses de l'ironie in Poétique, Seuil.1978
128)- D.J. Enright : The Alluring Problem An Essay on Irony ; Oxford - New York, Oxford University Press 1986
129)- David Ball : " La définition Ironique " ; Revue de Littérature Comparée , Lib. M. Didier , N° 3. 1976
130)- KERBRAT-ORECCHIONI, C. (1978) « Problèmes de l'ironie », dans L'ironie. Travaux du Centre de Recherches linguistiques et sémiologiques de Lyon .
131)- Groupe Mu, « Ironie et iconique », Poétique, 9, 1978 .
132)-ALLEMAND, Beda, De l'ironie en tant que principe littéraire, en Poétique, Ns 36. 1978 .

124)-Pierre Schoentjes , Poétique de l'ironie Paris, éditions du Seuil, 2001 .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

ملخص البحث

- أدب السخرية تراث بشري تناقلته الأمم وتوارثته الأجيال، و ألف به البشر طيلة حياتهم في الأرض، فلا يكاد الباحث يجد أمة لم يكن لها تاريخ في الأدب الساخر .

- السخرية في الأدب لها مفاهيمها وأساليبها و صورها التي لا تصل رسالتها بدونها، ولا يكتمل بناؤها في غيابها، إنها المرآة الصادقة للحقيقة من ناحية، كما أنها طريق للتعبير عن الاضطرابات، والمساوئ، والسيئات في المجتمع من ناحية أخرى
- يعد الأديب الجزائري الأصل ابن محرز الوهراني(ت 575هـ /1179م) من الأدباء الساخرين الأذكياء المغمورين، الذين استخدموا السخرية في معالجة مواقف حياته و مشكلات عصره في كل مناحي الحياة الاجتماعية و السياسية و الأدبية .
- و رغم كل هذا الميزات التي تميز هذا الأديب الموهوب، إلا أنه من المؤسف ، أن يوضع أدبه في الهامش في ركن أدب المجون و الخلاعة ، فلا يعطى تاريخيا لأدبه الفكاهي الساخر الهادف الجميل حقه الأوفى من الدراسة .

- كانت السخرية التي وصلت إلى حد الفحش والمجون من أهم الظواهر البارزة في أسلوبه كأديب عظيم يقدر الحياة من حوله و يتأثر بها و يؤثر فيها، ذلك لأنها تتخلل أدبه كله و تكون أدق أنسجته .
- قمنا في دراستنا الاستكشافية للسخرية و أدب الوهراني الساخر باعتماد المنهج الوصفي و التاريخي في الفصلين الأول و الثاني من خلال ضبط المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للسخرية في أدبنا العربي ، و معرفة الفرق بينها و بين المصطلحات الأدبية الشبيهة كالتهكم و الفكاهة و الهجاء و الظرف، و ذكر نشأته و مختلف أساليبه البارزة، واستكشاف حياة ابن محرز الوهراني و أحوال بيئته وعصره السياسية و الفكرية والأدبية التي تأثر بها .
و اعتمدنا المنهج الفني في الفصل الثالث من خلال استخراج أنواع السخرية السياسية و الاجتماعية و الدينية و الأدبية ، وكذلك الأساليب الفنية المتنوعة والمتميزة للسخرية في مقامات و رسائل ابن محرز الوهراني من خلال أساليب التلاعب الساخر بالألفاظ و استخدام الكلمات العامية و الغريبة و الفاحشة، و أسلوب الاقتباس و التضمين، و فنيات الحوار الساخر و المبالغة و التصوير الكاريكاتوري، و التعريض و الكناية، و أسلوب المدح بما يشبه الذم مع التمثيل عن هذه الأساليب بنماذج من أدب الوهراني .
- و قد اعتمدنا في هذه الدراسة البسيطة على مجموعة من الكتب و المراجع من أبرزها كتاب السخرية في الأدب العربي لنعمان محمد أمين طه، و كتاب السخرية في الأدب الجزائري للدكتور الجزائري محمد ناصر بوحجام، و كتاب الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق الذي حققه و درسه الدكتور صلاح الدين المنجد، و كتب علوم البلاغة العربية المختلفة .

و قد واجهتنا العديد من الصعوبات أثناء تناول هذا الموضوع نذكر منها :
- ندرة و نقص المراجع و المصادر المعالجة لأدب الوهراني و حياته قديما و حديثا، و السبب وراء ذلك إقصاء أدب الوهراني في ركن الأدب المهمش المتهم بالخلاعة و المجون .
- كثرة أساليب السخرية، و تنوعها و تشابكها في مقامات و رسائل ابن محرز الوهراني، مما صعب مهمة جمعها و تصنيفها و تنظيمها .

- من أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة :

- تميز أسلوب الوهراني في هذا منامه الكبير، و بعض من رسائله بالبساطة و العفوية و الاسترسال التي جعلها منهجا لكتاباته، مخالفا فيها كتاب عصره الذين مالوا أكثر مالوا إلى أسلوب الصنعة و التكلف و التقيد بالسجع .
- تميز الوهراني بأسلوب الحوار خاصة في منامه الكبيرالذي كان قريبا كل القرب من الأساليب الدرامية المسرحية الحديثة، و بالأخص مسرحيات الملهاة الفكاهية الساخرة
- تأثر الأديب الجزائري ابن محرز الوهراني بالبيئات والموجات السياسية و الفكرية و الأدبية التي صاحبها في مسيرته الإبداعية خلال العهد الأيوبي، فأدبه مرآة عاكسة لواقع عصره السياسي و الفكري و قاموسا جغرافيا و اجتماعيا مليئا بمسميات المناطق الجغرافية و الأطعمة و الألبسة و الصنائع ، بل و حتى قاموسا للهجات العامية الشائعة في ذلك العهد .
- قدرة الوهراني الكبيرة في البلاغة العربية والتحكم في استعمال الألفاظ إلى حد التلاعب فيها و إخراجها من دلالاتها الحقيقية إلى دلالاتها المجازية الساخرة بل حتى اختراع بعض الألفاظ المصطنعة الدالة على السخرية و الإضحاك .
-استخدام الوهراني للألفاظ و العبارات العامية و الخليعة و تحرر من اللغة الفصيحة تعبيرا عن الجوانب المسكوت عنها في مجتمعه و عصره .
- استخدام أسلوب الاقتباس و التضمين من الآثار الأدبية والدينية المعروفة في عهده ، مثل القرآن الكريم، والأشعار، والأمثال و غير ذلك من الآثار.
- سعة و خصوبة خيال الوهراني من خلال فن المبالغة و التصوير الكاريكاتوري الذي كان من أكثر أساليبه ، حيث وظف الوهراني في جميع مبالغاته الساخرة ألوانا عدة من الصور البيانية تمثلت في التشبيه و الاستعارة و المجاز و الكناية و التعريض و المدح بما يشبه الذم، و لم يقف الأمر عند حد البلاغة العربية بل استعمل حتى مصطلحات الفقه و النجوم و الفلك و الطب و الأعشاب و الحيوانات المعروفة في عصره .

Résumé

- Littérature de l'ironie apparu patrimoine Nations humaine et des générations héritées, et A par les hommes pendant toute leur vie dans le sol, il ya à peine ne importe quel chercheur trouve une nation n'a pas eu d'histoire de la littérature satirique.
-l' **ironie** en littérature dans ses concepts et méthodes et les formes qui ne atteignent pas leur mission sans eux, ni inachevée en son absence, il est vrai miroir de la vérité d'une part, il est également un moyen d'exprimer la tourmente, et les inconvénients, et les mauvaises actions dans la communauté d'autre part
- L'écrivain algérien origine **IBN MAhrez AL-Wahrani** (T 575 AH / 1179 AD) de cyniques écrivains méconnus intelligents, qui ont utilisé l'ironie face à des situations de sa vie et ses problèmes de temps dans tous les aspects de la vie sociale, politique et littéraire.
(F) Malgré toutes ces fonctionnalités qui caractérisent cette écrivain de talent, mais il est dommage, que la littérature est placé dans la marge dans le coin de la littérature la promiscuité et la pornographie, pas historiquement donnée à la littérature satire humoristique visant belle complètement à droite de l'étude.

- **L'ironie**, qui se élevait à l'obscénité et la promiscuité des événements les plus importants dans son style, comme un grand écrivain estimé vie autour et est affecté par les affecte et, parce qu'ils imprègnent toute la littérature et être tissus plus précis.
- Nous avons dans notre exploration de l'ironie et de la littérature **AL-Wahrani** ironique, adoption cynique de l'approche descriptive et les **chapitres historiques** I et II en ajustant la notion de linguistique et terminologique ridiculisé dans la littérature arabe Et de faire la différence entre eux et les termes littéraires comme **Satire** et de **l'humour** et de **l'orthographe** et des **circonstances**, et a déclaré sa création et les diverses méthodes saillant, et d'explorer la vie **d'Ibn Mahrez AL-Wahrani** et les conditions politiques de son

environnement et de son temps et intellectuelle et littéraire qui les a affectés.
Et a adopté l'approche technique au troisième trimestre en extrayant sortes de satire politique,, littéraires, ainsi que les styles sociaux, religieux divers artistiques et ironique distinctive dans les sanctuaires et les messages **IBN MAhrez AL-Wahrani** par la manipulation méthodes cyniques de mots et de l'utilisation des mots d'argot et bizarre et scandaleux, et style de citation et l'inclusion, et les techniques de dialogue satirique et l'exagération et la caricature de photographie, et l'exposition et de la métonymie, et le style complimentant, semblable à la calomnie avec des représentants de ces méthodes modèles de la littérature **AL- Wahrani**.
- Et nous avons adopté dans cette simple étude sur la collecte de **livres** et de **références** d'écrivains plus important : - ironie dans la littérature arabe à **Noman Mohammed Amin Taha** le, et livre l'ironie dans la littérature algérienne du Dr algérien **Mohamed Nasser Bouhjam**, et livre AL-Wahrani et les semis des mosquées de Damas réalisés et étudiés Dr **Salahuddin AL-MONJED**, et a écrit divers Sciences de la rhétorique arabes.
- Bon nombre des difficultés que nous avons rencontrés au cours peuvent aborder cette question, y compris:
- La rareté et le manque de références et de traitement de la littérature et de la vie de **AL- Wahrani** sources anciennes et nouvelles, et la raison de cette exclusion littérature Wahrani dans le coin de la littérature marginalisés accusés Balkhalaah et la promiscuité.
- Méthodes fréquentes de l'ironie et de la diversité et de la complexité dans les sanctuaires et les messages **IBN MAhrez AL-Wahrani,** ce qui rend difficile recueilli et classé et réglementée .

- Le plus important de nos conclusions de cette étude :

- Le style excellence de **AL- Wahrani** dans le grand rêve, et certains de ses lettres de simplicité et de spontanéité qui les font et glisser

approche de son écriture, contrairement au livre de son temps qui tend de plus tendance à style de fabrication et les manières .
- Dialogue privé de style excellence Wahrani dans un rêve Kabiralve était à proximité de toutes les techniques dramatiques du théâtre moderne, et surtout comiques jeux de comédie satirique
- Ecrivain fils algérienne environnements de **IBN MAhrez AL-Wahrani** et des vagues politiques et le propriétaire intellectuel et littéraire dans la carrière créative influencé par ayyoubide, la littérature de **AL-Wahrani** miroir réfléchissant de la réalité de la politique de son temps et intellectuelle et un dictionnaire géographiquement et socialement complète des titres zones géographiques et de la nourriture, des vêtements et des métiers, mais même un dictionnaire dialectes vernaculaires communs à cette époque.
- Grande capacité de **AL- Wahrani** dans la rhétorique arabe et contrôler l'utilisation des mots dans une certaine mesure manipulé et sorti une réelle importance aux implications métaphoriques sarcastiques et même inventer quelques mots la fonction artificielle sur l'ironie et loufoquerie.
-utiliser **AL- Wahrani** de mots et expressions argotiques et obscène et la libération de l'expression de la langue couramment des aspects tacites de la société et de son temps.
- Le style et l'inclusion des monuments littéraires et religieuses de son bien connu, comme le Coran et des poèmes, proverbes et autres effets utilisation cotation.
- Capacité et la fertilité de l'imagination de **AL-Wahrani** à travers l'art de l'exagération et de la peinture de la caricature, qui était plusieurs méthodes, où **AL-Wahrani** employé dans toutes les exagérations satirique images graphiques représentés dans la métaphore et de comparaison et de la métaphore et de la métonymie et de l'exposition et de louange, semblable à la calomnie, et il ne se arrête pas au mesure de la rhétorique arabe, mais utilisé jusqu'à termes fiqh et les étoiles et l'astronomie, la médecine, les herbes et les animaux connus à son époque .

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

فهرس الموضوعات

A-PDF OFFICE TO PDF DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

الفـــهـــرس

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	7-1
الفصل الأول : مدخل إلى مفهوم السخرية	55-08
المبحث الأول : مفهوم السخرية	29-08
المطلب الأول: المفهوم اللغوي و الاصطلاحي	08
المطلب الثاني: الفرق بين السخرية و شبيهاتها من المصطلحات الأدبية	22
أولا. الفرق بين التهكم و السخرية	22
ثانيا. الفرق بين الفكاهة و السخرية	23
ثالثا. الفرق بين الهجاء و السخرية	25
رابعا. الفرق بين الظرف و السخرية	28
المبحث الثاني : نشأة السخرية و أساليبها	55-30
المطلب الأول : لمحة عن نشأة السخرية في التراث الأدبي و البلاغي العربي	30
المطلب الثاني : أساليب السخريـــة و صورها .	45
الفصل الثاني : ترجمة لحياة الأديب الجزائري ابن محرز الوهراني و أوضاع عصره	92-56
المبحث الأول : نشأة الوهراني و أدبه	76-57
المطلب الأول: مولد الوهراني و نشأته	57
المطلب الثاني : أثار الوهراني الأدبية	66
المبحث الثاني : بيـئة الـوهراني و أحوال عصره	92-76
المطلب الأول : البيئة السياسية	77
المطلب الثاني : البيئة الفكرية و الأدبية	81
الفصل الثالث : أنواع و أساليب السخرية في أدب ابن محرز الوهراني .	140-93
المبحث الأول : أنواع السخرية في أدب ابن محرز الوهراني	116-94
المطلب الأول : السخرية الاجتماعية .	94
المطلب الثاني : السخرية السياسية	101
المطلب الثالث : السخرية الدينية.	104

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المطلب الرابع : السخرية الأدبية	112
المبحث الثاني : أساليب السخرية في أدب ابن محرز الوهراني	140-117
المطلب الأول : التلاعب الساخر بالألفاظ	117
المطلب الثاني : الاقتباس و التضمين الساخر	125
المطلب الثالث : الحوار الساخر	127
المطلب الرابع : المبالغة و التصوير الكاريكاتوري الساخر	131
المطلب الخامس: التعريض و الكناية الساخرة	136
المطلب السادس: المدح بما يشبه الذم	138
الخاتمة	145-141
قائمة المصادر والمراجع	154-147
ملخص البحث بالعربية و الفرنسية	159-155